

شارع بريك لين (رواية) الجزء الأول



شارع بريك لين

(رواية) الجزء الأول

تأليف: مونيكا علي

ترجمة وتقديم: أ. عبده عبدالعزيز أحمد عبدالفتاح

مراجعة: د. طيبة محمد صادق

شارع بريك لين (رواية) الجزء الأول

الكويت - يونيو 2009

378

نقدم إلى القارئ الكريم في هذا العدد رواية طويلة لكنها حميمة، كتبتها الروائية الشابة البنغالية الأصل مونيكا علي في العام ٢٠٠٣، وهي أول رواية تقوم بكتابتها، وقد ارتقت هذه الرواية إلى التصنيف النهائي لجائزة «مان بوكس» لعام ٢٠٠٣، وتحولت كذلك إلى فيلم يتناول الدراما النسائية النفسية عام ٢٠٠٧، كما تعد هذه الرواية - وفق الاستطلاعات - واحدة من أهم الروايات التي تقرأ في أوروبا في الآونة الأخيرة، وهي رواية مثيرة ولاذعة ومذهلة ومقروءة على نطاق واسع.

وقد وضعت الروائية مونيكا علي عنواناً أولياً لهذه الرواية، وهو «سبعة بحور وثلاثة عشر نهراً»، حيث كان يرمز للمسافة البعيدة بين سيلحيت في بنجلاديش ولندن. ولدت المؤلفة مونيكا علي في دكا عاصمة بنجلاديش في أكتوبر عام ١٩٦٧، وانتقلت عندما كانت طفلة إلى شمال إنجلترا مع أسرته، درست السياسة والفلسفة والاقتصاد في جامعة أكسفورد. تركزت الرواية، التي كتبت عن الجالية الآسيوية التي تقيم في إيست إند بمدينة لندن، على الجالية البنغالية في تورهامليتس، وهي جالية تخفى تقريباً عن بقية لندن، تبدأ الرواية بمولد «نازنين» المريب، حيث ظنوا أنها ولدت ميتة، لكنها سرعان ما تستفيق، وترفض الأم أخذها إلى المستشفى، لأنها ولدت مبكراً عن موعدها، وتتركها لقردها وفق ما ارتأت أمها، مرسخة بذلك الحكمة التي سوف تصبح أحد محاور الرواية: «يجب على المرء عدم مقاومة القدر»، وتتبع الرواية «نازنين» وأختها «حسينة»، وهما تعيشان حياة شاقة في مكانين مختلفين للغاية لكنهما كانتا تتحليان بالشجاعة، وكل منهما لها منطقتها الخاص.

تبدأ الرواية بمشهد مولد نازنين بصحبة الحكمة القائلة «يجب على المرء عدم مقاومة القدر»، ثم تنتهي الرواية بمشهد مولد جديد لنازنين لكن هذه المرة بحكمة مختلفة تماماً تتحدى واقعها، إذ تلبس حذاء التزلج وهي ترتدي الساري لتفعل الشيء الذي طالما حلمت به.

تتميز الكاتبة مونيكا علي برشاقة الانتقال من الملهة إلى المأساة، ثم تعود ثانية بالرشاقة نفسها، كما تتميز بحيوية شخصياتها وقدرتها الفائقة على رسم كل منها أو قل نحتها.

كما نشير للقارئ الكريم إلى أنه تم فصل الرواية في جزأين منفصلين، الأول في هذا العدد حتى نهاية الفصل الحادي عشر، ثم نتبعه بتكملة فصول وأحداث الرواية في العدد المقبل مطلع شهر أغسطس، وقد ارتأينا ذلك الأمر تشويقاً للقارئ الكريم، وتحسباً من أن يتطرق إلى القارئ شيء من الملل، نظراً إلى الطول المفرط للرواية.

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٠٢٠

ردمك: ٣-٢٧٥-٠٠-٩٩٩٠٦



لوحة بريشة الفنان الكويتي
عادل الخلف

عالم الفكر



المجلس
الوطني
للفنون
والآداب

الكويت



عظم المعرفة



الثقافة العالمية



الإصدارات
الدورية

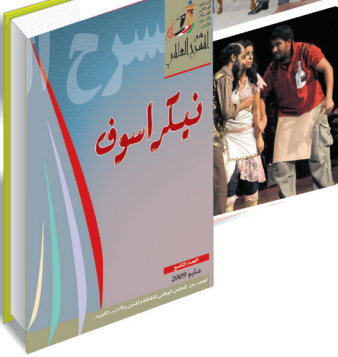
إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

الفنون جزئية

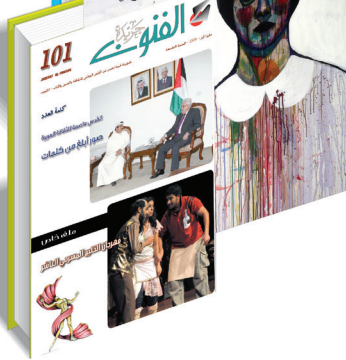


المجلس
الوطني
للثقافة
والفنون
والآداب

الكويت



إبداعات عالمية



المسرح العالمي



الإصدارات الدورية

إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

شارع بريك لين

(رواية)

الجزء الأول

تأليف: مونیکا علي

ترجمة وتقديم: أ. عبده عبدالعزيز أحمد عبدالفتاح

مراجعة: د. طيبة محمد صادق

إبداعاتنا

نصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

المشرف العام:

بدر سيد عبد الوهاب الرفاعي

هيئة التحرير:

د. زبيدة علي أشكناني
د. سعاد عبد الوهاب عبد الرحمن
د. سليمان خالد الرياح
د. سليمان علي الشطي
د. ليلى عثمان فضل
د. محمد المنصف الشنوفي

سكرتيرة التحرير

لمياء القبندي

التضيد والإخراج والتنفيذ:

وحدة الإنتاج

في المجلس الوطني

للثقافة والفنون والآداب

www.kuwaitculture.org

E.Mail

ebdaat_alamia@yahoo.com

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج 500 فلس
الدول العربية الأخرى ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي دولاران أمريكيان

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد 10 دك
للمؤسسات 20 دك

دول الخليج

للأفراد 12 دك
للمؤسسات 24 دك

الدول العربية الأخرى

للأفراد 25 دولارا أمريكيا
للمؤسسات 50 دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد 50 دولارا أمريكيا
للمؤسسات 100 دولار أمريكي

تسد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل
على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٠٢٠

ردمك: ٣-٢٧٥-٠٠-٩٩٩٠٦

• شارع بريك لين
(رواية)
الجزء الأول

العنوان الأصلي:

Brick Lane

By: Monica Ali

Simon & Schuster, Inc.

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2009م

إبداعات عالمية - العدد 378

صدر العدد الأول في أكتوبر 1969م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(1990 - 1923)

white

الإهداء
إلى آبا
من مونيكا علي
مع حبي

white

«بقسوة ومن دون رحمة يرشد كل منا إلى قدره، لكننا في البداية، عندما نكون مستغرقين في التفاصيل، في شتى أنواع السفاسف، في أنفسنا، نكون بالفعل غير مدركين ليده القاسية».

إيفان تورجينيف

«قدر الإنسان هو شخصيته»

هيراقليطس

white

المقدمة

عندما انتهت الأوركسترا من عزف السيمفونية الخامسة للمرة الأولى في باريس أواخر القرن التاسع عشر، توجه أحد الموسيقيين إلى أستاذه الذي كان يجلس في مقصورة بمفرده حتى يتمكن من سماعها من دون إزعاج قائلاً له: «هيه، ما رأيك يا أستاذ؟» قال له أستاذه: «أف لهذه الموسيقى! إنها موسيقى مربكة ومحيرة تماماً حتى أنني عندما هممت بلبس قبعتي رحت أبحث عن رأسي فلم أجده». إلى هنا ينتهي كلام الأستاذ لكنه يعطي لنا معياراً آخر للذن الحقيقي. سواء كان هذا الفن أدباً أو رسماً أو موسيقى أو غيرها. فالأدب الحقيقي، وهو ما يعنينا هنا، شأنه شأن الموسيقى الحقيقية، يصيب النفس البشرية بمثل هذه الحالة العارمة من الحيرة والفضوذي. ولكنها ليست فضوذي من أجل الفضوذي، بل فضوذي بناءً، فضوذي من أجل إعادة ترتيب جديد للأشياء وفق خبرة وزاوية التقاط جديدتين.

وفي حاصل الأمر، قليلة هي الكتابات التي تحقق هذه الغاية. لكن مونيكا علي، الروائية الشابة (ستة وثلاثون عاماً عند صدور الرواية ٢٠٠٣) ذات الأصل البنغالي، تفعل ذلك في رواية «شارع بريك لين» بمهارة الطاعنين في الكتابة. على الرغم من كونها روايتها الأولى. وبريك لين كما هو معروف،

أحد شوارع إيست إند بلندن، يربط مقاطعة وايتشابل بضاحية سبيتافيلدز التي تعد الآن المدينة السيلحيتية، معقل الجالية البنغالية.

وقد كتبت هذه الرواية في بادئ الأمر تحت عنوان «سبعة بحور وثلاثة عشر نهرا» حيث كان يرمز هذا العنوان للمسافة البعيدة بين سيلحيت بنجلاديش ولندن. لكن الناشر أشار عليها بتغيير العنوان، لأن هناك كتابا بالفعل يحكي قصة الرواد الأوائل من سيلحيت في إنجلترا يحمل عنوان «عبر سبعة بحور وثلاثة عشر نهرا»؛ ولأن هذا العنوان أيضا لم يكن يعني الكثير بالنسبة إلى البريطانيين ولم يكن يعني شيئا بالمرّة للأمريكيين. فاقترح عليها عنوان «بريك لين» نظرا إلى وجود تاريخ رائع للجالية البنغالية في بريطانيا. كما أن بريك لين هو اسم لمطعم شهير في نيويورك.

والروائية الشابة مونيكا علي ولدت في دكا بنجلاديش في أكتوبر ١٩٦٧. عندما كانت طفلة انتقلت إلى شمال إنجلترا مع أسرته. درست السياسة والفلسفة والاقتصاد بجامعة أكسفورد. تعيش الآن في جنوب لندن مع زوجها سيمون (مستشار للإدارة) وطفلين.

بدأت موهبة الكتابة لديها عندما كان طفلها الأول «فيليكس» لم يكمل السنة بعد. بدأت بكتابة القصص القصيرة. ومع مرور الوقت شعرت بأنها مكبلت بعض الشيء

بصيغة القصة القصيرة، وعلى حد تعبيرها لم يكن لديها مجال تتنفس فيه. أحست بأن ثمة شيئاً آخر تريد أن تفعله. ساعتها كان الأمر يتمثل في مسألة إيقاظ الشجاعة لديها. وابتها الشجاعة أخيراً عندما كان عمر ابنتها شومي خمسة شهور. يبدو الأمر كأن وجود عربية الطفلة في ردهة الشقة كان عاملاً في قرار مونيكا أن تعطي الكتابة اهتماماً أكبر. وفي خضم الفوضى الأمومية كانت هناك ضرورة ملحة في أن تجد فسحة لنفسها. لكنها تعتقد أن العامل الأساسي كان موت جدها لأمرها فتقول: «كنت أنوي أن أصحب شومي الرضيعة لأقدم الطفلة لجدي وجدتي بيد أنه كان من العسير أن تنجز أشياء ولديك طفل ورضيع. وعندما حان الوقت للذهاب هناك كنا ذاهبين لجنائزته. في اليوم التالي، عندما ذهبنا لقضاء العطلة في بحيرة المقاطعة كان ثمة شيء مثير للانتباه يتعلق بجنائزه. شعرت بالحاجة في عدم إرجاء الأشياء أكثر من ذلك. أرسلت زوجي بصحبة الصغار وسحبت الستائر في مواجهة الشمس وعندئذ كانت البداية».

أملة في نصيحة بناءة قدمت مونيكا في حذر الفصلين الأولين إلى صديق يمارس عملاً تحريرياً، في الاثنين التالي كان هناك عرض على الطاولة، استغلت جزءاً من مقدم العقد للصرف على رعاية الأطفال، ومن ثم تسنى لها أن تكرر وقت الصباح للرواية، فقضت ثمانية عشر شهراً في

كتابة الرواية من أول سطر فيها إلى آخر مراجعة تحريرية لها. تقول مونيكا: «كنت أعمل بتركيز شديد. كنت مسلوبة الفكر. ففي أي وقت لم يكن الأطفال في رعايتي كنت أعمل». أما فيما يتعلق بمجلة جراننا، تقول مونيكا علي: «كان الناس يسألونني بخصوص قائمة جراننا بطريقة تجعلني أعتقد أنهم يريدون مني أن أشتكي، لكنني كنت سأصبح حمقاء إذا اشتكيت ولم أكن لأفعل لأنني مدركة تماما ما يحدث مع الروايات الأولى: فأنت بعيد، تلوّح براية وليس من أحد يمر في اتجاهك».

و«شارع بريك لين» في واقع الأمر رواية طويلة لكنها حميمة، كتبت في الجالية الآسيوية التي تقيم في إيست إند بلندن. رتب والد نازنين لها زواجا من رجل بنغالي خائب الرجاء يكبرها بعشرين عاما. لتجد نفسها في لندن وقد استحال الوطن المترامي الأطراف إلى شقة ضيقة. رواية مفعمة بالسخرية الدافئة تستكشف دور القدر في حياتنا «هؤلاء الذين يتقبلونه في رضا وهؤلاء الذين يتحدونه» وتتبع التحولات الحادة لفتاة آسيوية حذرة وخجولة إلى امرأة شجاعة ومبجلة.

والرواية تركز على هذا القطاع المستعرض من الجالية البنغالية في تورهامليتس، جالية تخفى تقريبا على بقية لندن. وهي رواية مثيرة ولاذعة ومذهلة ومقروءة على نطاق

واسع. وتعد من نوعية الكتب التي تجعلك تلهث وراءها في نهم. تبدأ الرواية بمولد نازنين المريب حيث ظنوا أنها ولدت ميتة لكنها سرعان ما تفيق وترفض الأم أخذها إلى المستشفى لأنها ولدت مبكرا عن موعدها وتركها لقدرها وفق ما ارتأت أمها، مرسخة بذلك الحكمة التي سوف تصبح أحد محاور الرواية «لا يجب على المرء مقاومة القدر».

ثم يدور محور الرواية حول نازنين نفسها التي تستعد لزواج يأخذها من الدروب القذرة وحقول الأرز في قري بنجلاديش إلى مدينة تور هاملتس ومنظر العشب الميت وأحجار الرصيف المتكسرة والستائر على النوافذ. كانت نازنين تدرك دائما أنه ليس هناك طائل من مقاومة القدر، على العكس من أختها حسينة التي كسرت كل القواعد وهربت من أسرتها مع رجل تحبه. وربما كانت الإنجليزية المتكسرة التي تتحدث بها حسينة في خطاباتنا إلى أختها نازنين، ضاربة في ذلك أبسط القواعد اللغوية، إسقاطا على كسر القواعد الاجتماعية التي تمارسه حسينة داخل الرواية. تتبع الرواية نازنين وحسينة وهما يعيشان حياة شاقة في مكانين مختلفين للغاية، لكنهما كانتا على شجاعة وكل منهما لها منطقتها الخاص.

مأخوذة بطاولات الزاوية المكسدة وورق الحائط المزخرف بالرسوم والشهادات المؤطرة التي تشهد بكفاءة زوجها

الجديد في الفلسفة المتعالية، قلما كانت نازنين تغادر شقتها في بادئ الأمر. لكنها عندما غادرتها شاهدت لندن في حيرة كائن فضائي هبط لظوره من كوكب المريخ. ويعد شانو، زوجها الثرثار إحدى معجزات الرواية الرئيسية. فعمره ضعف عمرها، ووجهه يشبه ضفدعة، يميل إلى الاستشهاد بديفيد هيوم. لكنه شخصية ساخطة وفي الوقت نفسه محببة للقارئ.

وتتميز مونيكا علي برشاقة الانتقال من المهارة إلى المسأة، ثم تعود ثانية بالرشاقة نفسها. كما تتميز بحيوية شخصياتها وقدرتها الفائقة على رسم كل منها، أو قل نحتها. حتى أن القارئ ربما يتبادر إلى ذهنه أن الرواية سيرة ذاتية للمؤلفة. كذلك ثمة حضور قوي للرائحة على امتداد الرواية الشيء الذي يضفي على السرد مزيدا من الحيوية والثراء. تبدأ الرواية بمشهد مولد نازنين بصحبة الحكمة القائلة «لا يجب على المرء مقاومة القدر»، ثم تنتهي بمشهد مولد جديد لنازنين ولكن هذه المرة بحكمة مختلفة تماما تتحدى القدر، إذ تلبس حذاء التزلج وهي ترتدي الساري لتفعل الشيء الذي طالما حلمت به.

إذن التعاطي مع القدر، برضا كان أو بتحد، مسألة تتسم بها الشخصيات داخل الرواية. وربما كان من قبيل المصادفة أن تستهل هذه المقدمة بسيمفونية بيتهوفن الخامسة التي يصفها البعض بأنها سيمفونية القدر.

ولا عجب أن تكون رواية «شارع بريك لين» إحدى الروايات التي ارتقت إلى التصنيف النهائي لجائزة مان بوكر ٢٠٠٣، في السنة نفسها صنفت مونيكّا علي من قبل مجلة جرانّتا Granta واحدة من أفضل عشرين روائيا شابا في بريطانيا. ولا عجب أيضا أن تلفت الرواية انتباه السينما كنص ثري، فتتحول إلى فيلم مدهش يتناول الدراما النسائية النفسية ٢٠٠٧ من إخراج سارة جافرون. وينال الفيلم بدوره عدة جوائز.

ولا عجب أن تعد وفق الاستطلاعات واحدة من أهم الروايات التي تقرأها أوروبا في الآونة الأخيرة. ومع نهاية هذه الرواية الثرية ربما تنتاب القارئ حالة الحيرة والفوضى التي تحدثنا عنها آنفا. تلك الفوضى البناءة التي تعيد ترتيب مفردات النفس والحياة وفق ما اكتسب من خبرة جديدة.

عبدہ الرئيس

مصر - المنصورة

١٦ مايو ٢٠٠٩

white

الفصل الأول

white

مقاطعة ميمنسج، شرقي باكستان ١٩٦٧

ساعة وخمس وأربعون دقيقة قبل أن تبدأ حياة نازنين - تبدأ
كما كانت ستبدأ في وقت ما، بعبارة أخرى على نحو مشكوك
فيه. أحست أمها روبان بقبضة حديدية تعترض أحشائها - كانت
تجثم فوق مقعد أرضى بثلاث أرجل خارج سقيفة المطبخ، بينما
تنظف دجاجة لأن أولاد عم حميد قد وصلوا من جيسور^(١)
وسوف تكون هناك وليمة. قالت منادية الدجاجة بالاسم كما
كانت تفعل دائما «زقزوق يا زقزوق أنت عجوز وكثيرة الألياف،
لكنني أود أن أأكلك عسيرة الهضم كنت أو غير عسيرة الهضم،
وغدا لن أطح سوى الأرز، ليس ثمة باراثا^(٢)».

نزعت مزيدا من الريش وشاهدته يتطاير حول قدميها. قالت
«آاه. آاه. آاه».

جالت برأسها أشياء. على مدار سبعة أشهر كانت تتضح مثل
ثمرة مانجو على شجرة. سبعة أشهر فقط. نَحَّت جانباً تلك
الأشياء التي جالت برأسها لفترة، ساعة ونصف الساعة، على
الرغم من أنها لم تكن تدرى هذا، حتى دخل الرجال قادمين
من الحقول، يجرجرون الأتربة ويضربون على بطونهم، قبضت
روبان على وصل الدجاجة ورقبتها النحيلة واكتفت بقول «قادمة،
قادمة» لجميع الاستفسارات عن الطائر. كانت ظلال الأطفال
الذين يلعبون البلي، وينخس بعضهم بعضا تستطيل وتحتد.
بينما رائحة الكمون المصحون وحب الهال تنتشر في أرجاء الحي

(١) جيسور: مقاطعة تقع في جنوب غرب بنجلاديش - المترجم.

(٢) بارثا: نوع من الخبز لا يحتوي على خميرة، يخبز في صينية - المترجم.

السكني. كانت الماعز تتغو ثغاء عاليا حادا . صرخت روبان في حماس شديد واهتياج

هرع حميد من المرحاض على الرغم من أنه لم ينته من أمره. أسرع عبر رقعة الخضراوات، مارا بأعواد القش التي فاق ارتفاعها أعلى بناية إلى طريق الدراجات الذي يطوق القرية، عائدا إلى الحي السكني، وقبض على هراوة ليقضي على الرجل الذي كان يقتل زوجته، كان يعلم أنها هي، من غيرها في استطاعته أن يهشم الزجاج بصرخة واحدة؟ كانت روبان في الثكنات المخصصة للنوم. لم يكن السرير مرتبا على الرغم من أنها كانت لم تزل واقفة. بإحدى يديها كانت تمسك بكتف ممتاز وباليدي الأخرى دجاجة لم يكتمل تنظيفها.

أشاحت ممتاز لحميد « اذهب، أحضر بانيسا، هل تنتظر عربة ريكاشة؟ اذهب على رجليك»

تاولت بانيسا نازنين من كاحلها وطرقت علكتها في استخفاف بالجسد المزرق الضئيل «لن تأخذ نفسا واحدا . بعض الناس الذين يفكرون مليا كيف يوفرون بضعة تاكات^(٣) لا يستدعون داية» ثم راحت تهز رأسها الأصلع المتغضن.

كانت بانيسا تزعم أن عمرها مائة وعشرون سنة . وكانت تدعي هذا باستمرار منذ العقد الماضي أو نحو ذلك . ولأنه ليس في القرية من أحد يتذكر يوم مولدها، ولأن بانيسا كانت أكثر جفافا من ثمرة جوز عتيقة لم يرغب أحد في دحض زعمها، زعمت أيضا أن ألف طفل لم يكن من بينهم إلا ثلاثة

(٣) تاكا: وحدة عملة في بنجلاديش - المترجم.

عرج واثنان صم (خنثى وأحدب) وجنين ميت وآخر هجين سحلية وقرد خطيئة في حق الرب دفن حيا في الأحرار البعيدة، وأرسلت الأم إلى من يهتم به هناك. وعلى الرغم من أن نازنين ميتة، فإنها لا يمكن أن تعد من بين هذه الإخفاقات على اعتبار أنها ولدت قبل أن تصر بانيسا بعظامها داخل الكوخ.

قالت بانيسا لروبان «شاهدي ابنتك، كل شيء تمام. كل ما كانت تعوزه شخص يفسح لها الطريق إلى هذه الدنيا». نظرت إلى الزقزوق التي تقر بجانب الأم الثكلي ومصصت شفيتها فتجوف خذاها، نظرة جائعة أوسعت عينيها قليلا على الرغم من أنهما كانتا بالفعل مدفونتين في التجاعيد. لقد مرت شهور كثيرة منذ أن ذاقت طعم اللحم والآن برزت هاتان الفتاتان الشابتان (كان يجب أن تخنقهما عند الولادة) في تنافس. قالت بانيسا «دعوني أغسلها لكي أكفنها من أجل الدفن، بالطبع أنا أقوم بخدمتي مجانا، فقط هذه الدجاجة ربما تفي بعنائي، أرى أنها عجوز وكثيرة الألياف».

قالت ممتاز عمة نازنين التي كانت تبكي «دعيني أحملها»، قالت روبان، «اعتقدت أنه عسر هضم» ثم طفقت تبكي. أمسكت ممتاز بنازنين التي كانت لاتزال تتدلى من كاحلها فأحسست بجزع صغير أملس ينزلق على أصابعها وينطلق بوأوة فوق الملاءة المملخة بالدم. وأوأه!! صراخ! أفرغتهما روبان وأسمتها قبل أن تموت بلا اسم ثانية.

مصممت بانيسا بشفتيتها بضع مرات. بطرف ساريها المصفر راحت تجفف بعض اللعاب الذي سال على ذقتها. شرحت الأمر «هذا يسمى حشرة الموت».

اقتربت النساء الثلاث بوجوههن من الطفلة. رفت نازنين بذراعيها ثم طفقت تصرخ كما لو كان في استطاعتها أن ترى هذا المشهد المروع، بدأت تفقد لونها الأزرق ثم استحالت شيئاً فشيئاً إلى اللون البني ثم إلى الأرجواني، قالت بانيسا بنظرة اشمئزاز «لقد أعادها الله»، قالت ممتاز التي بدأت تشك في تشخيص بانيسا الأولى «حسن، ألم يرسلها الله إلينا منذ بضع دقائق؟ هل تعتقدين أنه يغير رأيه كل ثانية».

تمتت بانيسا في سرها، وضعت يدها فوق صدر نازنين، أصابعها الملتوية مثل جذور شجرة معمرة شقت طريقها فوق سطح الأرض «الوليدة حية لكنها ضعيفة. أمامك طريقان يمكن أن تسلكيهما» قالت موجهة حديثها إلى روبان.

«إما أن تذهبي بها إلى المدينة، إلى مستشفى، سوف يضعون عليها أسلاكاً ويعطونها أدوية، وهذا مكلف للغاية، فسوف تضطرين لبيع حليكي، وإما أن تنتظري ما سيفعله القدر» استدارت قليلاً إلى ممتاز لتشملها الآن «بالطبع القدر سوف يقرر كل شيء في النهاية مهما كان الطريق الذي تسلكينه».

قالت ممتاز بينما بزغت على خديها علامات حمراء من التحدي «سوف نذهب بها إلى المدينة».

لكن روبان التي لم تستطع أن تكف عن البكاء ضمت ابنتها إلى صدرها وهزت رأسها. قالت «كلا، لا يجب أن تقف في طريق

القدر مهما يحدث سوف أرضى به . وطفلتي لا يجب أن تضيق أي مجهود في مقاومة القدر . بتلك الطريقة سوف تزداد قوة» .
قالت بانيسا «حسن، إذن لقد حسم الأمر» راحت تحوم للحظة أو لحظتين لأنها كانت جائعة بما يكفي لالتهام الطفلة . لكن بعد نظرة من ممتاز راحت تجرجر قدميها عائدة إلى كوخها .
جاء حميد ليشاهد نازنين، كانت ملفوفة في قماشة قطنية ومضطجعة على كيس خيش قديم فوق فراش قابل للطي . كانت عيناها مغمضتين ومنتفختين كأنها تلقت لكميتين قويتين .
قالت روبان «بنت؟» .

قال حميد «أعرف، لا يهم، ماذا بوسعك أن تفعلينه؟» .
ثم انصرف ثانية .

جاءت ممتاز بصحن من الأرز، دال^(٤) ودجاج مطهو بتوابل الكري . قالت روبان «إنها لا ترضع . إنها لا تعرف ماذا تفعل . ربما قُدر لها أن تموت جوعا» .

قلبت ممتاز عينيها «سوف ترضع في الصباح . والآن عليك أن تأكلي وإلا قدر لك أن تموتي من الجوع أنت الأخرى» ، ابتسمت في وجه أخت زوجها الصغير الحزين . احتشدت كل ملامحها كدأبها دائما لتتفجع على كل شيء فات وكل ذلك الذي سوف يُقدر له أن يفوت .

لكن نازنين لم ترضع في الصباح ولا في اليوم التالي . في اليوم الذي أعقبه أدارت وجهها بعيدا عن الحلمة وأحدثت جلبة ملجمة .

(٤) دال: عدس بالبنغالية - المترجم .

لم تستطع روبان المعروفة بالبكاء أن تتجاوب مع مطلب الدموع. توافد أناس: عمات، أخوال، أولاد عم، إخوة، أولاد إخوة، أولاد إخوة الزوج، نسائب، نساء القرية ثم بانيسا، جرت الداية قدميها المقوستين على أرضية الكوخ الطينية القاسية وراحت تحديق في الطفلة، «سمعت عن طفل لم يكن يرضع من الأم لكنه أرضع من عنزة» ابتسمت فظهرت علكتها السوداء. «طبعا لم يكن هذا واحدا من مواليدي».

جاء حميد مرة أو مرتين بيد أنه في الليل نام في الخارج على تشوكي. في اليوم الخامس عندما بدأت روبان تتمنى رغما عنها أن يسرع القدر ويأخذ قراره، مصممت نازنين بشفتيها حول الحلمة فراحت ألف إبرة محماة تسري في ثدي روبان فحملتها على البكاء من الألم ومن فرحة المرأة الصبور الطيبة.

لما كبرت نازنين سمعت مرات كثيرة هذه الحكاية عن «كيف تركت لقدرك» بسبب قرار أمها الحكيم عاشت نازنين لتصبح الفتاة النابهة ذات الوجه الكبير.

مقاومة المرء لقدره من شأنه أن يضعف الدماء أحيانا، بل في أغلب الأحوال من شأنه أن يكون مميتا. لم تسأل نازنين ذات مرة عن الحكمة من حكاية «كيف تركت لقدرك»، لقد كانت في واقع الأمر ممتنة لشجاعة أمها التامة، رواقيتها الدامعة التي كانت تتبدي تقريبا كل يوم.

قال حميد - دائما كان ينظر بعيدا عندما يتحدث - «إن أمك ولية بالفطرة، إنها تتحدر من عائلة أولياء»؛ لذا عندما نصحتها روبان أن يقر عقلها وقلبها، وأن تتقبل نعمة الله، وأن تتعامل مع

الحياة بالطريقة نفسها التي تعاملها بها، راحت نازنين تصغي باهتمام ورأسها الكبير مائل إلى الوراء، وعيناها مرتختان في رباطة جأش. كانت طفلة رزينة.

على نحو مضحك قالت ممتاز حين لم ترها على مدار يومين، كيف حال طفلتي الغالية، أما زلت سعيدة بعودتك للحياة؟ قالت نازنين «ليس لدي شكاوى أو تدمات أخبرك بها. إنني أخبر الله بكل شيء».

ما لا يمكن تغييره لا بد أن يولد، وبما أنه لا شيء يمكن أن يتغير كان على كل شيء أن يولد. هذه القاعدة أدارت حياتها. كانت بمنزلة مانترا^(٥) وضع محدد. لذا عند سن الرابعة والثلاثين بعدما رزقت بثلاثة أطفال وطفل ارتحل عنها، عندما كان لها زوج عبثي وقد ابتليت بعاشق ملح، حينما لم تستطع للمرة الأولى الانتظار حتى يتكشف المستقبل، بل كان عليها أن تفعل ذلك بنفسها. أفزعتها قوتها الخاصة كطفل يلوح بقبضة مطبقة يضرب بها على عينه.

ولدت حسينة أختها بعد أن قضت بانيسا نحبها بثلاثة أيام فقط (عن مائة وعشرين سنة) لم تصغ إلى أحد. عندما بلغت السادسة عشرة، حين أصبح جمالها من الصعب ألا تمتلكه أو على الأقل تنظر إليه، هربت إلى خولنا مع ابن صاحب المنشرة. راح حميد يصر بأسنانه بينما يقر بجواره فأس. على مدار ستة عشر نهارا حارا وليل بارد كان يجلس بين شجرتي الليمون اللتين تعلمان مدخل الحي. في هذا الوقت كان شغله الشاغل

(٥) مانترا Mantra: في الهندوسية والبوذية «كلمة السر - الكلمة المفتاح» يعتقد أنها تمتلك قوة خاصة، كما يمكن استخدامها في بداية التأمل والصلوات - المترجم.

رمي الكلاب الرقطاء التي تتسكع وراء مقلب النفاية بالطوب وسب ابنته الخنزيرة العاهرة التي كان يجب أن يُقطع رأسها منذ اللحظة التي راحت تحبو فيها. في هذه الليالي كانت نازنين تضطجع مستيقظة، تصغي لخشخشة سطح الصباح المموج (السقف)، وهى تجفل عند صيحات البومة التي لم تعد تبدو مثل صيحات البومة بل تبدو أكثر مثل فتاة مقتولة بفأس في ظاهر عنقها. لم تأت حسينة، وحميد عاد إلى الإشراف على العمال في حقول الأرز. ولكن على مدار درستين لم تتخللها سوى استفزازات بسيطة لم تكن لتعرف أن لديه بنتا ضالة.

بعد ذلك مباشرة، عندما سألها أبوها إذا كانت تود أن ترى صورة للرجل الذي ستتزوجه في الشهر التالي، هزت نازنين رأسها وأجابت «أبا من الجميل أنك اخترت زوجي، أتمنى أن أكون زوجة صالحة مثل أمّا».

لكن عندما استدارت للانصراف لمحت من دون قصد أين وضع أبوها الصورة.

حدث أن رأتها. هذه الأشياء تحدث. كانت تحمل الصورة دائما في رأسها عندما تتمشى تحت أشجار الأثاب مع أولاد عمها. كان الرجل الذي ستتزوجه عجوزا، على الأقل في الأربعين من عمره. كان له وجه يشبه ضفدعة. سوف يتزوجان وسوف يصطحبها معه عائدا إلى إنجلترا. جالت ببصرها عبر الحقول التي راحت تتألق باللون الأخضر والذهبي في ضوء المساء الواهن. على البعد ثمة صقر كان يحوم، هوى مثل حجر ثم صعد من جديد وراح يحلق قبالة السماء حتى تلاشى إلى لاشيء.

ثمة كوخ وسط الأزر كان يبدو في المكان الخطأ! كان خجلانا، متداعيا من أحد جوانبه، محاولا الاختباء. الإعصار الذي سَوَّى نصف القرية المجاورة بالأرض اصطفى هذا الكوخ ليبقى عليه، لكنه قام بترحيله من مكانه. في القرية كانوا لا يزالون يدفنون موتاهم ويبحثون عن جثث. راحت البقع السوداء تنتشر في الحقول البعيدة. كان البشر يفعلون ما بوسعهم في هذا العالم.

تور هامليتس، لندن، ١٩٨٥

لوّحت نازنين لسيدة الوشم. سيدة الوشم كانت دائما هناك عندما تطل نازنين عبر الأعشاب الجافة وأحجار الرصيف المتكسر على المجمع السكنى المقابل. معظم الشقق المقفلة من ثلاثة جوانب كانت لها ستائر شبكية والحياة من ورائها عبارة عن أشباح في أشباح. غير أن سيدة الوشم لم تكن لديها ستائر قط. كانت تجلس صباح مساء بفخذيها الكبيرتين اللتين تفيضان على جانبي الكرسي، تميل إلى الأمام لتسقط رماد السيارة في وعاء، ثم تميل إلى الخلف لأجل جرعة من كأسها، في هذه اللحظة كانت تشرب ثم قذفت العلبة خارج النافذة.

كان الوقت منتصف النهار. انتهت نازنين من شغل البيت. سوف تشرع على الفور في إعداد وجبة المساء. بيد أنها سوف تترك الوقت يمر لبرهة. كان الطقس حارا والشمس تخطت الإطارات المعدنية للنافذة وراحت تسطع بعيدا عن الزجاج. ثمة ساري أحمر مذهب كان معلقا في شقة بالدور الأعلى في مجمع روزميد السكنى. صدرية طفل وملابس صغيرة مخيطة تحته في دور منخفض. كانت اللافتة المثبتة على المبنى القرميدي مكتوبة بحروف إنجليزية كبيرة وسميكة والأشكال اللولبية تحتها بنغالية. لم يكن هناك طفح ولا سيارات مركونة. ليس هناك ألعاب بالكرة. رجلان هرمان يرتدي كل منهما بيجامة بنغالية وقلنسوة، كانا يسيران على امتداد الطريق في تودة كأنما لا يريدان أن يذهبا

إلى المكان الذي يذهبان إليه. ثمّة كلب نحيل راح يتشمم المسافة حتى وسط الأعشاب ثم تبرّز. كان النسيم على وجه نازنين ثقيلًا محملاً بالرائحة المنبعثة من الصناديق المكتظة بالقمامة.

مرت ستة شهور الآن منذ أرسلوها بعيدا إلى لندن. كل صباح قبل أن تفتح عينيها كانت تفكر «لو كنت من الطراز الذي يتمنى، أعرف ما كنت سأتمناه»، ثم تفتح عينيها لترى وجه شانو المنتفخ على الوسادة بجانبها، شفاته منفرجتان انفراجة ساخطة حتى وهو نائم. ترى التسريحة القرنفلية بالمرآة ذات الحواف المجعدة، ودولاب الملابس الضخم الذي يتطلب معظم الحجرة. هل هذا احتيال، أن تفكر «أعرف ما كنت سأتمناه»، أليس هذا ما يحدث عند القيام بأمنية؟ لو كانت تعرف ما الأمنية لكانت قد قامت بها بالفعل في مكان ما بقلبها.

لوّحت سيدة الوشم في المقابل لنازنين. جثت على ذراعيها وكثفيتها والمناطق المتاحة من أردافها. تتأبّت ثم أشعلت سيجارة، كان ثلثا الجزء المكشوف من جسمها على الأقل مغطى بالوشم. لم تكن نازنين قريبة (لا أقرب من هذا ولا أبعد) لتتبين شكل الرسومات. قال شانو إن سيدة الوشم من ملائكة الجحيم^(٦)، الشيء الذي أزعج نازنين. اعتقدت أن الرسومات ربما كانت عبارة عن زهور أو طيور. كانت قبيحة وجعلت من سيدة الوشم أكثر قبحا من اللازم. لكن من الواضح أن سيدة الوشم لم تكن تعبا. في كل مرة تراها نازنين كانت تحمل نظرة الضجر والانفصال نفسها. هذه الحالة نفسها كان يبحث عنها سادهاوس^(٧) الذي

(٦) الهيلز أنجلز: جماعة من راكبي الدراجات البخارية المتهورين - المترجم.

(٧) سادهاوس: يشبه الدرويش في الهندوسية - المترجم.

يسير مرتدياً أسمالاً بالية في قرى المسلمين، غير مكترث بطيبة الغرباء والشمس القاسية.

فكرت نازنين أحياناً في النزول وعبور الساحة وصعود سلم روزميد إلى الطابق الرابع. ربما اضطرت لطرق بضعة أبواب قبل أن تجيب سيدة الوشم. كانت ستأخذ شيئاً ما، هدية من الساموسا^(٨) أو بهاجي^(٩). سيدة الوشم كانت ستبتسم ونازنين ستبتسم وربما كانتا ستجلسان معاً بجوار النافذة وتجعلان الوقت يمر في يسر أكثر. فكرت في هذا لكنها لم تكن لتذهب. فربما أجاب الغرباء لو طرقت الباب الخطأ. وربما تغضب سيدة الوشم عند مقاطعة غير مرغوب فيها. كان من الواضح أنها لا تحب أن تترك كرسيها. وحتى إذا لم تغضب ماذا سيكون الموضوع؟ نازنين في استطاعتها أن تقول شيئاً بالإنجليزية! أسفة وشكراً. يمكنها أن تقضي يوماً آخر بمفردها. إنه يوم آخر فقط.

يجب أن تواصل تجهيز وجبة المساء. لحم الضأن بتوابل الكاري كان جاهزاً. لقد أعدته من الليلة السابقة بالطماطم والبطاطس الطازجة. كانت هناك دجاجة في الفريزر منذ آخر مرة دُعي فيها الدكتور أزداد لكنه ألغى الموعد في اللحظة الأخيرة. مازال أمامها تجهيز الدال وأطباق الخضراوات وصحن التوابل وغسل الأرز وإعداد الصلصة من أجل السمك الذي سيحضره شانو هذا المساء، سوف تقوم بشطف الأكواب ومسحها بورق جريدة لجعلها تلمع، مفرش الطاولة عليه بعض البقع يجب إزالتها، ماذا

(٨) الساموسا: فطيرة هندية مثلثة تحشى بالبطاطس أو الخضراوات أو اللحم - المترجم.

(٩) بهاجي: طبق هندي يعد من الخضراوات - المترجم.

يحدث لو ساء الأمر؟ فربما يتعجن الأرز، وربما تضع الملح بزيادة في الدال وربما ينسى شانو السمك.

لم يكن سوى العشاء، عشاء واحد، ضيف واحد. تركت النافذة مفتوحة، واقفة على الأريكة، تناولت القرآن الكريم من الرف العالي الذي صنعه شانو مجبرا خصيصا له. عقدت عزمها بحماس على قدر الإمكان، باحثة عن ملاذ من الشيطان بقبضتين مطبقتين وأظافر مغروزة في راحتها. ثم اختارت صفحة بشكل عشوائي وشرعت في القراءة:

(ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا).

هدأت الكلمات من اضطرابها وأصبحت راضية. حتى الدكتور أزداد لا يمثل شيئا بالنسبة إلى الله. لله ما في السماوات وما في الأرض. كررتها بضع مرات بصوت عال. أصبحت رابطة الجأش، لا شيء يمكن أن يعكر صفوها إلا الله إذا أراد ذلك.

ربما أزيد وأرعد شانو لكون الدكتور أزداد مدعوا على العشاء. فليتذمر، فله ما في السماوات وما في الأرض. كيف يبدو هذا باللغة العربية؟ أكثر جمالا منه حتى بالبنغالية، افترضت ذلك لأن هذه كلمات الله الفعلية.

أغلقت الكتاب وقلبت نظرها في الحجرة لتتأكد أنها مرتبة كما ينبغي. كتب شانو وأوراقه مكدسة تحت المنضدة. يجب نقلها وإلا لما استطاع الدكتور أزداد أن يدخل قدميه. الأبسط التي رفعتها من النافذة من قبل وضربتها بمنفضة خشبية في حاجة

إلى بسطها من جديد . كانت هناك مجموعة أبسطة: أحمر وبرتقالي وأخضر وأرجواني وبني وأزرق . السجادة صفراء ذات رسم نباتي أخضر، قال شانو إنها مائة بالمائة نيلون ولا تبلى بسهولة . الأريكة والكراسي بلون روث ماشية جاف حيث يعد لونا عمليا . كان لديهما بعض المفارش البلاستيكية فوق مساند الرأس لحمايتها من زيت الشعر الذي يستعمله شانو . كان هناك كثير من الأثاث يفوق ما رأته نازنين من قبل في غرفة واحدة، حتى لو أخذت كل الأثاث الموجود في الحي السكني من كل جهر^(١٠) عم وعمة فلن يرتقي إلى مستوى هذه الغرفة . كانت هناك منضدة خفيفة بسطح زجاجي وأرجل من البلاستيك برتقالية اللون، وثلاث طاولات خشبية صغيرة مكدسة معا . الطاولة الكبيرة التي كانوا يستخدمونها لوجبة المساء، خزانة الكتب وصوان زاوية، رف للكتب، وطاولة ذات عجلات مكتظة بالملفات والدوسيهات، الأريكة والكرسي ذو الذراعين، سنادتان للأرجل، ستة كراسي سفرة وخزانة العرض . الجدران مكسوة بورق حائط أصفر ذي مربعات ودوائر بنية اللون مصطفة بانتظام من أعلى ومن أسفل . لا أحد في جوريبور لديه شيء مثلها . كان أبوها ثاني أغنى رجل في القرية ولم يحظ قط بشيء كهذا . لقد أقام لها عرسا جيدا . كانت هناك أطباق معلقة على الحائط متصلة بخطافات وأسلاك، لم تكن مخصصة للأكل بل للعرض فقط . بعضها مطلي بطلاء ذهبي يسميه شانو «رقائق ذهبية» . شهاداته مؤطرة ومختلطة بالألواح . كانت تنعم بكل شيء هنا . كل هذه الأشياء

(١٠) جهر: بيت بالبنغالية - المترجم .

الجميلة. أعادت المصحف مكانه. بجواره كان يقر أكثر الكتب قداسة ملفوفا في واق قماشى: القرآن باللغة العربية. راحت تلامس القماشة بأناملها.

أجفلت نازنين أمام الفاترينة الزجاجية المكتظة بحيوانات فخارية، وأشكال من الصيني وفاكهة بلاستيكية. كل منها يجب أن ينفذ الغبار عنه. تعجبت كيف دخل الغبار ومن أين أتى. وعندئذ، لأنها تركت ذهنها يتقل ويتشتت من جديد. بدأت تتلو من القرآن واحدة من السور التي تعلمتها في المدرسة. لم تكن تدري ماذا تعني الكلمات لكن إيقاعها هدأ من روعها. كان شهيقها يصاعد من أعماقها. زفير وشهيق هادئ صامت. راحت نازنين في النوم على الأريكة. فطفقت تطل على حقول الأرز ذات اللون الأخضر المشوب بزرقة وتسبح في البحيرة الباردة العميقة. راحت تسير ذراعا بذراع مع حسينة إلى المدرسة، وتتقافزان بعض الشيء فوقعتا وراحتا تنفضان التراب عن ركبتيهما بأيديهما. وراحت طيور المينة تصيح بين الأشجار، والماعز تضطرب، وجواميس الماء الضخمة الحزينة تمر مثل جنازة، والسماء التي فوقهما كانت رحيبة وصافية والأرض ممتدة للأمام. وكان في استطاعتها أن ترى نهايتها البعيدة حيث تتلاشى السماء مع الأرض في خط داكن الزرقة.

عندما استيقظت كانت الساعة تقترب من الرابعة. أسرعت إلى المطبخ وشرعت في فرم البصل والنوم مازال في عينيها، لذا لم يمر وقت طويل قبل أن تجرح إصبعها. جرح غائر في السبابة اليسرى، أسفل الأظفر مباشرة. فتحت الصنبور البارد ووضعت

يدها تحته . ماذا تفعل حسينة؟ هذا الخاطر كان يجول برأسها على الدوام . ماذا تفعل في الوقت الحالي؟ لم يكن مجرد خاطر بل كان إحساسا ، طعنة في الصدر . الله وحده يعلم متى سترها من جديد .

أقلقها أن حسينة كانت تقاوم القدر . لا خير يمكن أن يأتي من هذا . ليس ثمة شخص واحد يستطيع أن يقول ذلك . ولكن من الناحية الأخرى إذا تبصرت حقا في الأمر ، فكرت فيه مليا ، كيف لك أن تتأكد أن حسينة لم تكن ببساطة تتبع قدرها؟ فإذا كان القدر لا يمكن تغييره ، لا يهم كيف تقاومه ، فربما قدر لحسينة أن تهرب مع مالك . ربما قاومت ذلك ، وذلك ما لم تستطع أن تغيره . أوه ، تعتقد أن الأمر سيكون سهلا ، الوقوف على قرار . منذ أمد طويل لتكون رهن إشارة القدر . ولكن كيف لك أن تعرف أي طريق ينادي عليك منه؟ وكان هناك كل يوم تعيشه إذا عاد شانو للبيت هذا المساء ووجد المكان غير مرتب والتوابل ليست مصحونة بدورها هل يمكنها أن تضع يديها هكذا وتقول : لا تسألني لماذا لم أجهز أي شيء ، فلم يكن أنا الذي قرر ذلك ، إنه القدر . الزوجة يمكن أن تضرب لأتفه سبب . لم يقم شانو بضربها بعد . لم يبد إشارة تدل على الرغبة في ضربها . لقد كان في الواقع عطوفا ودمثا ، على الرغم من ذلك كان من الحماقرة أن تفترض أنه لن يضربها . كان يعتقد أنها «عاملة ماهرة» (لقد سمعته بالمصادفة وهو يتحدث في التلفون) سوف يفاجأ إذا وقعت في زلة .

«إنها فتاة غير مدللة ، قادمة من الريف» لقد استيقظت ذات ليلة لتحضر كوب ماء . كان هذا بعد أسبوع من زواجها . انصرفت

لتنام بينما كان شانو لم يزل مستيقظا، وهو يتحدث في التلفون.
عندما كانت تقف خارج الباب كان شانو يقول:

«لم أكن لأقول ذلك. ليست جميلة ولكن ليست بهذا القدر
من القبح أيضا. الوجه كبير، جبهتها عريضة. العينان ضيقتان
قليلا». وضعت نازنين يدها على جبهتها. هذا صحيح. كانت
الجبهة كبيرة غير أنها لم تفكر في أن عينيها ضيقتان جدا.

«ليست طويلة. ليست قصيرة. نحو خمسة أقدام. الوركان
هزيلان قليلا لكنني أعتقد أنهما عريضان بما يكفي لحمل
طفل. جميع الأشياء مدروسة. إنني راض. ربما عندما تكبر
سوف تثبت لها لحية في ذقنها لكنها الآن لم تبلغ سوى الثامنة
عشرة. وعم أعمى أحسن من عدمه»، وركان هزيلان! يمكنك أن
تأمل في خطأ كهذا، قالت نازنين ذلك في نفسها وهي تفكر في
ثايا الترهلات التي تتدلى من بطن شانو. كان من الممكن أن
تدس أقلامك الجافة والرصاص المائة تحت هذه الثايا وتحفظ
بها على نحو آمن ومحكم. يمكنك أيضا أن تدس كتابا أو كتابين
بالإضافة إلى ذلك، هذا إذا استطاعت ساقاك النحيلتان أن
تتحمل الثقل، «ما هو أكثر من ذلك أنها عاملة ماهرة. تنظيف،
طبخ وما شابه. الشكوى الوحيدة التي يمكن أن أشكوها هي أنها
لا تستطيع أن ترتب ملفاتي بالتسلسل لأنها لا تعرف الإنجليزية.
أنا لا أشكو على الرغم من ذلك، فكما قلت فتاة من الريف غير
مدللة بالمرّة».

استمر شانو في التحدث، غير أن نازنين انسلت عائدة إلى
السريير، «عم أعمى خير من عدم وجود أعمام»، زوجها لديه

مثل لكل شيء. أي زوجة أحسن من عدمها. شيء ما أحسن من عدمه. ما الذي قد توهمته؟ أنه قد أحبها؟ أنه ممتن لأنها هي الصبية والحلوة قد ارتضت به؟ وذلك في تضحية بنفسها في سبيله، وأنها كانت تحظى بشيء ما؟ أجل، أجل. أدركت في سرعة خاطفة أنها قد توهمت كل هذه الأشياء. يا لها من فتاة حمقاء، يا لها من تصورات بعيدة، أي اعتداد بالنفس لديها.

يظهر أن النزيف قد توقف. أغلقت نازنين الصنبور ولفت قطعة من بكرة المطبخ حول إصبعها، من كان يتحدث إليه شانو في ذلك اليوم؟ ربما كانت مكاملة من بنجلاديش، قريب لم يحضر حفل الزفاف. ربما كان الدكتور أزداد. الليلة سوف يرى بنفسه الجبهة الكبيرة والعينين الضيقتين للغاية. رشحت دماء من الجرح، نزعنا لفافة المطبخ وشاهدت القطرات الحمراء تسقط في الحوض الفضي. راحت القطرات تتسحب معا مثل الزئبق ثم انسابت في المجرى. كم من الوقت يلزم لتفريغ إصبعها من الدم، قطرة قطرة؟ كم من الوقت يلزم الذراع؟ ويلزم الجسم، الجسم بأكمله؟

أكثر ما كانت تفتقر إليه هو الناس. ليس أناسا بعينهم (بعيدا بالطبع عن حسينة) بل مجرد أناس، لو وضعت أذنيها على الحائط لتسنى لها أن تسمع أصواتا، التلفزيون المفتوح، سعال أحيانا، تدفق المغسلة، شخص ما بالطابق الأعلى يجرجر كرسيها، توليع عود ثقاب أسفل. الجميع في أكشاكهم يحصون ممتلكاتهم.

طيلة أعوامها الثمانية عشر لا يمكنها أن تتذكر إلا نادرا أنها عاشت بمفردها لحظة واحدة حتى تزوجت وأتت إلى لندن

لتجلس يوما بعد يوم في هذا الكشك الكبير مع أثاث تنفض عنه الغبار. والصوت المكتوم للحياة الخاصة محكم دائما من فوقها وتحتها وحولها. تفقدت نازنين إصبعها. لقد توقف النزيف من جديد. عرضت على بالها أفكار. سوف تكلم شانو من أجل ساري جديد. لم يقل أبا لها وداعا. فكرت أنه سوف يأتي في الصباح قبل أن يذهب إلى دكا، إلى المطار ولكن عندما استيقظت كان قد غدا بالفعل إلى الحقول. هل ذلك لأنه كان يهتم بها بدرجة مفرطة أو لأنه كان يهتم بها بدرجة قليلة؟ كانت في حاجة إلى مزيد من ورنيش الأثاث ومادة تبيض للمغسلة. هل سيود شانو إزالة الأجزاء المتصلبة في قدمه هذه الليلة أيضا؟ ماذا تفعل حسينة؟

ذهبت إلى حجرة النوم وفتحت خزانة الملابس، كان الخطاب في درج الأحذية في القاع. جلست على السرير لتقرأه وقداها تكادان تلامسان الضلقات المطلية باللون الأسود. أحيانا كانت تحلم أنها محبوسة بداخلها وأنها أخذت تطرق وتطرق ولا أحد يسمع.

«أحمد ابن عمنا أعطاني عنوانك، شكرا لله، سمعت عن زواج وأدعو مرات عديدة في يوم زفافك وأدعو أيضا الآن.

أدعو أن يكون زوجك رجلا طيبا. سوف تكتبين وتخبرينني بكل شيء. سعيدة للغاية الآن. خائفة تقريبا وبصعوبة أجرؤ على فتح عيني. لماذا هذا؟ ما الذي يجلب الخوف؟ لم يضعني الله على الأرض فقط لأعاني. أعلم ذلك على الدوام حتى عندما لا تأتي الأيام بنور.

عم مالك حصل له على وظيفة درجة أولى بشركة السكة الحديد، هذا العم واصل جدا في السكة الحديد. مالك يخرج مبكرا في الصباح ويعود متأخرا. لا يعرف كثيرا عن القطارات ومثل هذه الأشياء لكنه يقول أيضا كذلك هذا لا يهم. المهم أن تكون ذكيا. لا أحد أذكى من زوجي. هل يمكنك أن تصدقي؟ نحن نعيش في وحدة من الشقة بارتفاع ثلاثة طوابق. مكاننا يحتوي على حجرتين. ليس هناك شرفة غير أنني أصعد إلى السطح. توجد أرضية من حجريتلج قدميك. لدينا سرير بنابض معدني. خزانة وكريسيان في حجرة النوم. أطبق الساري وأضعه في صندوق تحت السرير. في غرفة الجلوس لدينا ثلاثة كراسي من الخيزران وبساط ومقعد (يحب مالك أن يضع عليه قدميه) قفص مؤقت فقط حتى نشترى طاولة، كذلك موقد كيروسين أغطيه بشال لجعل المكان مرتبا. قدري والطاسات محفوظة داخل القفص بالكاد، أي صراصير فقط واحد ربما اثنان أراهما من وقت إلى آخر.

على الرغم من أننا ليس لدينا شيء، فأنا سعيدة، لدينا الحب، الحب هو السعادة، أحيانا أرغب في العدو والقفز مثل ماعز. هذا ما نفعله في طريقنا للمدرسة. لكن ليس هناك مجال كثير وأنا في السادسة عشرة من عمري، ومع ذلك امرأة متزوجة. كل شيء على ما يرام. لا أترك لساني يثير المتاعب لأنه كما يقول زوجي فقط، وجود رجل عطوف على زوجته لا يعنى أنها تستطيع أن تقول ما تشاء، لو فهم النساء هذا لن يضرب أحد. مالك عنده وظيفة درجة أولى. أتضرع من أجل طفل. أتضرع

أن تغضّر أم مالك جريمة زواجنا . سوف يحدث . سيأتي الوقت الذي تحبني فيه كابنها . لو أنا مخطئة فهي أم غير حقيقية . لأن الأم تحب كل جزء من ابنها . وأنا الآن جزء منه . لو كانت أمي على قيد الحياة هل تعتقدين أنها تغضّر هذا الأمر، أبي لا يستطيع أن يغضّر؟ مرة أعتقد أنها حقا تفعل ذلك . مرات عديدة أعتقد لا وعندها أنا غاضبة وحزينة أيضا .

أختي أفكر فيك كل يوم وأبعث الحب . أبعث احتراما لزوج . الآن أصبح لديك عنوان وسوف تكتبين وتقولين كل شيء عن لندن . إن الأمر يجعلني أرتجف أنك بعيدة جدا هكذا تتذكرين هؤلاء ، القصة التي نسمعها عندما كنا أطفالا التي تبدأ على هذا النحو: «ذات يوم كان هناك أمير يعيش في الأرض البعيدة المعزولة على مبعدة سبعة بحور وثلاثة عشر نهرا» هكذا أفكر فيك الآن . لكن كأمية^(١١) .

نحن يرى بعضنا بعضا منذ وقت طويل مرونا بنات صغار من جديد^(١٢) .

شخص ما كان يطرق الباب الأمامي للشقة . فتحت نازنين الباب مواربة والسلسلة معلقة ثم أغلقته بينما قامت بنزع السلسلة وفتحته تماما ، كانت السيدة إسلام تخبر راضية إقبال «لا أحد يقول ذلك في وجهه . الجميع يقولون ذلك من وراء ظهره . أنا لا أحب هذا النوع من النميمة» . تبادلنا نازنين السلّامات مع

(١١) سبعة بحور وثلاثة عشر نهرا يبدو أنها اقتباس من مجموعة «القمر الهلال لطاغور»، كذلك تعد استهلالا لكثير من القصص البنغالية - المترجم .

(١٢) الخطاب من فتاة بنغالية تتحدث الإنجليزية بركاكة، استلزم الأمر ظهور هذا التوتر اللغوي في الترجمة العربية على مدار خطاباتهما - المترجم .

زائريها وذهبت لإعداد الشاي، طبقت السيدة إسلام مناديل ورق وهى تفرد نفسها من الأريكة إلى الطاولة الخفيضة وطوتها على أكمام سترتها المحبوكة ذات الكرات. قالت راضية «نشر الشائعات هو تسليتنا القومية. هذا لا يعني أنه شيء حسن. غالبا لا يكون فيه مزقة من حقيقة». رمقت بطرفي عينيها نازنين التي كانت تجهز أدوات الشاي. «ما هذا الذي يقولونه هذه المرة؟ لو سمعته من شخص آخر أستطيع أن أطلعهم مباشرة على كل شيء».

قالت السيدة إسلام: حسن، وأسندت ظهرها إلى حشو التتجيد البني. كماها راحا ينتفخان ويفرغان. كانت ترتدي شبشب بيتي على جوارب سوداء. نظرت نازنين من خلال الزجاج إلى مركز الطاولة وشاهدت قدمي السيدة إسلام تتلويان في إثارة لم يدها وجهها.

«يجب أن تضعي نصب عينيك أنها لم تتجب أطفالا. هذا بعد إحدى عشرة سنة زواجا».

قالت راضية «حقا، ذلك صحيح، هذا أسوأ شيء بالنسبة إلى أي امرأة»، وعلى ارتفاع ستة عشر طابقا، إذا قررت أن تقفزي، تضعين النهاية للأمر، أخرجت السيدة إسلام منديلا ورقيا وجففت قليلا من العرق انساب من منبت شعرها. مجرد النظر إليها كان يجعل نازنين تشعر بحرارة لا تطاق.

«ليست هناك فرصة للقضاء على أبله، إذا قفزت من هذا الارتفاع» وافقت راضية. أخذت فنجانا من نازنين وأمسكته بيديها اللتين لهما حجم يد رجل. كانت ترتدي حذاء برياط كبير ونعل سميك. لم يكن سوى الساري هو الذي يبدو غريبا عليها

«لكن بالطبع كانت مجرد حادثة. لماذا تقول عكس ذلك؟»
قالت السيدة إسلام «حادثة فظيعة، لكن الجميع يتهامون
من وراء ظهر الزوج»

ارتشفت نازنين شايبها، كانت الساعة الخامسة وعشر دقائق
وكل ما فعلته فرم بصلتين. لم تسمع عن الحادثة. لم يذكر شانو
شيئاً. أرادت أن تعرف من هذه المرأة التي ماتت بهذا الشكل
المؤسف. صاغت بعض الأسئلة في ذهنها، صاغتها في كلمات
وأعادتها صياغتها. قالت راضية «إنه عار» ابتسمت لنازنين،
اعتقدت نازنين أن راضية لا تبدو كأنها بالفعل تعتقد ذلك.
عندما ابتسمت بدت متسلية بشدة على الرغم من أن فهمها لم
يرتفع إلا قليلاً ليبدل على الحزن أكثر من الضحك. كان لها
أنف طويل وعينان ضيقتان تنظر إليك دائماً من طرفيهما، ليس
من الأمام مباشرة. لذا كانت تبدو على الدوام أنها تقدرك إذا
لم تكن تسخر منك. أومأت السيدة إسلام مشيرة إلى أن ذلك
بالفعل عار. أخذت منديل ورق جديداً وتمخطت. بعد فترة صمت
مقبولة قالت «هل سمعت عن جورينا؟».

قالت راضية «أنا أسمع هذا وذاك...». كما لو أنه ليست
هناك أخبار عن جورينا يمكن أن تثير اهتمامها «وما رأيك في
ذلك؟».

قالت راضية وهي تخفض عينيها إلى شايبها «ذلك يعتمد على
أي شيء تقصدينه على وجه التحديد».
«أنا لا أقول شيئاً غير معروف بالفعل. لا يمكنك أن تبقيه
سراً بمجرد خروجك للعمل».

رأت نازنين أن راضية رفعت بصرها بوضوح. راضية لم يكن لديها علم بالأشياء التي تعرفها السيدة إسلام. كانت السيدة إسلام تعرف كل شيء عن كل شخص. لقد استقرت في لندن منذ قرابة ثلاثين عاما، وإذا كنت بنغاليا هنا ماذا يمكنك أن تخفيه عنها. السيدة إسلام كانت أول شخص يتردد على نازنين في تلك الأيام القليلة الأولى عندما كانت رأسها مازالت تدور والنهارات جميعها عبارة عن أحلام والحياة الحقيقية لا تأتي لها سوى ليلا عندما تنام. وصف شانو السيدة إسلام بأنها محترمة. ليس هناك أناس كثيرون محترمون بما يكفي لتتصلي بهم أو تمرى عليهم.

قال شانو عندما راح يشرح ذلك للمرة الأولى «أنت ترين معظم ناسنا هنا سيلاهيتيين^(١٣) فهم جميعا ملتصقون معا لأنهم جاءوا من المقاطعة نفسها. يعرف بعضهم بعضا من القرى. وهم يأتون إلى تور هاملتس ويعتقدون أنهم في القرية من جديد. معظمهم يغادرون من السفن. تلك هي الطريقة التي يجيئون بها. يحصلون على وظائف حقيرة على السفينة. يقومون بأعمال شاقة أو يتخفون عن الأنظار في العنابر مثل فئران حقيرة». تتحنج وراح يتحدث إلى خلفية الحجرة. لذا أدارت نازنين رأسها لترى من ذلك الذي يخاطبه. وعندما يغادرون من السفينة ويهرعون إلى هنا كأنهم في ديارهم. وأنت ترين أننا بالنسبة إلى أي شخص أبيض جميعنا على الشاكلة نفسها. قرود حقيرة قذرة. جميعنا من عشيرة القرود نفسها، غير أن هؤلاء الناس

(١٣) نسبة إلى سيلهيت، وهي مدينة تقع شمال شرق بنجلاديش - المترجم.

فلاحون، غير متعلمين، أميون، محدودو الأفق. بلا طموح، عاد وجلس مرة أخرى ومسد بطنه «أنا لا أحقرهم ولكن ماذا يمكنك أن تفعل عليه لو أن شخصا ظل على الدوام يجر عربة جنركشة^(١٤) ولم يمسك في يده كتابا قط، فما الذي تتوقعينه منه؟

تعجبت نازنين من السيدة إسلام، فإذا كانت تعرف شؤون كل شخص لترتب على ذلك أنها تخالط كل شخص سواء كان فلاحا أو غيره، ومع ذلك تظل محترمة.

قالت راضية للسيدة إسلام «الخروج للعمل؟ ما الذي حدث لزوج جورينا؟» قالت السيدة إسلام «لم يحدث شيء لزوج جورينا»، كانت نازنين تتعجب من الطريقة التي تخرج بها الكلمات من فمها مثل طلقات. كان قد فات الأوان على السؤال عن المرأة التي هوت من الدور السادس عشر.

«زوجها مازال يعمل» قالت راضية كما لو كانت الشخص الذي يمدهم بالمعلومات «الزوج يعمل لكنه مازال غير قادر على سد رمقها. في بنجلاديش مرتب واحد يمكن أن يطعم إحدى عشرة امرأة إلا أنه لا يكفي لسد رمق جورينا». «أين تذهب، إلى مصنع الملابس؟»

«تخالط كل الأنواع: أتراك، إنجليز، يهود، كل الأنواع»، قالت السيدة إسلام «أنا لست من الطراز القديم، أنا لا أرتدي البركا^(١٥). إنني أفكر في الحجاب، الذي يعد أهم شيء. إضافة إلى أنني أرتدي السترات والبرقات ووشاحا لرأسى. ولكن إذا خالطت كل هؤلاء الناس، حتى لو كانوا

(١٤) جنركشة: عربة تستخدم في التنقل يجرها أشخاص - المترجم.

(١٥) بركا: رداء نسائي طويل يغطي الجسد كله - المترجم.

أناساً طيبين عليك أن تتخلى عن ثقافتك لتتقبلي ثقافتهم.
هكذا هي الحال».

قالت راضية «مسكينة جورينا، هل تستطيعين أن تتصوري»،
قالت لنازنين التي لم تستطع أن تتصور.

واصلن الحديث وقامت نازنين بإعداد مزيد من الشاي وردت
على بعض الاستفسارات عن نفسها وعن زوجها وكانت تشك
طوال الوقت بخصوص العشاء واستحالة ذكر أي شيء لضيفتيها
اللتين يجب الترحيب بهما.

أوضح شانو لها «الدكتور آزاد يعرف السيد دالواي، وهو
ذو نفوذ. لو أوصى بي ستكون الترقية على الفور. هكذا تسير
الأمور، تأكدي من أنك طحنت التوابل كما ينبغي وقطعت اللحم
قطعا كبيرة. لا أريد قطعاً صغيرة هذا المساء».

سألت نازنين عن أطفال راضية، ولد وبت، خمس وثلاث
سنوات، كانا يلهوان في منزل إحدى العمات. قامت ببعض
الاستفسارات عن التهاب المفاصل لدى السيدة إسلام، أشارت
السيدة إسلام لتدل على أن المفصل في الواقع أزعجها بدرجة
كبيرة غير أنه لا شيء تسنى لها أن تذكره، حيث جعلت من
نفسها رواقية، وعندئذ، عندما بدأ قلقها على العشاء.

يقبض صدرها، نهضت ضيفتها للانصراف. فأسرعت
نازنين لفتح الباب وهي تشعر بالوقاحة بينما تقف بجانبه،
منتظرة إياهما أن يذهبا.

الفصل الثاني

كان الدكتور آزاد رجلا صغير الحجم ودقيقا، وكان يتحدث على النقيض من العرف البنغالي عند مستوى لا يزيد عن الهمسة سوى بربع ديسبل. كان على أي شخص يرغب في سماع ما يقوله أن ينحني نحوه. لذا كان شانو طيلة المساء يبدي هيئة المتعلق الشديد بكل كلمة يقولها.

قال الدكتور آزاد عندما كانت نازنين تحوم خلف المائدة، مستعدة للقيام على خدمتهما «تعالى، تعالى، واجلسي معنا» قال شانو «زوجتي خجولة للغاية!» وأوما لها بالجلوس. قال الدكتور «هذا الأسبوع رأيت اثنين من شبابنا في حالة مؤسفة للغاية. قلت لهما مباشرة هذا خياركما: كفا عن شرب الكحول على الفور وإلا فبحلول العيد سوف ينتهي أمر كبدكما. منذ عشرة أعوام كان هذا لا يمكن تصوره. اثنان في أسبوع واحد! أما الآن فأطفالنا يقلدون ما يرونه هنا، الذهاب إلى الحانة، أو إلى الملاهي الليلية، أو احتساء الشراب بالمنزل في غرف نومهم حيث يعتقد آباؤهم أنهم في أمان تام. المشكلة تكمن في أن ناسنا ليسوا على دراية كما ينبغي في هذه الأمور» تناول الدكتور آزاد كوبا من الماء في شربة طويلة وصب لنفسه كوبا آخر، «دائما أشرب كوبين قبل أن أبدأ الطعام». شرب الكوب الثاني. «حسن الآن لن أفرط في الطعام» قال شانو «كل! كل! الماء مفيد لتطهير الجهاز، غير أن الطعام ضروري أيضا» راح يغرف لحما وأرزا بأصابعه ويمضغ. وضع قدرا كبيرا في فمه دفعة واحدة، محدثا أصوات مرقة وهو يأكل.

عندما تسنى له أن يتحدث من جديد، قال «أتفق معك فناسنا ليسوا على دراية في هذا، إضافة إلى أشياء كثيرة أيضا. ولكن

من جانبي فأنا لا أخاطر بحدوث تلك الأشياء لأطفالي. سوف نعود قبل أن يصبحوا فاسدين».

قال الدكتور هذا مرض آخر نبتلى به، أسميه مرض العودة إلى الوطن، هل تعلم ماذا يعنى ذلك؟ «توجه إلى نازنين». إنها تشعر بحرقان في ظاهر عنقها وتصوغ كلمات لا تغادر فمها. قال شانو «هذا طبيعي فهوّلاء الناس أصلا فلاحون وهم يفتقدون الأرض. إن جاذبية الأرض أقوى حتى من جاذبية الدم».

«وعندما يدخرون بما يكفي سوف يستقلون طائرة ويرحلون؟»

«إنهم في الواقع لا يغادرون الوطن قط. فأجسامهم هنا ولكن قلوبهم هناك، وعلى أي حال انظر إلى طريقة عيشهم: إنهم يعيدون خلق القرى هنا»

«لكنهم لن يدخروا قط بما يكفي للعودة» زود الدكتور أزيد نفسه بالخضراوات. كان قميصه أبيض بلا بقع وياقته وربطة العنق مرتفعتين تحت ذقنه حتى أنه ليبدو مفتقدا رقبة. لمحت نازنين بقعة زيتية صفراء على قميص زوجها حيثما أسقط الطعام.

واصل الدكتور أزيد «كل سنة يعتقدون، ليس سوى سنة أخرى. ولكن أيا كان ما يدخرونه فليس كافيا».

قالت نازنين «لم نكن نحتاج كثيرا جدا» نظر كلا الرجلين إليها. راحت تتحدث إلى طبقها «أقصد أننا بوسعنا أن نعيش بطريقة زهيدة للغاية». راح ظاهر عنقها يتحرق.

ملاً شأنو الصمت بضحكة. «إن زوجتي قد استقرت لتوها هنا». سعل واعتدل في كرسيه. «المسألة أنه مع الترقية القادمة سوف تبدأ الأمور في التحسن بالنسبة لي. لو أن ترقيتي تثبت، عندها سوف تصبح أشياء كثيرة في عداد الممكن».

قال الدكتور أزداد «كنت أفكر طيلة الوقت في العودة» كان يتحدث بهدوء مما اضطرت نازنين للنظر إليه مباشرة، فحتى تستوعب جميع الكلمات كان عليها أن تتابع شفثيه، حتى «كل سنة كنت أفكر، ربما هذه السنة، وكنت سأذهب في زيارة، أشتري بعض الأراضي الإضافية، أرى الأقارب والأصدقاء وأعقد العزم على العودة دائماً، بيد أنه على الدوام كانت تحدث أشياء. فيضان، إعصار يخفق عملية البناء تماماً، انقطاع التيار الكهربائي. شيء بليد من البيروقراطية الحقيرة، قبائل يجب أن تدفع لها من الباطن حتى تنجز كل شيء. وكنت أفكر، لا بأس ربما ليس هذه السنة، والآن لا أدري. لا أدري بالمرّة».

تتحنح شأنو «بطبيعة الحال لم يعلن عنها بعد. أناس آخرون قدموا طلبات غير أنه بعد سنوات خدمتي... هل تعلم أنني خلال ست سنوات لم أتأخر في يوم واحد! وليس سوى ثلاثة أيام مرضي بالقرحة. بعض زملائي مرضى بشدة، دائماً يمرضون بهذا أو ذاك. إنه أمر ليس بوسعي أن أضعه نصب عين السيد الدالوي، رغم ذلك أشعر أنه لا بد أن يكون مدركا لهذا.

قال الدكتور أزداد «أتمنى لك التوفيق».

«ثم أن هناك المنظور الأكاديمي، ففي ظرف شهر سَأصبح أكاديمياً متطوراً تماماً بدرجتين علميتين. واحدة من جامعة

بريطانية. درجة بكالوريوس الآداب مع مرتبة الشرف».

«إنني متأكد أن أمامك فرصة جيدة»

«هل أخبرك السيد دالواي»

هز الدكتور كتفيه الأنىقتين.

«رئيسي السيد دالواي. أخبرك أن لدي فرصة جيدة؟»

«كلا»

«قال إنني ليس لدي فرصة جيدة؟»

«لم يقل أي شيء قط. فأنا لا أعرف السيد المتحدث عنه».

«إنه أحد مرضاك. لقد حددت سكرتيرته موعدا من أجل أن

يعرض نفسه عليك بخصوص التواء كتفه. إنه لاعب اسكواش

ورجل نشيط جدا. ذو بنية متوسطة. شعر أحمر يحمل عدسات

لاصقة، ربما قمت بفحص عينيه أيضا».

«محتمل أن يكون مريضا. فهناك آلاف كثيرون في القائمة

الخاصة بزيائتي».

«ما يجب أن أخبرك به على الفور - أن لديه شفة مشقوقة.

حسن، إنها أصلحت، غير أنه يمكنك دائما أن تقول هذا. إن ذلك

يجب أن يضعك في مواجهته»

ظل الضيف هادئا. سمعت نازنين شانو يكتم تجشؤه. أرادت

أن تذهب إليه وتضرب جبهته. أرادت أن تقوم من على المنضدة

وتخرج من الباب وألا تراه ثانية.

«ربما يكون مريضا. أنا لا أعرفه» كان هذا بمثابة همس».

قال شانو «كلا، فهمت»

«بيد أنني أتمنى لك التوفيق».

قال شانو: إنني في الأربعين من عمري. وراح يتحدث بهدوء مثل الدكتور. من دون شيء من ثقته: «لقد مكثت في هذا البلد ست عشرة سنة. ما يقرب من نصف عمري» قام بفرغرة في حلق جاف. «عندما قدمت كنت شابا. كان لدي طموحات وأحلام كبيرة. عندما استقلت الطائرة كانت شهادتا التخرج في حقيبتي وبضعة جنيهاات في محفظتي. اعتقدت أن هناك سجادة حمراء ستكون مفروشة لأجلي. كنت أنوي الانضمام إلى الإدارة المدنية وأصبح السكرتير الخاص لرئيس الوزراء». عندما كان يروي قصته طفق صوته يتنامى حتى ملاً الحجرة. «كانت تلك خطتي. وعندها اكتشفت أن الأشياء مختلفة بعض الشيء. فهؤلاء الناس هنا لا يعرفون الفرق بيني، أنا الذي يستقل طائرة بشهادة علمية، وبين الفلاحين الذين يروغون من السفن وليس بحوزتهم سوى القمل فوق رؤوسهم. ماذا يمكنك أن تفعله؟» راح يكوم كرة من الأرز واللحم في أصابعه ويغزلها في الطبق.

«فعلت هذا وذاك. كل ما استطعت. عمل شاق للغاية. مقابل قليل للغاية. أكثر أو أقل الحق أقول أنني كنت أطارد جاموسا برياً. وأكل أرزي الخاص. هل تعرف هذا المثل؟ كل خطابات الاستجداء القادمة من الوطن أحرقتها وأخذت على نفسي عهدين. الأول أن أكون ناجحاً، مهما كان الأمر. والثاني أن أعود إلى بلادي عندما أصبح ناجحاً ولسوف أفي بهذين العهدين» شانو الذي قد ارتفع وارتفع في كرسيه عاد وهبط من جديد.

قال الدكتور أزداد «حسن جداً. حسن جداً» راح يتفقد ساعته.

قال شانو «مازال خطابات الاستجداء تفد من الخادمين العجائز، ومن أطفال الخادمين. أيضا من عائلتي، على الرغم من أنهم ليسوا في احتياج. غير أن كل ما يمكنهم أن يفكروا فيه هو النقود. إنهم يعتقدون أن ذهباً ملقى في الشوارع هنا وهناك وأنا فقط أقوم بادخاره كله في قصري. غير أنني لم آت إلى هنا من أجل النقود. هل كنت أتضور جوعاً في دكا، لم أكن. هل يسألون عن دبلوماسيتي؟ ينظر إلى الحائط حيث تظهر شهادات متنوعة في إطارات. إنهم لا يسألون. ما هو أكثر من ذلك...». تتحنح شانو على الرغم من أن حلقه كان بالفعل خالياً. نظر الدكتور آزاد إلى نازنين ومن دون قصد أعادت نظرتة، لذا قبض عليها مشتركة في جريمة النظرات معطاة ومستردة، حيث قالت شيئاً عن زوجها ما كان لها أن تقوله.

استمر شانو في الحديث. أنهى الدكتور آزاد الطعام في طبقه. بينما برد طعام شانو. راحت نازنين تتألق في طبق القرنبيط بالكارى. رفض الدكتور بهزة من الرأس بدوره أي زيادة أخرى من الطعام أو أي حلو. جلس ويدها مطويتان على المنضدة بينما شانو الذي وصل خطابه إلى النهاية راح يأكل على نحو مزعج. راح يتفقد ساعته من جديد.

في التاسعة والنصف قال الدكتور آزاد «حسن، أشكرك أنت وزوجتك على أمسية لطيفة للغاية ووجبة ممتعة»
تظاهر شانو أن الوقت مازال مبكراً. كان الدكتور حاسماً،
«دائماً أنام في العاشرة والنصف ودائماً أقرأ نصف ساعة في السرير قبل ذلك»

قال شانو «نحن المفكرين لا بد أن يتعلق بعضنا ببعض»
واصطحب ضيفه إلى الباب.

لو أخذت بنصيحتي، من مفكر إلى مفكر. سوف تأكل في
مهل أكثر وتمضغ جيدا أكثر وتأخذ نصيبا صغيرا من اللحم.
وإلا سوف أراك من جديد في العيادة مصابا بقرحة أخرى.
قال شانو «فكر فقط إذا لم أصب بالقرحة في المقام الأول
ما كان لنا أن نتقابل وما كان لنا أن نتناول هذا العشاء معا». قال
الدكتور «فكر فقط». لوح بوهن ثم اختفى خلف الباب.

كان التلفزيون مفتوحا. كان شانو يحب أن يظل متوهجا
في المساءات، مثل موقد في ركن الحجرة. أحيانا كان يتقدم
منه ويثيره بضغط الأزرار لكي يتوهج الضوء وتتغير الألوان.
في الأغلب كان يتجاهله. حملت نازنين كومة من آخر الأطباق
المتسخة لأخذها إلى المطبخ، غير أن الشاشة استوقفتها. رجل
يرتدي حلة ضيقة للغاية (ضيقة جدا مما جعل أجزاء جسمه
الخاصة بادية للعيان) وامرأة ترتدي تنورة لا تغطي حتى مؤخرتها
يتشبثان ببعضهما كأن قوة خفية تدفعهما خلال ميدان بيبضاوي.
كان المتفرجون يصفقون بأيديهم معا ثم توقفوا. عن طريق سحر
ما توقفوا جميعا في الوقت نفسه بالضبط. انفصل الزوجان.
تخليا عن بعضهما وبمجرد أن تخليا راح يلتمس كل منهما الآخر.
كل حركة يقومان بها كانت ملحمة وحادة، تمثل إعلانا... رفعت
المرأة ساقا (رأت نازنين الشريط الرقيق لأول مرة) ووضعت
حذاءها على الفخذ الآخر، صانعة من ساقها راية مثلثة وراحت
تدور حلزونيا حتى أوشكت أن تسقط على نحو مؤكد إلا أنها

لم تسقط. لم تبطئ. توقفت فجأة متجمدة ونشرت ذراعيها فوق رأسها بنظرة منتصرة جدا تجعلك تدرك أنها قد قهرت كل شيء: جسمها، قوانين الطبيعة وقلب الرجل ذي الحلة الضيقة الذي انزلق على ركبتيه، متعهدا أن يضحى بحياته من أجلها.

قالت نازنين «ماذا يسمى هذا»

خطف شانو النظر إلى الشاشة، قال بالإنجليزية «Ice Skating»

قالت نازنين «Ice e-skating»

قال شانو «Ice skating»

«كلا كلا ليس هناك ice skating - e حاولي من جديد»

ترددت نازنين

«هيا»

«Ice e-skating» قالتها في ترو

ابتسم شانو «لا تقلقي بشأن ذلك. إنها تعد مشكلة مشتركة للبنغاليين. إن وجود حرفين ساكنين معا يسبب مشكلة. لقد تغلبت على هذه المسألة بعد وقت طويل. لكن من غير المحتمل أن تكوني في حاجة إلى هذه الكلمات على أي حال».

قالت نازنين «أود أن أتعلم بعض الإنجليزية»

نفخ شانو خديه ولفظ الهواء «فوف» سوف يحدث. لا تقلقي بشأن هذا. أين الداعي على أي حال؟، راح يطالع كتابه بينما طفقت نازنين تشاهد الشاشة.

«يعتقد أنه سوف يحصل على الترقية لأنه يذهب إلى الحانة مع المدير. إنه أحق للغاية فهو حتى لا يدرك أن ثمة طريقا آخر للحصول على الترقية». المفروض أن شانو كان يذاكر.

كتبه مفتوحة على المنضدة. بين حين وآخر كان يبحث في كتاب أو يقلب صفحة. في أغلب الوقت كان يتكلم بوب، بوب، بوب. راحت نازنين تقلب الكلمة في عقلها. قطرة أخرى من الإنجليزية عرفتھا. ثمة كلمات أخرى كان شانو ينثرھا في حديثه، أشياء أخرى يمكن أن تقولھا لسيدة الوشم. في هذه اللحظة لم يكن بوسعھا أن تفكر في أي منها.

«هذا الويلكى - أخبرتك عنه - لقد نال شهادتين في الثانوية العامة. كل غداء يذهب إلى الحانة ويعود بعد نصف ساعة. اليوم رأيته يجلس في مكتب السيد دالوالي مستخدما التلفون ورجلاه فوق المكتب. إن الفاكهة المنتظرة مازالت على الشجرة غير أنه بالفعل أصبح يضع الزيت في شاربه. لا محالة أنه سوف يترقى». حدقت نازنين في التلفزيون. كانت هناك لقطة قريبة للمرأة ثمة نتف متألئة حول عينيھا مثل ترتر دقيق ملتصق بوجهھا. شعرھا كان مسحوبا إلى الوراء ومربوطا من أعلى رأسھا بزهور صناعية. كان صدرھا يرتفع وينخفض كما لو أن قلبھا على وشك الخروج وكانت تبسم بصفاء، في ابتهاج ذهبي. اعتقدت نازنين أنها لا بد أن تكون مرعوبة لأن مثل هذه الأشياء لا يمكن الإمساك بها ولا يجب التفريط فيها.

قال شانو «كلا، ليس لدي أي شيء أخاف بسببه من ويلكى. لدي شهادة من جامعة دكا في الأدب الإنجليزي. هل يمكن لويلكى أن يستشهد من شوسر أو ديكنز أو هاردي؟»

نازنين، التي خشيت أن زوجها ربما يبدأ واحدا من استشهاداته الطويلة، رصت آخر طبق وذهبت إلى المطبخ. كان يجب أن

يستشهد بالإنجليزية ثم يعطيها ترجمة، جملة بجملة وحينما يترجمها لم تكن تعني بالنسبة إليها أكثر مما تعنيه بالإنجليزية، لذا لم تكن تدري بما ترد أو حتى إذا كان ثمة رد مطلوب.

غسلت الأطباق وشطفتها وجاء شانو واستند إلى الخزانة غير المناسبة وتحدث باستفاضة ما . قال «كما تعلمين» بادئة متكررة رغم أنها في الأغلب لم تكن تعلم». إنها الطبقة الدنيا البيضاء من أمثال ويلكي، الذين كثيرا ما يخافون من أناس مثلي. بالنسبة له وللناس على شاكلته فنحن نمثل الشيء الوحيد الذي يحول بينهم وبين الانزلاق إلى قاع الحضيض. طالما كنا تحتهم فهم فوق شيء ما، لو رأونا نرتفع أصبحوا ممتعضين لأننا تركنا مكاننا الحقيقي. ذلك هو السبب في أن لديك ظاهرة الجبهة الوطنية^(١٦) في استطاعتهم اللعب على هذه المخاوف لخلق توترات عنصرية ومنح هؤلاء الناس عقدة امتياز. الطبقة الوسطى أكثر أمانا ومن ثم أكثر استرخاء. نقر بأصابعه على سطح الفورمايكا .

أخذت نازنين منشفة مطبخ وراحت تجفف الأطباق. تساءلت إذا كانت امرأة الـ Ice e-skating تعود إلى البيت وتغسل وتجفف. كان من الصعب أن تتخيل غير أنه ليس ثمة خدم. فكان عليها أن تتدبر ذلك بنفسها .

واصل شانو «ويلكي ليس بالضبط من الطبقة الدنيا . لديه وظيفة من الناحية الفنية كتب سأقول كلا، هو ليس كفتًا، بيد أن ذلك هو ضبط العقل. هذا ما أدرسه تحت فصل الجنس والعرق والهوية. علم الاجتماع. بالطبع عندما أحصل على شهادة الجامعة

(١٦) الجبهة الوطنية: أقلية تتأدى بأحقية البريطانيين للوظائف دون غير البريطانيين - المترجم.

المفتوحة الخاصة بي لن يجرؤ أحد أن يسأل عن أوراق اعتمادي، وعلى الرغم من أن جامعة دكا واحدة من أفضل الجامعات في العالم، غير أن هؤلاء الناس هنا بصفة عامة جاهلون ولا يعرفون شيئاً عن برونتي أو ثاكري.»

بدأت نازنين وضع الأشياء في مكانها. احتاجت أن تصل إلى داخل الخزانة التي اعترضها شانو بجسده. لم يتحرك على الرغم من أنها ظلت تنتظر قدومه. في نهاية الأمر تركت المقلاة فوق الموقد ريثما توضع مكانها في الصباح.

قال شانو «إش» وهو يزفر بحدة «هل أسلت دما؟» نظر عن كذب إلى إصبعه الصغيرة. لم يكن يرتدي سوى سروال البيجامة بينما يجلس على السرير. كانت نازنين بجانبه تتحني وشفرة موسى في يدها فقد حان الوقت لنزع الأجزاء المتصلبة في قدم زوجها من جديد. راحت تشرّح خلال البشرة شبه الشفافة، الجزء الصلب حول القلب الأصفر وتجمع النتف الصغيرة الميتة في راحة يدها.

قال شانو «تمام، ولكن خذي بالك، هه؟»

انتقلت نازنين إلى القدم الأخرى.

قال شانو عندما دخلت نازنين السرير بجانبه «أعتقد أن الأمر يعد نجاحاً هذا المساء.»

قالت نازنين «أجل أعتقد ذلك.»

«إنه لا يعرف دالواي بيد أن ذلك ليس مهماً. إنه رجل طيب،

محترم جداً.»

«محترم. أجل»

«أعتقد أنني متأكد من الترقية على أي حال».
«إنني سعيدة من أجلك».
«هل لنا أن نطفئ النور؟»
«سأقوم بذلك».

بعد دقيقة أو دقيقتين في الظلام، عندما تكيفت عيناها وبدأ الشخير. استدارت على جنبها ونظرت إلى زوجها. راحت تتفحص وجهه، مستدير مثل كرة، الشعر الناحل الكليل أعلى الرأس، والحاجبين الكثيفين الممتدين بعرض جبهته، كان فمه مفتوحا، وقد بدأت في تنظيم تنفسها لكي تتنفس وقتما يتنفس. عندما جانبها التوفيق تسنى لها أن تشم أنفاسه. وراحت تنظر إليه وقتا طويلا. لم يكن وجها وسيما. في الشهر السابق لزوجها عندما نظرت إلى وجهه في الصورة، فكرت أنه قبيح. الآن رأت أنه ليس وسيما. بيد أنه كان طيبا. فمه دائما لا يكل، دائما يتحرك، ذو شفتين ممتلئتين ووافرتين، من دون دلالة على قسوة. عيناه كانتا قلقتين أو بعيدتين جدا أو كليهما. الآن وبما أنهما كانتا مغلقتين استطاعت أن ترى الكيفية التي تتجعد بها البشرة عبر الجفون ثم تتحدر لتقابل ثنايا البشرة في الزوايا. تقلب في نومه وتحرك على بطنه ويده ممدتان على جانبه ووجهه مهصور على الوسادة. قامت نازنين من السرير وعبرت الصالة. تمكنت من ستارة الخرز التي تفصل بين المطبخ والمدخل الضيق حتى تمنعها من الشخلة، وذهبت إلى الثلاجة. أخرجت أوعية حفظ الطعام الخاصة بالأرز والسمك والدجاج وأخذت ملعقة من الدرج. بينما كانت تأكل واقفة بجانب الحوض تطلعت إلى القمر

المعلق فوق الشقق المظلمة التي تقسمها الأضواء إلى مربعات. كان كبيرا وأبيض وصافيا. راحت تفكر في حسينة وحاولت أن تتخيل ماذا يشبه الوقوع في الحب. هل كانت تشرع في حب شانو أو أنها فقط تعتاد عليه؟ أطلت على الساحة. ولدان كانا يتبادلان لكلمات صورية، تمويه باليسار واليمين. بينما سجائر مشتعلة في فيهما. فتحت النافذة وانحنت نحو النسيم.

المرأة التي سقطت، أي رعب جال بخاطرها عندما كانت تهوي؟ أي أفكار خطرت على بالها؟ إذا كانت قفزت فأى أفكار خطرت لها؟ هل كان الأمر سيصبح سيان؟ في النهاية، هل يهم إذا كانت قفزت أو سقطت. وفجأة طفقت نازنين متأكدة أنها قفزت. قفزة كبيرة، الأقدام أولا وذراعاها منشوران، عيناها مفتوحتان باتساع، صامتة على امتداد الطريق إلى أسفل وشعرها عجري ومحلول، وابتسامة كبيرة تقر على وجهها لأنها بهذا الفعل الأبدي الوحيد تحدث كل شيء وكل شخص. أغلقت نازنين النافذة وحكت ذراعيها. على البعد كانت سيدة الوشم ترفع كأسا إلى شفثيها.

الحياة تصنع نفسها حولها وتحتها وخلالها. كانت نازنين تتظف وتطبخ وتغسل وكانت تعد الفطور لشانو وتتظر بينما يأكل، تجمع أقلامه وتضعها في حافظة أوراقه، تراقبه من النافذة بينما يخطو مثل قائد فرقة عبر الساحة إلى موقف الحافلة في الجانب البعيد للمجمع السكني. ثم تأكل وهي واقفة أمام الحوض بينما تغسل الأطباق. ترتب السرير وتتظف الشقة، تغسل الجوارب والسرراويل الداخلية في الحوض والقطع الأكبر

في الحمام. بعد الظهر كانت تطبخ وتأكل وهي تطبخ لذا بدأ شانو يتعجب لماذا قلما تقترب من عشاؤها، وكانت تهز كتفيها بطريقة تعني أن الطعام ليس من الأهمية بالنسبة إليها. والنهارات كان يمكن احتمالها، والمساعات لا يشوبها ما تشكو منه. أحيانا كانت تفتح التلفزيون وتقرر بالإصبع خلال القنوات، باحثة عن الـ Ice e-skating على مدار أسبوع كامل كانوا يعرضونه بعد كل ظهيرة بينما تجلس نازنين القرفصاء على الأرض. عندما كانت تجلس كانت تكف عن أن تكون مجموعة من الأمانى والأفكار العشوائية وحالات القلق التافهه ورغبات أنانية تلك التي كانت تشكها. بل كانت مكتملة ونقية. نازنين القديمة كانت متسامية، أما نازنين الجديدة كانت مفعمة بالنور الأبيض والمجد.

غير أنه عندما ينتهي وتغلق التلفزيون، كانت نازنين القديمة تعود. لوهلة كانت أسوأ من نازنين التي من قبل لأنها كانت تكره الجوارب عندما تدعكها بالصابون وتسقط النمر والفيل الفخاريين حينما تنفض الغبار عنهما. وكانت تصاب بخيبة أمل لأنهما لم ينكسرا. فرحت عندما لم يعد يعرض الـ Ice e-skating بدأت تصلي خمس مرات كل يوم، بأسطة سجادة الصلاة في غرفة الجلوس لتواجه الشرق. كانت سعيدة للنظام الذي أضفته على يومها وقال شانو «أنه شيء حسن، لكي تذكري» ثم أخرج من فمه قليلا من البلغم الوهمي، «إثارة الرماد على وجهك لا يجعل منك وليّة. فالله يرى ما بداخل قلبك» وتمنت نازنين أن يكون ذلك صحيحا. لأن شانو وفق علمها لم يكن يصلي، ودون كل الكتب التي أمسكها في يديه لم تره مرة بصحبة القرآن الكريم.

أنزل شهاداته المؤطرة وراح يشرح لها. «هذه الشهادة من مركز التأمل والعلاج في شارع فيكتوريا. تعد في الأساس تأهيلا في الفلسفة المعالية. وهنا الشهادة من دائرة الكتاب. كورس بالمراسلة. قدمت طلبا إلى بعض الوظائف كصحفي بعد ذلك. وكتبت بعض القصص القصيرة أيضا. عندي خطاب من بيكثلي هيث أدفرتيذر في مكان ما، سوف أبحث لك عنه. يقول «كنا مهتمين كثيرا بقصتك، أمير بين الفلاحين - لكنها لسوء الحظ غير مناسبة لدوريتنا. شكرا لك على اهتمامك» - بيكثلي هيث - أدفرتيذر. كان خطابا لطيفا، لقد احتفظت به في مكان ما. أما هذا فلا يعد في واقع الأمر شهادة في حد ذاته. إنه من الفصول المسائية بكلية مورلي في الفكر الاقتصادي إبان القرن التاسع عشر، إنها مجرد توجهات للمدرسة، غير أن ذلك غاية ما يمنحونه. فليس هناك شهادات. وهنا شهادة المستوى A في الرياضيات وكانت تلك تمثل صراعا. هذه كفاءة التدوير، وهذا خطاب قبولي في كورس الاتصالات أي تي. تمكنت فقط من البدء في فصلين.

كان يتحدث وهي تصغي. كثيرا ما انتابها شعور بأنه لم يكن يتحدث إليها، أو بأنها إلى حد ما ليست سوى جزء من جمهور أكبر كان حديثه موجه إليها. ابتسم لها غير أن عينيه كانتا في بحث دائم، كأنها مجرد وجه في الزحام لم يتم التركيز عليه سوى لحظة واحدة. كان صاخبا، كان يتحدث، كان يمزح، وكان يغني أو يدندن. أحيانا كان يقرأ كتابا ويغني في آن واحد. أو يقرأ، ويشاهد التلفزيون. فقط عيناه كانتا

حزبنتين. كانتا تقولان، ماذا نفعل هنا، ماذا نفعل في هذا الوجه المستدير المبتهج؟

كان من شأنو عندما يتحدث عن الترقية أن يصبح جادا. «هذه السيدة تاتشر تحدث مزيدا من الاستقطاعات. استقطاعات صرف عام، استقطاعات صرف عام، ذلك كل ما نسمعه، المجلس يتم اعتصاره. الآن يجب أن ندفع إذا أردنا بسكويتا مع الشاي. إنه أمر سخيّف. ويمكن أن يؤثر على ترقيتي». وعندئذ صمت لبرهة، وبدأت نازنين إدخال الترقية في دعواتها، على الرغم من أنها جاءت في المرتبة التالية بعد دعائها لقدوم خطاب آخر من حسينة.

خرجت ذات مرة أو مرتين. طلبت من شأنو ساريا جديدا. بحثوا في فتارين المحل في بيتثال جرين رود.

قالت «القرنفل مع الأصفر جميل جدا. هل تعتقد ذلك؟» قال شأنو «دعيني أفكر» أغمض عينيه. تطلعت نازنين إلى الأبراج الرمادية، جدائل السماء المنسية بينها. شاهدت حركة المرور. كان هناك سيارات أكثر من الناس. جيش معدني جرار يشق المدينة. شاحنات ضخمة تسد عليها مجال الرؤية. بترول على لسانها، محركات في أذنيها. الناس الذين يمرون يسرون بسرعة، ينظرون قدما إلى لا شيء أو ينظرون إلى الرصيف ليتجنبوا الحصى والفضلات والبراز. المرأة البيضاء كانت ترتدي بنطلونا ضيقا، يشبه رداء محكما بلا أقدام. كانوا يدفعون عربات أطفال وأفواههم تعمل في هلع. أطفالهم يصيحون فيهم وكانوا يردون الصياح. مرت بجوارها امرأتان على نحو مختلف، تتورات

قصيرة مع سترتين متشابهتين. أكتافهما مرتفعتان ومستعرضتان بفعل حشو إسفنجي. كان بإمكانهما أن تحافظا على اتزان دلو على كل جانب من دون أن تتدلق قطرة واحدة. شاهداهما بينما كانتا تنظران وتصفران معا. سارتا وضحكتا، ونظرتا إليهما من فوق أكتافهما المنتفخة.

قال شانو «وفقا لهيوم» آاه. احم

أعد نفسه. راح يتحدث بالإنجليزية على نحو مفصل، ثم قطب وجهه «ليس من السهل ترجمتها. دعيني أحاول. كل أمور العقل البشري أو الاستفسار يمكن بطبيعة الحال تقسيمها إلى قسمين، ألا وهي علاقات الأفكار وقضايا الواقع» أجل، أعتقد أنها ترجمة معقولة. راح يمثل من الهندسة والرياضيات على النوع الأول، أي علاقات الأفكار «ثلاثة أضعاف الخمسة يساوي نصف الثلاثين هل تفهمين؟» على الرغم من أنه لا يوجد قط دائرة أو مثلث في الطبيعة فإن الحقائق التي برهن عليها أفليدس ستظل إلى الأبد التأكيد والدليل عليها هل أنت معي؟»

«لا تقلقي بخصوص الدائرة والمثلث. فهما من أمثله الأخرى. لا تقلقي، سأصل إلى لب الموضوع بإيجاز». قضايا الواقع التي تمثل الأمور الثانية للعقل البشري لا يتم التحقق منها بالأسلوب نفسه ولا دليلا على حقيقتها ذو طبيعة مشابهة على الرغم من ضخامته». هذا ما راح يشرحه على نحو ذكي وفق رأبي «على الرغم من أن الشمس لن تشرق غدا لا يعد افتراضا أقل وضوحا ولا يتضمن تعارضا أكثر من الإثبات، فإنها سوف تشرق».

«هل ترين؟ سببان مناسبان للسؤال الإنساني. وأنت تسأليني إذا كان الوردى مع الأصفر جميلا؟ ماذا عساي أن أقول؟ يمكنني القول بأنه جميل أو ليس جميلا، وكيف يتسنى لي أن أخطئ»
توقف وابتسم لنازنين. رأت أنه كان ينتظر ردا.
«أعتقد أنه جميل، غير أنني لا أمانع».

ضحك ودخل المحل. عاد بقطعة القماش. قواعد الفلسفة الحديثة: مقرر مثير للغاية. ها هو ساريك. في تلك الليلة عندما اضطجعت مستيقظة بجوار زوجها دائم الشخير، تساءلت نازنين أي نوع من الوظائف كانت تلك التي يحظى بها عندما يكون شروق الشمس أو عدم شروق الشمس موضوعا لمناقشة جادة. إذا كانت تلك هي الأشياء التي استوجب أن يتعلمها ليؤهل نفسه ترى ماذا عساه يعمل؟ كان يعمل لدى المجلس المحلي هذا كانت تتفهمه جيدا. لكن دائما لما كانت تسأله ماذا يعمل، كان يرد بإجابة مطولة تتوه فيها. وعلى الرغم من أنها كانت تفهم الكلمات إلا أنهما كانا يصلان معا إلى هذه الحال التي تعني أن معناها غير واضح أو أنها، أي الكلمات، كانت تشوشها.

تذكرت كلمات شانو عن الشمس وتعجبت ماذا كان يقصد. إذا لم تشرق الشمس غدا لتعذر ذلك على فهم كل شخص سوى الله، وأن تقول بأنها لن تشرق ثم تشرق يصبح ذلك تعارضا على نحو مؤكد. بالتأكيد نفسه عندما أقول أن السرير لين جدا ثم أتقلب على الرغم من ذلك وأضطرب طوال الليل، وشانو يقول أنه ليس لينا جدا ثم يروح في النوم على الفور.

غير أن كلينا يمكن أن يكون محقا في تصوره عن السرير،
ليس عن الشمس من ناحية أخرى ما المغزى من الاضطجاع
مستيقظا والتفكير في هذا؟ خليني أنام، خليني أنام.

ثم تنتقل حينما تريد في جوريبور، مقتفية الفضلات في
القمامة بعضا. بينما ترقص حسينة على أقدام السادسة من
العمر. في جوريبور، في أحلامها، كانت دائما فتاة وحسينة دائما
في السادسة. أما كانت توبخ وتعانق، ويضوع منها عرق برائحة
البشرة على اللبن عندما كان يغلي طوال اليوم بالسكر. كان آبا
يجلس على تشوكي، يغني ويصفق. ينادي عليهما ويأخذهما في
حضنه، ويخليهما بقبلة خشنة على الخد. ثم تتمشيان حول البحيرة
لتشاهدا الصيادين يسحبون السمك في شباك كثيرة من الفضة،
وتريان العضلات المعقودة على أذرعهم وأرجلهم وصدورهم.
عندما تستيقظ تفكر «أعرف ما كنت سأتمناه» لكنها أدركت الآن
أن ما تريد الذهاب إليه لم يكن مكانا مختلفا، بل زمنا مختلفا.
كانت حرة في أن تتمنى ذلك غير أنه لا يمكن له أن يتحقق.

لم تكن في الغالب تخرج، قال شانو: «لماذا يجب أن تخرجي؟
إذا خرجت، سيقول عشرة أشخاص: رأيناها تسير في الشارع.
وسوف أبدو أحمقا. أنا شخصا لا أمانع إذا خرجت غير أن
هؤلاء الناس جاهلون على هذا النحو. ماذا بوسعك أن تفعله؟»
لم تقل أي شيء ردا على هذا.

«إلى جانب أنني أحضر لك كل شيء تحتاجين إليه من المحال.
أي شيء تريدونه ليس عليك إلا أن تطلبي. لم تقل أي شيء ردا
على ذلك».

«أنا لا أمنعك من عمل أي شيء. فقد أصبحت الآن غريبا.
من حسن حظك أنك تزوجت من رجل متعلم. كان ذلك بمثابة
ضربة حظ» واصلت مهامها الروتينية.

«وعلى أي حال، لو كنت في بنجلاديش ما كنت لتخرجي.
بقدمك إلى هنا لن ينقصك أي شيء، اللهم إلا سعة الأفق».

راحت تزيل الجلد الميت حول أصابعه. لم تجعل الشفيرة
تزل. كانت الأيام تمر بسهولة أكثر مما في بادئ الأمر. كانت
مسألة صبر كما كانت تقول أما دائما. لقد انتظرت والآن راحت
تمر بسهولة أكثر. لو لم يكن الأمر مرتبطا بالقلق على حسينة
لاستطاعت أن تسمي نفسها هادئة «فقط انتظري وشاهدي، ذلك
كل ما نستطيع فعله». كم سمعت مرارا هذه الكلمات. عندما
جاء الحصاد شحيحا، عندما مرضت أمها، عندما كانت تهدد
الفيضان، عندما اختفى آبا وظل بعيدا لأيام في فترة ما. بكت
لأن الأمر استلزم البكاء. غير أنها كانت تتقبل الأمر. أيا كان. قال
آبا «مثل ولية» وعندئذ ماتت وفي الموت اتضح أن الحياة لا يمكن
التبؤ بها ولا يمكن السيطرة عليها. وجدتها ممتاز منكمشة على
أجولة الأرز في الشونة وقد نفذ رمح من صدرها. قالت ممتاز
لقد سقطت وكان الرمح هو الشيء الوحيد الذي أمسكها. كان
الأمر يبدو... كان الأمر يبدو وكأنها مازالت تسقط». في الجنازة
قالت ممتاز «أمك كانت ترتدي أجمل ساري عندها. أعتقد أن
ذلك جميل، أليس كذلك؟»

بعد فترة الحداد. اتخذ أبي زوجة له. ظهرت فجأة من
لا مكان وقال آبا «هذه أمك الجديدة» بعد أربعة أسابيع وعلى

نحو مفاجئ أيضا اختفت. لم تُذكر مرة ثانية. قالت ممتاز «أمك كانت ترتدي أجمل ساري عندها. كان أمرا غريبا، فلم يكن ثمة يوم خاص، في نهاية الأمر» لم تتحدث إلى أبا قط فيما بعد. ولم تر نازنين ذلك. كانت دائما تحتفظ بقطع اللحم المفضلة لنازنين وحسينة. كانت تقبلهما طيلة الوقت، رغم أنهما كانتا في الرابعة عشرة والحادية عشرة.

وكانت ممتاز تتحدث عن أما مرارا وتكرارا كأنه باستطاعتك أن تغير شيئا ما بالكلام عنه «لا أعرف سبب وجود هذه الرماح في الشونة ومشرعة هكذا. بهذه الخطورة» كانت حسينة تهرب دائما عندما تخاف، أما نازنين بقيت وأصغت.

انتقلت راضية إلى مجمع روزميد السكني، أسفل سيدة الوشم بدورين. البقاء في العمارة نفسها لا يعد خروجا منها. أثناء رحلتها القصيرة المتكررة من دار سيسولتر اكتسبت نازنين معارف. كانت تومئ للرجل المهتاج المرتدي صدرية وشورت والذي يفتح الباب فجأة كلما مرت به في الطريقة ذات الإضاءة غير السائغة. كانت تبسم للبنات البنغال اللواتي يثرثن عن الأولاد بصوت عال على السلم إلا أنهن يصمتن عند مرورها. عرفتها راضية بزوجات بنغاليات أخريات في المجمع السكني. أحيانا كن يمررن عليها ويتناولن معها الشاي. كانت تستمتع بالصحبة إلا أنها في أغلب الوقت لم تذكر ذلك لشانو، لم تكن تنظر إلى شلة الشباب البنغال الذين يقفون في أسفل السلم، يمشطون شعرهم ويدخنون أو يتصايحون، أو يحدثون استهزاءات مفاجئة

حتى أن أصواتهم كانت تتقاذف حول القشرة الخرسانية للمبنى وتهوي فوقها مثل مفرقات نارية. في مساءات الصيف كانوا يقفون في الخارج بجوار الصناديق المعدنية الكبيرة ويلعبون بالمصاريح الحديدية حيث يجب أن تظل الصناديق بعيدا عن الرؤية. يجعلونها تصلصل بتحريكها لأعلى وأسفل أو يركلون عليها، ويبدو أنهم يجدون متعة في هذه الأنشطة البسيطة. لم تنظر نازنين إليهم مباشرة، غير أنهم كانوا يلتزمون الاحترام عندما تمر، منتحين جانبا، وملقين السلام.

كانت تستمتع بزيارة راضية أكثر من أي شيء آخر. فقد كان لدى راضية دائما حكايات ترويها. كانت محاكية. مهرجان كبيرة نافرة العظام ولم يكن بها ما يضر. كان تبدو مضحكة وتتنظر إليك باعتبارك مضحكا أيضا، ولكنها كانت طيبة القلب. كان ذهنها ينصرف عن حسينة عندما تذهب لزيارة راضية. آخر خطاب وصلها من حسينة كان من حوالي ستة شهور. كان قصيرا ومكتوبا في عجالة وليس بخط يدها الدقيق المعتاد.

أختاه وصلني خطابك. الأمر يعني لي الكثير جدا أن اعرف أنك في حالة جيدة والزوج أيضا. الحب ينمو بينكما أشعر به وأنت زوجة صالحة. ربما أنا زوجة ليست صالحة ولكني هكذا أحاول دائما. فقط إنه عسير أحيانا. الزوج يبلى بلاء حسنا في عمله لقد حصل بالفعل على ترقية. هو رجل طيب وصبور للغاية. أحيانا أضطره لفقد حلمه دون أن أقصد. إنه يعود بسرعة للمنزل. وأنا استعد له الآن باركك الله، حسينة. كتبت نازنين ثلاث مرات أخرى غير أنه لم يرد شيء.

قال شانو «إنه النظام البريدي، ربما لم تصلها خطاباتك هي أيضا». كان هذا يشرع في قلقها. كانت راضية بمثابة سلوى جيدة «تعرفين الشخص ذا مقدمة الشعر المنتفخة التي تجيء على جانب هكذا» قامت راضية بنظرة كاسحة عبر جبهتها بيدها العظمية الكبيرة. إنه يتسكع على السلم في مجمعك السكني، مع أنه مفترض أن يكون بالجامعة «توقفت فجأة لتضرب طارق بخفة على مؤخرة رأسه بسبب شدة لشعر أخته، ثم راحت تضرب شيفالي بسبب محاولتها مسك فنجان شايبها. فر الطفلان يواسي كل منهما الآخر.

«أبوه رآه في حانة مع فتاة بيضاء. كان يذرع الشارع وهناك كانا في النافذة، يشريان وكل شيء على مرأى تام. سوف تتعرفين على الولد في المرة القادمة التي ترينه فيها. إن له عينين سوداوين». قالت نازنين «هؤلاء الصبيان» ابتسمت راضية ثم نظرت إليها نظرة جانبية بعينيها الضيقتين. أحست نازنين أن عنقها يتحرق. فالأولاد محتمل أن يكونوا في مثل سننها ربما أصغر بسنة أو سنتين.

«حسن، إن ابن جورينا في ورطة. سمعت أنه يشرب الكحول يوميا حتى على الإفطار. فهو لا يستطيع أن ينهض من السرير من دون أن يحظى بشراب أولا. ثم بعدها يصبح عديم النفع» هزت راضية كتفيها العريضتين العظميين.
«إن الأمر يجعلني أخشى على أطفالي»

«غير أن جورينا تخرج إلى العمل، وأنت تبقيين في المنزل. على أي حال، طارق وشيفالي مهذبان ومازالا طفلين»

«حقا. لكنهما يكبران بسرعة شديدة. هل رأيت بنطلون طارق،
لقد ارتفع عن كاحليه».

«جورينا عندها بنت أيضا، أعتقد؟»

قالت راضية «آاه» لمعت عيناها. وضعت كاحلا فوق الآخر،
كلا الساقين ملتصقتان وممددتان أمامها على الأرض.

راحت تسوي ثنايا ساريها. لم تكن الثنايا أبدا مضبوطة. فهي
إما مضمومة جدا. أو فضفاضة جدا أو بعيدة جدا ناحية الجنب
أو منخفضة جدا أو مرتفعة جدا. راضية كان شكلها أفضل في
المريول. المريول يناسب حذاءها الكبير.

«لديها بالفعل ابنة لقد قابلتها. كانت هنا عندما جئت يوما ما.
كانت ترتدي زيها المدرسي - كنزة حمراء داكنة وتتورة رمادية.
هل تتذكرين؟ لكنها لن تأتي بعد الآن. لقد أعادوها».

«للتزوج؟»

«طبعا، لتتزوج وتعيش في القرية»

«أخرجوها من المدرسة؟»

«إنها في السادسة عشرة. راحت تستعطفهم أن يدعوها حتى
تنتهي امتحاناتها...» هدأت راضية، نقرت فردتي حذاءها معا
قالت بانتعاش «على أي حال. لقد فسد الأخ وأرادوا أن يحافظوا
على الفتاة. هكذا يرون الأمر. الآن لن تستطيع أن تهرب مع
شخص تحبه» وضعت نازنين يدها على المسخن. كان مغلقا. رغم
أن ثمة بوادر تلجيه على النافذة. كانت الحجرة تقريبا مربعة
مثل حجرة الجلوس خاصتها، بباب يؤدي إلى المدخل وآخر
يؤدي إلى الحمام. نصف الحيز كان مشغولا بحاجيات الأطفال.

لعب بلاستيكية، مجموعات من الدمى الممزقة، دراجة صغيرة وصدئة. كرسي مرتفع مطوي على الحائط، كومتين مرتبتين من ملابس الأطفال. حشد من كرات القدم في حالات تفريغ متفاوتة، منضدة أطفال مغطاة بشخبطات ألوان الشمع. سرير مفرد منصوب أمام أحد الحوائط والأثاث الآخر مكس معاً تحت النافذة، حتى أن أذرع الكراسي والأريكة تلامس بعضها البعض. طارق ينام على السرير المفرد، أما شيفالي فكانت لاتزال تنام مع والديها. كان ثمة فراغ يتزايد.

كل ٣ أو ٥ أشخاص في غرفة واحدة، تلك إحصائية المجلس. أخبر شانو نازنين «الجميع مكسسون معاً. ليس بوسعهم أن يكفوا عن إنجاب الأطفال أو أنهم يحضرون دائماً كل أقاربهم ويرجعونهم فيما يشبه سمكة صغيرة في علبة سردين. إنها إحصائية رسمية لتورهامليتس ٣ أو ٥ بنغاليين في الغرفة الواحدة»

«انخفضت التدفئة فاتصل زوجي بالمجلس لكن لم يأت أحد» هزت راضية كتفيها وأشارت إلى المسخن ذي القطب المزدوج في الزاوية «هذا يفي بالغرض في الوقت الحالي».

«أختي تزوجت من حبيبها». نظرت نازنين إلى البخار المسامي على الزجاج قالت راضية، بينما نهضت على قدميها «انتظري. دعيني أتفقد الأطفال، أريد أن أسمع كل شيء. حينما أرجع يمكنك أن تبدأي من الأول». أخبرتها نازنين بكل شيء. عن حسينة ووجهها الذي له شكل القلب وشفتيها بلون القرنفل الرماني وعينيها الصافيتين. كيف أن كل شخص كان يحدق فيها، نساء ورجال وأطفال. وكيف أن النساء العجائز بدأن يقلن حتى

قبل أن تبلغ الحادية عشرة إن مثل هذا الجمال لا يمكن أن يكون له أغراض دنيوية سوى إثارة المشاكل. كانت أما تبكي وتقول إنه لم يكن خطأها. بدا أبي متجهما وقال إن ذلك صحيح بالتأكيد. حيث جعلها تبكي بمرارة أكثر. وعلى أي حال، كان ذلك يمثل حقيقة مفادها أن تكون جميلا، فهذا أمر يجلب الأذى، رغم أن أحدا لم يكن ليعتقد هذا. وكان من حسن الحظ أن الزواج حالفه التوفيق «زوجها حصل على وظيفة درجة أولى بشركة السكة الحديد».

«هل من أطفال؟»

ترددت نازنين. ربما كان هناك طفل. ذلك السبب في أن حسينة كانت مشغولة عن الكتابة. ربما أرسلت خطابا آخر يقول بأنها كانت تنتظر والخطاب ضل طريقة ومن ثم لم يتح لها وقت للكتابة من جديد. قالت «أجل، ذلك ممكن» وأرادت أن تضيف شيئا آخر، غير أنها لم تفعل.

لم تكن راضية تصغي في واقع الأمر. تنهدت «إن هذا رومانتيكي للغاية» شددت ظهرها، ثم تظاهرت أنها تتقب في كم سترتها المحبوكة وتمخطت. قالت «لكنني عندما كنت فتاة صغيرة» بينما راحت تشد من صوتها وتضخ الكلمات مثل سهام تخرج من قسبة نفخ، «لم يكن عندنا شيء من هذا الكلام الفارغ... تركت حي عائلتنا مع أمي. ركبنا في محفة. أربعة حمالين حملونا إلى منزل والد أمي. كانت رحلة سبع ساعات. لو تجرأ أحدهم على رفع الستارة واسترق نظرة، ذلك الرجل... صاحت راضية صيحة مخنوقة وحزت بإصبعها عبر حنجرتها». ضحكت نازنين «مسكينة يا سيدة إسلام. لا يجب أن نقوم بالمزاح».

قالت راضية «مسكينة يا سيدة إسلام، لا شيء». وهى تربت على عينيها. منتهى الرومانتيكية. قامت لأن ابنتها كانت تتادي من حجرة النوم. «لكن شيفالي لن تتزوج عشيقها إلا على جثتي» صلوات منتظمة، شغل بيت منتظم. زيارات منتظمة مع راضية. كانت توحى لبالها أن يهدأ. كانت تقول لقلبها ألا يدق بالخوف، لا يدق بالرغبة. أحيانا كانت تتحكم فيه، عندما كفت عن التفكير في أختها. إذا أرادت شيئاً، كانت تطلبه من زوجها. غير أنها كانت مختلفة عنه، على هذا النحو:

«السريير لين جدا . هل يؤلم ظهرك؟»

«كلا».

«أليس لنا جدا بالنسبة إليك؟»

«كلا».

«حسن».

«إنني أقوم برسم تخطيطي».

«دعني أرى ما هذا».

«تخطيط للمنزل الذي سوف أشيده في دكا. ما رأيك فيه؟»

«ماذا عساي أن أقول؟ إنني مجرد فتاة قادمة من الريف

ولا أعرف شيئاً عن المنازل الكبيرة».

«هل تعتقدين أنه كبير جدا».

«أنا لا أعرف شيئاً عن المنازل والأسرة».

«ما دخل السريير؟ هل هو لين جدا؟»

«لا يهم».

«ألا يمكنك أن تقولي لي شيئاً؟»

«أنا لا أعبأ، يمكنني أن أنام على الأرض».

«ها أنت تصبحين سخيفة».

«سأعد فرشاة. ذلك ما اعتادت عليه فتيات القرية. طبعاً عندما يولد طفلنا سوف ينام على الأرض مع أمه».

«ماذا؟ هل أنت...؟»

«.....»

«أنت.....؟»

«أجل».

«لماذا لم تقولي؟»

«ها أنا أقول».

«هل الأمر مؤكد؟»

«ذهبت لاستشارة الدكتور آزاد. أخذتني السيدة إسلام».

«ها. ها حسن ها».

«سوف أضع الفرشة في حجرة الجلوس. لا يوجد مكان لها في حجرة النوم».

«هراء. عما تتحدثين. فرشاة، سوف أحضر ملاء جديدة وأملأها بالأحجار إذا شئت».

«حسن، لست في حاجة إلى أي شيء. إذا أردت إحضارها لا أمانع».

«حسم الأمر إذن. ما رأيك في بحيرة هنا - فقط سأرسمها بالداخل وضيف بنغالي في الساحة المحيطة».

لعق طرف قلمه الرصاص وراح يرسم «الآن يجب أن أحصل على الترقية. لا يمكنهم أن يظلوا يؤجلونها. سوف أخبرهم،

سوف أقول للسيد دالواي. انظر هنا، إنني على وشك أن أرزق بطفل. إنني بصدد أن أصبح أبا. أعطني وظيفة مناسبة. مناسبة لرجل حقيقي، أب، وإذا لم يفعل ذلك سوف أخبره بأن يذهب إلى الجحيم».

بعد ذلك بأسبوع وصل الخطاب... رفع قلبها عاليا ثم هوى به على صخرة. لم تحاول أن تهدئ نفسها.

أبيض

الفصل الثالث

أبيض

ناولته غدائه، بقايا كاري بين شريحتي خبز أبيض فوضعه في حافظة أوراقه. أغلق سوستة سترته ثم شد القلنسوة. كانت القلنسوة عميقة بكسوة فروية بيضاء، وجهه من الجانب غير مرئي، أما من الأمام مباشرة فكان يبدو مثل سلحفاة الكاشوجا. شاهدته من النافذة، صدفة خضراء، رجلان سوداوان تعدوان خلال العزبة.

كانت سيدة الوشم لاتزال تلبس قميص نومها. من عقب سيجارتها أشعلت سيجارة جديدة، محتفظة باللهب المقدس مشتعلا. كانت بدينة مثل رضيع. ذراعاها مكسوتان باللحم ويدها تبداون صغيرتين للغاية. هذه المرأة كانت بدينة وفقيرة. بالنسبة إلى نازنين كان أمرا يصعب فهمه. ففي بنجلاديش، كونك فقيرا وبدينا لم يكن أكثر احتمالا من كونك ثريا وجائعا. لوّحت نازنين. ثم ارتدت سترتها، أخذت مفاتيحها وغادرت الشقة.

سارت في الطرقة على مهلها وهي تنظر إلى الأبواب الأمامية. كانت جميعها بالشكل نفسه. الطلاء الأحمر المتقشر الذي يظهر شظايا الخشب المتهرئ، لوحة الزجاج المستطيلة ذات الأسلاك المعشقة مدلاة من الداخل. ثقوب المفاتيح ذات الإطار الذهبي، المصاريع السوداء المتجهمة. همت في السير. انفتح أحد الأبواب وبرز رأس فجأة أمامها، كان أصلع أحمر بهياج غير مفهوم. أومأت لكنه اليوم لم يتقبلها. مرت نازنين وعيناها محولتان إلى الحائط. وصلت إلى بئر السلم وأسرعت. كان الضوء العلوي قويا فتسنى لها أن تشعر بحرارته الواهنة، بمجرد أن تسللت برودة الخرسانة إلى قدميها، كان السلم تفوح منه رائحة البول.

لمت أطراف ساريها بإحدى يديها وراحت تنزل الدرجات اثنتين مرة واحدة حتى فقدت الإفريز ووقعت على كاحلها فوق حرف صلب. أمسكت بالدرازين ولم تقع لكنها تعلقت بالجانب هنيهة، ثم واصلت النزول، راحت تدوس بقوة كما لو أن الألم بسبب تشنج يزول بعد حين. ثمة قطع صغيرة من الضباب كانت تتحدى أعمدة الإنارة. راحت عصابة من حمام تتحلق على العشب في دوائر مضجرة مثل سجناء في ساحة تدريب. أسرع امرأة حذوها وفي ذراعيها طفل صغير. كان الطفل يصرخ ويرفس بقدميه. شخلت المرأة بخشيشة بلاستيك لتسكت بها فم ضحيتها.

سحبت نازنين طرف ساريها على شعرها. عند الطريق الرئيسي نظرت في الاتجاهين، ثم سارت يسارا. ثمة رجلان كانا يجران أثاثا من محل خردة ليعرضاه على الرصيف. دخل أحدهما وعاد بكرسي بعجلات. شد حوله سلسلة وأغلقها بقفل مع كرسي بذراعين كما لو كان إعداد سباق لأثاث بثلاث أرجل. غيرت نازنين رأيها واستدارت. ظلت تسير حتى وصلت إلى تقاطع الطريق الكبير وانتظرت عند الحاجز الحجري بينما كانت حركة المرور تزأر من أحد الاتجاهات ثم من الاتجاه الآخر. وضعت رجلها في الطريق مرتين ثم تراجعت ثانية. الوصول إلى الجانب الآخر من الطريق من دون أن تصدمك سيارة كان مثل السير في عباب رياح موسمية وتأمل أن تتفادى قطرات المطر. انفتح أمامها فراغ. قالت نازنين «ربنا كبير» راحت تعدو. دوى بوق مثل مؤذن عجوز يصرخ في ألم، فarda حباله الصوتية على

آخرها . توقفت فانحرفت السيارة . سيارة أخرى انزلقت مفرملة أمامها فبرز السائق وشرع يصيح .

جرت من جديد وتحولت من شارع جانبي، ثم انحرفت مرة ثانية إلى اليمين في شارع بريك لين . لقد جاءت هنا مع شانو عدة مرات . آخرها عندما كانت المطاعم تفوح منها رائحة أرز مطبوخ حديثا ولحم وشحم مقلي، والندلاء ببنتالاتهم السوداء الضيقة يقفون في المداخل، يقدمون قوائم الطعام ويبتسمون . لكن الندلاء الآن في المنزل نائمون أو مستيقظون . تقوم على خدمتهم زوجاتهم اللواتي يقمن فقط بالخدمة ولا يقوم أحد على خدمتهن في المقابل، اللهم إلا في الإقامة الكاملة ورعاية الأطفال الذين هم أيضا بطبيعة الحال يقام على خدمتهم . والشوارع كانت تعج بمملكات كاملة من النفاية التي ارتفعت عاليا مثل قلاع بلا مناوشات سوى من العبوات البلاستيكية وأوراق الكرتون المبعقة للفصل بينها .

ثمّة رجل كان يتطلع إلى بعض السقالات بملامح تصميم شبه متقدة كما لو أن حبيبته ربما كانت في الأعلى، كان مرتعشا على الألواح العالية أو السطح الإردوازي . اثنان من أطفال المدرسة، شاحبان كالأرز، مرتفعان كطواويس قطعاً الطريق واندفعا في شارع جانبي يعدوان من الفرحة أو ربما من الرعب .

ولولا هذا لكان بريك لين خاليا . توقفت نازنين أمام أفيشات فيلم ملصقة في شكل أمواج على لوح جداري معدني . كان البطل والبطلّة يحدقان بعضهما في بعض في جوع ملحني . كان اللون القرمزي لشفتيها يحاكي المنديل المزركش المعصوب حول جبهته .

ثمة نثار من عرق كان يظهر حدود عضلات ذراعيه، بينما الكحل في عينيها جعلهما يحترقان من الهيام. ثمة قوة خفية أبقتهما على مبعدة (مجرد بوصات)، كانت الكتابة أسفل المصق تقول: ليس في وسع العالم أن يمنع حبهما.

سارت نازنين حتى نهاية شارع بريك لين وانعطفت يمينا. بعد أربع وحدات سكنية عبرت الطريق (انتظرت بجانب امرأة وخطت معها مثل عجل مع أمه) وسلكت شارعا جانبيا. انعطفت أولا ناحية اليسار ثم سارت إلى اليمين. من هناك راحت تلتفت يمينا ويسرة حتى أدركت أنها كانت تترك لنفسها أثرا. عندئذ انحرفت بشكل عشوائي وبدأت في العدو. تمهلت هنيهة لتخفف عن كاحلها واعتقدت أنها دارت في دائرة، فالبنائيات كانت تبدو مألوفة. أدركت أكثر مما رأت لأنها لم تهتم بالملاحظة. لكنها الآن تريثت وراحت تلتفت حولها. بينما كانت تمر تطلعت إلى إحدى البنائيات. لقد شيدت تقريبا كلها بالزجاج وقليل من مسامير البرشام لتثبيتها معا. كان المدخل يشبه مروحة زجاجية تدور رويدا، تجتر الناس إلى الداخل وتدفع آخرين إلى الخارج. في الداخل وعلى منصة بارزة ثمة امرأة كانت تجلس خلف مكتب تعقد ساقها النحيلتين وتفكهما. كانت تدس سماعة تلفون بين أذنها وكتفها وتعض على أظفرها. أمالت نازنين رأسها إلى الخلف ورأت أن الزجاج من فوق كان مظلمًا مثل بحيرة ليلية. كان المبنى ممتدا بلا نهاية. فوق في مكان ما كان يخترق السحاب. المبنى المقابل والمبنى المجاور عبارة عن قصور للهو مبنية بأحجار بيضاء. ثمة درجات تؤدي إلى المداخل وصفوف

في المقدمة. الرجال ذوو الحلل القاتمة كانوا يهرولون بخفة صاعدين ونازلين السلم مثنى أو ثلاث. كانوا يصيحون بعضهم في بعض ويومئون بكآبة. أحيانا يربت شخص بيده على كتف رفيقه، ورأت نازنين أن هذا لم يكن من دواعي الاطمئنان بل التشديد. كل شخص مر بجوارها على الرصيف. كل ظهر رأته كان في مهمة خاصة وحماسية. لتنفيذ خطة دقيقة وملحة: لنيل ترقية اليوم، للتواجد بالضبط في الوقت المحدد للموعد، لشراء جريدة بالعملة المطلوبة. لذا كان التبادل سريعا ومحكما. السير من دون إهدار ثانية واحدة والوصول إلى جانب الطريق بمجرد أن تصبح الإشارة حمراء.

بينما كانت نازنين تعرج وتتعثر بدأت تتبته إلى نفسها. لقد كانت من دون معطف ومن دون حلة ومن دون وجه أبيض ومن دون وجهة. سرت رفة من خوف أو إثارة في ساقها. بيد أنهم كانوا غير منتبهين لوجودها. شعرت بذلك في اللحظة التالية. لم يكن في وسعهم أن يروها أكثر مما في وسعها هي أن ترى. كانوا يعرفون أنها موجودة (تماما كما تعرف هي أن الله موجود) ولكن إذا لم تقترف شيئا، تلوح بمسدس، تربك حركة المرور. ما كان لهم أن يروها. استمتعت بتلك الفكرة. بدأت تدقق النظر. راحت تحمق في الوجوه المستطيلة النحيلة والذقون المستدقة. النساء لهن شعر غريب. كان يعلو ويهبط حول رؤوسهن منتفخا مثل غماء حية. كن يضغطن شفاههن بعضها إلى بعض بينما يضيقن عيونهن كأنهن غاضبات من شيء سمعنه أو من الريح التي أفسدت شعورهن. توقفت امرأة ترتدي معطفا أحمر

طويلا وتناولت نوتة من حقيبتها. حذاؤها الأبيض اللامع له إبزيمات كبيرة مذهبة. ملابسها أنيقة بلون واحد. كانت بمنزلة درع وأصابعها المزودة بالخواتم أسلحة. شدت نازنين سترتها. كانت بردانة. أطراف أصابعها يلسعها البرد. تطلعت المرأة ورأت نازنين تحملق. ابتسمت كأنها كانت تبتسم لشخص حاول وأخفق تماما في استيعاب حقيقة ما يجري. أسرع نازنين وهي لم تعد غير مرئية وكانت تنظر إلى ما يجب أن تراه فقط حتى يتسنى لها أن تسير من دون أن تقع أو تتصادم. عرض على بالها أنها قارنت نفسها بالله من دون قصد. هذه الفكرة أزعتها كثيرا حتى أن الدموع انبجست من عينيها وارتطمت برجل كانت حافظة أوراقه تتأرجح أمام ركبته مثل مضرب. قرأت في رأسها سورتها التي تحبها.

«والضحى والليل إذا سجي ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ألم يجدك يتيما فأوى ووجدك ضالا فهدى».

بيد أن الألم في ركبته ويديها وكاحلها شتت الآيات.

«أقري بألوهية ربك، أقري بألوهية ربك».

ثمة رقعة من الخضرة محاطة بسياج أسود وفي الوسط مقعدان من خشب. في هذه المدينة قليل من العشب يعتبر شيئا جديرا بالحراسة وجديرا بأن تلفه بسور كما لو أن هناك حفنة من زمرد منثورة بين الحشائش. وجدت نازنين البوابة وجلست وحدها على مقعد. زوجة مهراجا في حديقته المسيجة. أطلت الشمس من خلف سحابة داكنة ولعت هنيهة في ناظريها قبل أن

تختفي من جديد تحت دثارها وقد خاب أملها بما رأته . كانت بردانة و متعبة و تعاني من الألم و كانت جائعة و تائهة . لقد توهمت نفسها لأن حسينة قد تاهت . و الآن فقط هل أدركت كم كانت حمقاء . كانت حسينة في دكا . امرأة وحدها في المدينة من دون زوج أو أسرة أو أصدقاء و من دون حماية . كتبت حسينة خطابا قبل أن ترحل :

أختاه لا أعرف ماذا أقول وهذا سبب عدم إرسال خطابات قبل ذلك . الآن لدي أخبار . في الصباح بمجرد أن يخرج زوجي للعمل أسافر إلى دكا . المالكة السيدة كاشم هي الشخص الوحيد الذي يعرف بهذا الأمر . تقول إنه ليس قرارا حكيما غير أنها تساعد على أي حال . فهي تقول يفضل أن تضرب المرأة من زوجها ، عن الضرب من غريب . لكن هؤلاء الغرباء لا يقولون في الوقت ذاته هم يحبونني . إذا قاموا بالضرب فهم يقومون به على نحو مستحق .

السيدة كاشم لديها عم في دكا وأخو زوجة هذا العم يؤجر أملاكا . ادخر من العناية بالمنازل ، تتذكرين أما دائما تقول حفنة من الأرز كل يوم . إنني تمكنت من ذلك وأكثر من ذلك هل تعتقدين أن أما تدخر ، لماذا لم تكن أما تدخر ؟

كل مساء أضعد إلى السطح . هناك امرأة متسولة تريض في ركن بالشارع . الجسد ينصفق . إذا جلست لا يمكنها النظر سوى إلى الأرض . إنها مثل وحش كبير يرتكز على ظهره . عندما تريد النظر إلى أعلى تتدحرج على جنبها . تسير إلى الأمام وهي تجرجر نفسها مستخدمة اليدين كمجداف . عندما يدخل الليل

يأتي رجل يضعها على عربة يد ويأخذها إلى مكان ما .
تجيء في مرة ولا تريد أن تذهب. شرعت تتزحزح للوراء
مبتعدة وتصيح طفقت بعيدة جدا عند بائع جوز الهند في
الركن الآخر.

أحب أن أشهد هذه المرأة. فهي لديها شجاعة. عندما يصبح
لي عنوان سأكتب مرة ثانية.

ثمة شاب طويل يشبه رجلا بطوالة خشبية بمشيته نفسها
بالأرجل الجاسئة، جاء وجلس على المقعد المقابل. وضع خوذة
دراجته البخارية على الأرض. أتى على ساندويتش في أربع
قضمات كبيرة. في سترته شيء ما يئز مثل مذياع. تحدث فيه
وبدا أنه يرد عليه. لبس خوذته ومضى. احتاجت نازنين إلى
حمام. فالجنين يجعلها تتبول نحو تسع أو عشر مرات في النهار
ومرتين أو ثلاثا ليلا. كان الوقت بعد الظهر وطوال الصباح لم
تفكر مرة واحدة في الحمام.

كانت ستضطر إلى التبول على الحشائش مثل كلب، أو تفعلها
على نفسها وتعود إلى البيت بملابس مبللة. ولكن كيف ستعود؟
هذه هي المشكلة في كونك تائها. هي مثل حسينة لا يمكنها
ببساطة أن تعود للبيت. باتت الاثنتان تائهتين في مدن لم تكن
لتنردد حتى في هز كتفيها. مسكينة يا حسينة. بكت نازنين ولكن
بمجرد أن انبجست الدموع أدركت أنها تبكي بسبب حماقتها
أكثر مما هو بسبب أختها. ما الذي اضطرها إلى ذرع كل هذه
الشوارع؟ أي يد كانت تدفعها في ظهرها؟ لا يمكن أن يعين
حسينة كون نازنين تائهة. ولا يمكن أن يعطي حسينة أي فكرة

عما تعانيه نازنين. كانت تشاهد رؤوسا من فوق السياج. الأنايس الذين ينظرون إلى الداخل يشيخون برؤوسهم مرة ثانية. ليس ببطء ولا بسرعة. ولكن من دون اكرثات أو عزم.

كانت راضية دائما تقول «إذا خرجت لتتسوقي اذهبي إلى محلات ساينسبري. فالبريطانيون لا ينظرون إليك مرتين. ولكن إذا ذهبت إلى محلاتنا سوف يضع الرجال البنغاليون الأشياء نصب عينيك. تعرفين كيف يتحدثون. وفي إحدى المرات سوف يتحدثون عنك. هذه هي الحال. ليس بوسعك أن تفعلي شيئا». سوف يتحدث الناس عن حسينة.

فرض الجنين سيطرته على مثانتها. لم يكن الجنين أكبر من ثمرة ليتشي غير أنه كان مسؤولا عن كل أعضائها الداخلية. وعلى وجه الخصوص مثانتها. قامت نازنين وبدأت تسير من جديد. كانت الشمس قد اختفت في مكان ما. لم تعد تبتغ من وقت إلى آخر من وراء السحاب. اندفعت السحب عند البنايات في هياج فتاك كأنها سوف تخنقها. وقفت البنايات مكانها بلا حراك وسلبية كأنها بقرات وفي الثواني الأخيرة استحالت إلى قطع صغيرة.

تساءلت نازنين إذا كان شانو يعمل في بناية تشبه هذه البنايات. تخيلته في مكتب زجاجي، محاطا بأكوام من الورق ويتحدث بصوت جهوري إلى زملائه الذين يجيئون مسرعين ويروحون مسرعين ويواصلون مهماتهم بينما هو يتحدث ويتحدث. كان وقت الغداء، والشوارع مزدحمة. الناس يحملون أكياسا ورقية بيضاء تبرز منها ساندويتشات. البعض كان يأكل وهو يمشي

ليوفر الوقت. احتمال أن ترى شانو، فربما كان يعمل هنا تحديداً، في هذا المبنى أو ذاك. كانت هذه بنايات لها شأن. فهي فخورة بما هي عليه. يمكن أن تكون بنايات خاصة بالحكومة. ربما كان شانو يسير باتجاهها الآن. يمكن أن يكون خلفها. استدارت واصطدمت بشخص يحمل كوب بلاستيك به شاي ساخن اندلق على ذراعها. استدارت عائدة وسارت مسرعة، تدوس بقوة على كاحلها الأيسر الملتوي لكي تصرف الانتباه عن الألم في ذراعها ولكي تعاقب نفسها لكونها بهذا القدر من الحماقه.

شخص ما ربت على كتفها. فوثبت مثل كلب يفر من لسعة حية. استدار واثبا أمامها، رجل ذو وجه بني يرتدي معطفا وربطة عنق داكنين، بمنديل ورقي مطوي على هيئة وردة غريبة في جيبه العلوي ونظارة بعدسات غليظة مثل الكوارتز. قال شيئاً ما. عرفت نازنين اللغة الهندية لما سمعتها، غير أنه لم يكن في وسعها أن تفهمها. أعاد الكرة باللغة الأردنية. كانت نازنين تتحدث قليلاً من الأردنية غير أن لهجة الرجل كانت قوية للغاية فلم تتمكن من فهمه هذه المرة أيضاً. هزت رأسها فراح يتحدث هذه المرة بالإنجليزية. بدت عيناه هائلتين من خلف العدسات كأنهما انتزعتا من مخلوق آخر أكبر بكثير.

هزت رأسها من جديد وقالت «أسفة» وأوماً برزانة ثم انصرف. بدأت السماء تمطر. عندئذ وعلى الرغم من نزول المطر وهبوب الرياح التي راحت تضرب به في وجهها وعلى الرغم من الألم في كاحلها وذراعيها ومثانتها وعلى الرغم من حقيقة أنها كانت تائهة وبردانة وحمقاء، بدأ يداخلها شيء من

السرور. فلقد تحدثت بالإنجليزية إلى شخص غريب وحدث أن فهمها وامتت لها. كان ذلك قليلا للغاية غير أنه يمثل شيئا ما. عادت إلى البيت قبل زوجها بثلاث ساعة، غسلت الأرز وجهازته للطبخ، وراحت تتقي ملء كوب عدس من الحصوات التي يمكن أن تهشم أسنانك، ثم وضعت في غلاية مع الماء ولكن من دون ملح ووضعت الغلاية على الموقد. خلعت حذاءها وتفقدت قروحها. ارتدت ملابس داخلية جديدة وساريا. وغسلت الساري المبلل من المطر بالصابون. عندما عصرته تركته في الحمام مثل ثعبان قرمزي كبير نائم.

كانت تزيل الرغوة البنية من العدس عندما دخل. قال «كما ترين» كأن المحادثة لم يفت عليها نهار كامل، «هناك القليل أستطيع أن أفعله على أي حال. إن ما فعلته أختك لا يمكن أن أفعله أو يفعله شخص آخر. إذا قررت أختك الرجوع إليه، فذلك ما ستفعله. وإذا قررت البقاء في دكا فليكن ذلك. ما سوف يحدث سوف يحدث».

مالت إلى الخزانة. كانت قلنسوته لاتزال فوق رأسه بينما يلبس قفازات. طوى ذراعيه فاستقرتا على بطنه. كان في وسعها أن تسمعه يتنفس، وبعد ذلك بدأ يدندن. كانت نعمة خاصة بأغنية أطفال. أغنية سخيصة عن الذهاب إلى منزل العم طلبا للأرز واللبن والإصابة بخيبة الرجاء. كل ذرة على سطح جسمها كانت يوخزها شيء أكثر من الاشمئزاز. هو الشعور نفسه الذي انتابها عندما كانت تسبح في البحيرة وتخرج بطفيلي عالق بساقها أو بطنها.

قالت «هل آخذ معطفك؟ هل تحب أن تذهب وتجلس؟»
قال «أوه. المعطف» وواصل الدندنة... «عندما يولد ابني
سوف أعلمه بعض الأغاني. هل تعرفين أن الطفل في استطاعته
أن يسمع حتى وهو في رحم أمه؟ إذا غنيت له الآن لتسنى له أن
يتعرف على النغمات عندما يولد».
جثا على ركبتيه ولف ذراعه حول خصر نازنين وشرع يغني
لبطنها. كانت تمسك بمغرفة مملوءة بماء مغلي مزبد فوق رأسه.
صبتها بعناية بالغة في سلطانية.
«يمكنك أن تذهب هناك» انفجرت الكلمات سريعة وساخنة
كالغليان.

«أين؟» أنزل قلنسوته وغمز لها.
«أين؟ إلى دكا. يمكنك أن تعثر عليها».
نهض على قدميه وتحنج. قلب العدس في شرود ورفع الغطاء
عن الأرز فانطلق البخار، لذا لن يكون مطهوا كما ينبغي.
قال «حسن. حقا يمكنني أن أذهب. يمكنني أن أذهب وألف
وأدور في الشوارع وأسأل عنها. هل رأيتم أخت زوجتي؟ إنها
هربت فقط من زوجها. وأرسلت لنا هذا العنوان: دكا، إنني على
يقين أن الأمر لن يستغرق طويلا حتى أعثر عليها. ربما عمرا أو
عمرين. وعلى أي حال ليس أمامي سوى أشياء قليلة للغاية أفعالها
هنا. ليس لدي سوى درجة علمية أكملها وترقية أحظى بها وابن
قادم في الطريق. هل أحزم حقيبتي؟ ربما قمت بتجهيز حقيبة.
يجب أن أذهب إلى دكا وأنتزعها من الشوارع فورا وأعود بها
لتعيش معنا. يمكنني أن ألتقط في الطريق بقية عائلتك ويمكننا

أن نقيم هنا جوربيور صغيرة. هل هذا ما تفكرين فيه؟»
كل شيء ممكن. أرادت أن تصرخ. هل تعرف ما فعلته اليوم؟
دخلت حانة لكي أستعمل الحمام. هل تعتقد أنه بوسعي القيام
بذلك؟ مشيت ميلا وراء ميل ربما حول لندن برمتها، على الرغم
من أنني لم أر نهايتها. وحتى تتسنى لي العودة من جديد ذهبت
إلى مطعم. وجدت مطعما بنغاليا. وسألت عن الاتجاهات. رأيت
ما أستطيع أن أفعله!

قالت «الأمر يرجع إليك. كنت أقترح فقط» خلع شانو معطفه.
بدأ يضغط بيده على وجهه ونظر إلى قفازاته وخلع هذه أيضا.
أنت قلقة. دعيني أقل لك شيئا ما. أحيانا لا يكون لنا سوى أن
نتنظر ونرى. أحيانا يصبح هذا غاية ما نستطيع أن نفعله.»
«سمعت ذلك. أعرف ذلك». وضعت قليلا من الملح في الأكل،
أصبحت الحبيبات لينة بما يكفي لهرسها. قلبت فيها الفلفل
والكمون والكرمك وشرائح الزنجبيل. أصبح الخليط الذهبي
غليظا مشبعا بالفقاقيع. ذاقت نازنين الخليط بطرف ملعقة
فألهمت لسانها، غير أن قلبها هو الذي كان ملتها بالتمرد.

أسقطت نازنين الترقية من دعواتها. في اليوم التالي خرطت
قرنين من الفلفل الأحمر الحار ودستهما مثل قنابل يدوية في
ساندويتش شانو. لم تقم بغسل الجوارب التي تجمعت مثنى مثنى
وأعادتها إلى درجه. زلت الشفرة عندما كانت تزيل الأجزاء المتصلبة
في قدمه. اختلطت ملفاته عندما كانت ترتب المنزل. أعمالها اليومية
والفلاحون في مملكته الأميرية كل راح يثور تباعا. عصيانات
مسلحة بسيطة عقدت العزم على تدمير الدولة من داخلها.

اصطحبتها السيدة إسلام لزيارة الدكتور آزاد. غرفة الانتظار كريمة الرائحة كأنها ترشح المرض من أجساد المرضى. ثمة عجوز بأنف ذي بثور كان يجلس في الزاوية بينما يتجرع في أسى من كأس بها شيء ما. أسرة كبيرة من الأفارقة بلون حصوات النهر المنداة وبأعناق طويلة وجميلة وعيون منحدره، تناثروا كمروحة على المقاعد الأمامية. كان الأطفال يجلسون على أيديهم ويهمسون بعضهم إلى بعض. البالغون منهم التزموا الصمت. وجوههم لم تكن تعبر عن شيء سوى القدرة على الانتظار. فالانتظار كان مهنتهم. مصممت السيدة إسلام شفيتها. زحزحت قدميها تحت كرسيها وحكت كعبها الأيمن بمقدمة شبشبها الأيسر. من حقيبتها الكبيرة السوداء (تشبه حقيبة طبيب غير أنها تفوح برائحة النعناع، كما أن الإبزيم مزين بزجاج لامع) أخرجت عبوة بلاستيك من مناديل الورق. قالت «تفضل أيها الطفل. خذها إنها لك».

قالت نازنين «جميل جدا. لطيف للغاية».

أصدرت السيدة إسلام صوتا كالشخير «شخص ما أعطاني إياها. المناديل التي أستعملها على جودة عالية. إذا كانت هذه تروق لك سوف أجب لك المزيد».

اعترضت نازنين «كلا، لا تجلبي المزيد».

رفت يدها لتتفادى الاستتكار. «أعطها لزوجك». كان الثقب على جانب أنفها محاطا بثلاث شعرات قصيرة غلظت بفعل النتف. كيف تسير الأمور مع زوجك؟ «نظرت نازنين بعيدا» هو بخير. بغض النظر عن الأجزاء المتصلبة في قدمه واضطراب بسيط في المعدة أحيانا»

لمحت بطرف عينها رفيقتها وهي تهز رأسها وتزم شفيتها. ثمة فترة صمت. في نهاية الأمر قالت السيدة إسلام. «لست في حاجة إلى أن تخبريني فأنا اعتدت على معرفة هذه الأشياء».

حدقت نازنين في اللوحة المعلقة على الحائط ومكتوب عليها بخمس لغات «جميع الشباب الذين يأتون لي. كل شخص يعلم أن ما يقوله لي يظل طي الكتمان ولكن إذا لم ترغب في التحدث فأنا لا أرغب في الاستماع». اللوحة الثانية تقول «ممنوع التدخين، ممنوع الأكل، ممنوع الشرب». فكرت نازنين أن الإشارات جميعها تخبرك فقط بما لا يجب عليك أن تفعله.

«سأقول لك شيئاً بدلا من ذلك». أخذت السيدة إسلام معصم نازنين. كانت يدها ساخنة جافة. الجلد هش كأنه على وشك أن يذوب في الماء.

«لما كنت فتاة. كان أقرب بئر للقرية على مسيرة ميلين. كانت هناك بئر في القرية غير أن ماءها فسد بسبب لعنة، وماء البحيرة أصبح بدوره مسمما. ميلان شاقان في الذهاب وميلان أشق في الإياب، والنساء طفح كيلهن فلقد كن يقمن بجلب الماء وحمله. وعندما شكون إلى أزواجهن ماذا كانت النتيجة. لم تكن هناك نتيجة لأنه لم يكن هناك محرك للرجال فهم لا يعانون من شيء. فلماذا ينبغي عليهم أن يستجيبوا؟ وهنا اجتمع نساء القرية ليناقدن الأمر.

بادئ ذي بدء تقاسمن شكواهن. ثم راحت كل واحدة تتعاطف مع الأخرى. بعد ذلك وبخن رجالهن.

في إحدى المرات التي حدثت فيها هذه الأمور انتقلن ليقررن ماذا يستوجب عليهن فعله .

قالت امرأة، أعتقد أنها كانت ربا، خياطة «أخواتي واضح أن المفروض علينا أن نجعل الرجال يعانون من أجل أن يشرعوا في مساعدتنا وحفر بئر جديدة. كل ما يجب علينا فعله أن نتخلى عن مهمتنا . سنقوم بعمل إضراب. إذا أرادوا الماء فليحضروه لأنفسهم». لاقى هذا الاقتراح بعض الاستحسان وجرت مناقشته فظهرت من ناحية أخرى الثغرات. هل يمكن أن يكون الرجال محل ثقة في إحضار ما يكفي من الماء لأسرهم؟ هل يمكن للنساء ألا يحضرن سوى حصتهن من الماء وألا يقتسمنها مع الرجال؟ هل سيكون الأطفال هم الأفراد الذين عليهم أن يعانون أكثر؟ هل سيرى الرجال دافعا ويبدأون في الحفر، أم سيلاجأون إلى العنف؟ كان هذا إلى أن تحدثت شيناز. كانت شيناز تجلس خارج الحلقة. حتى هذه اللحظة كانت صامته. بعد زواجها انتقلت شيناز إلى المدينة غير أن زوجها هجرها هناك. ثم أصبحت فتاة «جاترا» ، فتاة راقصة. ولما رجعت إلى القرية كان يجب عليها أن تكافح للعيش عن طريق بيع الشيء الوحيد الذي كان عليها أن تبيعه. من أجل ذلك كانت تجلس خارج الحلقة. على أي حال قالت شيناز: ثمة نوع آخر من المهام تؤديه ولو تخيلنا عنه لن يمثل مشقة إلا للرجال، استدار الجميع لينظرون إليها على الرغم من أنه لم يكن في وسعها أن تنظر إلا للأرض. فقد كانت مصرة على مواصلة وجهة نظرها. الرجل لا يستطيع أن يعيش من دون ماء. غير أنه يمكن أن يتحمل فكرة عدم وجود

ماء. الرجل يستطيع أن يعيش من دون جنس. يستطيع أن يعيش من دونه غير أنه لا يمكن أن يتحمل فكرة عدم وجود جنس. هذا هو اقتراحي. وكانت هذه هي الطريقة التي استطاع بها النساء في قريتي الحصول لأنفسهن على بئر جديدة. لو فكرت أنك بلا حيلة فأنت كذلك. كل شيء موجود بداخلك حيث أحله الله. إذا لم يفعل زوجك ما هو مطلوب منه فكري فيما نسيت أنت أن تفعله.

أطلقت السيدة إسلام معصم نازنين. تناولت منديلا ورقيا ونشفت فمها كما لو كانت تخلي الطريق للحكاية التالية. عيناها كانتا قويتين وصغيرتين مثل عيني طائر، شعرها الأبيض يبدو أنه سيقتصف تحت وطأة مشط. على وجهها ارتسمت ملامح العظمة والضجر والمعرفة التي مهما حدث سوف تصبح هي التي تتولى الإشراف عليها. نادت موظفة الاستقبال التي دست سيجارة خلف أذنها على اسم نازنين «مدام أحمد» وهي تتكئ على الطاولة؟

قامت نازنين غير أنها ترددت فلم تكن متأكدة إذا كانت ستدخل بمفردها أم بصحبة رفيقتها.

قالت السيدة إسلام «أذهبي! أذهبي» وراحت تحديق في نهدي الموظفة التي ردتها على الفور.

كان الدكتور أزداد يجلس وقدماه جنبا إلى جنب، ركبته مضمومتان إحداهما إلى الأخرى. وعلى الرغم من أن كرسيه كبير وذو حشو جيد فإنه لم يستند إليه وأبقى ظهره منتصبا، لذا كان يبدو كدمية بمفاصل موضوعة على نحو ثابت في مقعد.

كان يجلس أمام مكتبه في شكل زاوية قائمة، مواجهها نازنين. على المكتب دفتر مسطر وقلم وملف صغير أصفر وصف من مجسمات. تعرفت نازنين على العواصف الثلجية في زيارتها الأولى للدكتور آزاد. كانت مدهشة تلك المدن النائمة تحت الماء. عندما تهزها ترب بانفجار أبيض. عندها يمكنك أن تتخيل الحياة بداخلها. يقول الدكتور آزاد إنها أشياء خاصة بالأطفال. لكنه لم يفسر سبب وجودها على مكتبه.

- أي اضطرابات، أي ألم، أي فقدان للدم؟
قالت نازنين «كلا. كل شيء تمام».

- شهيتك جيدة؟

«نعم»

- إذن أتوقع أن الأمور ستسير في انتظام وسوف تحظين بطفل موفور الصحة ولنسوف يعتني بك في شيخوختك.

ابتسم الدكتور. كانت ابتسامته أكثر ابتسامة لها خصوصية. ترتفع ذقنه وينزل طرفي ذقنه. وعلى الرغم من ذلك تظل ابتسامته. يمكنك القول من خلال الطريقة التي كان يرتفع بها حاجباه إنه كان يقصد نوعاً ما من المرح.

«كل ما يجب عليّ فعله الآن أن أقيس لك الضغط. وأحدد لك موعداً بالمستشفى. هل عندك أي استفسارات؟»

كان صوته هادئاً، الكلمات تنفتح كأزهار على شفثيه ومع ذلك كانت له سلطة. شانو يتحدث بصوت مرتفع. يزن كلماته كالذهب ويلقيها حوله كالمجنون.

قالت شيئاً واحداً زوجي يود أن تزورنا مرة ثانية على الغداء.

أخرج الدكتور آزاد رباط ضغط أسود من الدرج وتوجه إلى نازنين ليشمر كمها. راقبت وجهه، محاولة قراءة إجابته. لاحظت أن أنفه ارتفع، دليل على الضعف لدى الرجل، وفقما كانت تقول. أما لم يبد الدكتور ضعيفا. شعره كان يشبه خوذة لامعة، حليقا ومسوى من المقدمة ومطبوعا بدائرة ضوء من المصباح الذي فوق رأسه. البشرة حول عينيه بدت منتفخة ورمادية والعينان نفسيهما ليستا ثاقبتين ولا آمرتين. غير أن فمه كان حازما ووضع منتصبا. كان يتمالك نفسه كرجل يعلم مكانته في العالم ويعلم أن العالم بدوره على علم بها.

«الضغط على ما يرام. حسن. حسن». أعاد رباط الضغط والأنبوب الصغير مع مضخة الهواء إلى الدرج.

قال «نعم أوافق على الرحب. ثمة حوار علينا أن نواصله، أنا وزوجك. لقد قاطعنا المرضى كثيرا بطريقة سخيفة. كما أن عندي بعض الكتب يجب أن أعيدها. هناك واحد مازلت أقرأه. إنه معي في حقيبتي. هل تعتقدون أنه مسموح لي أن أؤخره قليلا؟»

لم تعرف نازنين بأمر الحوارات المقطوعة والكتب المستعارة. كان ظهرها يؤلمها. حتى الاضطجاع مستوية على الفراش الناشف الجديد لم يكن مريحا. كانت تحتاج إلى أن تتبول وعندها كان يعترها حرقان. في بقية الوقت يدفعها للحك. ولكن ماذا يمكن أن يقال عن هذا للدكتور آزاد؟ كل شيء تمام؟ لقد أخبرته بذلك.

يمكنها أن تذكر الظهر ولكن أي شيء آخر يمكن أن تذكره امرأة حامل إذا لم تكن هناك آلام في الظهر؟
«أجل لقد جاء لزيارتي مرة أو مرتين». سكت برهة.
«كلا ثلاث أو أربع. لقد تذوقت كبابك اللذيذ. ووقعت لشانو عريضة التماسه. لقد استعرت كتباً وانهمكت في نقاش أدبي. هذه تعد أشياء جميلة. ولكن كل شيء في مكانه المناسب يجب أن أقوم، دعيني أقوم بزيارة منزلية».

عريضة التماس؟ أي عريضة التماس تلك؟ لم تر نازنين أي عريضة التماس. عادت إلى السيدة إسلام التي كانت غافية في كرسيها ورأسها يميل إلى الوراء. لذا كانت تبدو مستغرقة في النوم باستثناء حقيقة أن عينيها مفتوحتان. فكرت نازنين أنها ربما كانت تنام وعيناها مفتوحتان. بهذه الطريقة لا يفوتها شاردة ولا واردة وتعرف كل شيء. مع ذلك لا بد أن راضية هي التي حدثتها عن شانو وحسينة ومشاكلها. ابتسمت قليلاً عندما تصورت راضية وهي تتني ساقها الطويلتين وتفيض بالنميمة من شدقي فمها الذي بحجم فم رجل.

كانت جاثية على ركبتيها ويدها مبسوطتان على السجادة. صلاة الظهر. كل شيء لا بد أن يظل صافياً الآن. كل الشكوى، كل أنواع القلق والقوائم التي شكلت حياتها يجب أن تتحى جانباً. يمكنها أن تكون شاكراً. باستطاعتها أن تنشط جسدها وعقلها بالشكر. لا ينبغي أن يكون هناك مجال لأفكار أخرى على الرغم من استطاعتها أن تفكر في الله وكلمات الصلاة، العظمة لله. الأعلى، الله أعظم من كل شيء، وتذكر الطفل أيضاً لأن الله

لا يريد لها أن تنسى ذلك. أيضا حسينة لأنها كانت ممتنة لأنها
ولللخطاب الذي وصل بسلام. لم يكن في وسعها أن تنسى الطفل
لأنه كان يتدافع في بطنها، باحثا عن موطن قدم. بالضبط تحت
ضلوعها.

لم تستطع أن تخفض جبهتها على السجادة. كان غير ممكن.
ثمة نظام ديني معين للمرأة الحامل. إذا أحببت لأمكنها أن تقوم
بالصلاة من كرسيها. لقد جربتها مرة غير أنها أصابتها بالكسل.
لكن من الجميل أن الأئمة فكروا في ذلك. كان هذا يمثل عطف
وشفقة الإسلام على النساء. مع العلم لو أن أحدا من الأئمة حمل
مرة هل كانوا جعلوا الجلوس غير إلزامي، وهكذا لم يستطع أن
يشعر أحدهم بأنه يؤدي للكسل. كيف حدث لي أن أصبح بهذا
الحمق، فكرت نازنين. ما الذي أصاب عقلي حتى أشرع في الكلام
عن الأئمة الحوامل؟ في بعض الأحيان لا يبدو أنه ينتمي لي،
فأحيانا يتجرد ويضع إبهامه على أنفه تهكما مثل جوكر حقيقي.
كانت نصف منزعجة ونصف مرتاحة عند سماعها طرق راضية
وهي تنادي عليها «أختاه إنه أنا فقط. لقد أحضرت لك دواء».

كانت راضية ترتدي قبعة صوفية تغوص لتغطي أذنيها.
مضبوطة في خط واحد مع حاجبيها. على السلوار كاميز^(١٧)
كانت تلبس كنزة فضفاضة بحياكة في مقدمتها حيوان ما (غزال؟
عنزة؟) حذاؤها ضخمة مثل شاحنة مضرورية بعدد لا يحصى من
التصادمات. أبقت القبعة على رأسها ونازنين كانت دائما على
شفا توضيح هذا.

(١٧) سلوار كاميز: بنطلون يرتديه النساء في الهند - المترجم.

«ذوّبي الأكياس في الماء وخذي منها مرتين في اليوم. سوف يعالج مشكلتك. لن يعود هناك حرقان».

قالت نازنين «سأفعل ذلك، عندي شيء يجب أن أطلعك عليه».

كان الخطاب هذه المرة طويلاً، مزوداً بعنوان. تحدثت حسينة عن المالك السيد شودري، وعن وظيفة بصدد أن يجدها لها في مصنع ملابس. وعن مؤسسة الآيس كريم في نهاية الطريق. كانت تبدو مغرمة وخصوصاً بنكهة الفستق والملاعق البلاستيك. يظهر أنها لم يكن عندها أدنى فكرة عن الخطر المحدق بها (وكان يحرق بها الخطر، فتاة شابة جميلة. وحدها في دكا)، غير أن نازنين أملت أن يأخذ السيد شودهري باله منها.

قال شانو إن السيد شودهري سيكون مسؤولاً. فأى رجل صاحب أملاك سيكون محترماً وستكون في حمايته.

قالت راضية «أنا سعيدة لأجلك وأظن أن زوجك سعيد أيضاً».

«لم يكن يريد أن يفعل شيئاً والآن لم يعد عليه أن يفعل شيئاً».

«الرجال يحبون أن يظهروا أنهم كانوا على حق. يجب أن نخرج عن مسارنا لنريهم إلى أي مدى هم على حق. إن زوجي من العينة نفسها».

«لما قرأ الخطاب قال «ماذا قلت لك، أحياناً لا بد أن نجلس ونتنظر».

«هل مط شفتيه وهز رأسه هكذا؟» زمت راضية شفتيها زمة كبيرة وأوسعت عينيها.

لم تنته نازنين «إنه لا يتقبل شيئاً واحداً في حياته سوى هذا: يجب أن تترك أختي لنصيبتها. أي شيء آخر يمكن تغييره ولكن ليس ذلك الشيء»

فردت راضية ظهرها على الأريكة. جعلت الأريكة تبدو صغيرة وأوقعت أحد مساند الرأس البلاستيك على الأرض. «ماذا نستطيع أن ندين به القدر؟»

«أنا لا أدين القدر بأي شيء». فكرت نازنين برهة أن تروي حكاية (كيف تركت لقدرك) غير أنها كانت طويلة على الخوض فيها الآن. «إنني فقط... غاضبة على شانو ولكن مم بالضبط؟»

«إنك مشغولة فقط على أختك. شيء طبيعي. وفي ظروفك تصبح الأمور أكثر من مجرد انشغال. يجب أن تأخذي بالك ولا تبالغي في الأمور. هل علمت أن ناظمة رزقت بطفلها الثالث يوم السبت وجاء مبكراً شهرين؟ لا أدري إذا كان ذلك صحيحاً، ولكن سوروبة تقول ذلك حدث لأن زوجها لم يكن يتركها في حالها وهذا جعل الطفل يولد قبل أن يكون مكتملاً».

قالت نازنين «إش» بينما ضيقت عينيها عند سماع الفكرة. راحت تمسد بطنها وتضغط عليه بقوة لتتحسس استدارة رأس الطفل أو مؤخرته. وضعت قدميها على مسند قدم.

أصبح هناك ثلاثة مساند للقدم وكروسي إضافي (هذا الكروسي تتراكم فوقه أشياء، خيوط رمادية، أغراض قليلة القيمة غير أن

شانو قال إنها قيمة، وعندما أصلحها كان ينوي بيعها من جديد) أصبح من الصعب عليها أن تختار الأثاث الآن. كان كلاهما آخذاً في النمو، نازنين والأثاث.

«على أي حال كانت هذه ولادة قصيرة، ليس كولاتها الأولى التي استغرقت ستا وثلاثين ساعة. ولادتي أنا استغرقت ثماني وعشرين ساعة.

«عندما ولدت فكرت أما أنه عسر هضم. قالت إن بعض النساء يثرن جلبة كبيرة».

قالت راضية «هاه» تناولت أحد كتب شانو من تحت قدميها ووضعتة على الطاولة الواطئة.

«إنه شيء طبيعي يحدث لكل النساء».

قالت راضية «هاه، سوف أجيء معك إلى المستشفى. في المرة القادمة سأجيب وأجهز معك حقيبة استعداداً للحدث الكبير...».

«لم تصدر أما صوتا واحدا عندما ولدتُ». قالت راضية «ممم» راحت تتطلع حولها في الغرفة كأنها أول مرة تدخلها.

تطلعت نازنين حولها هي الأخرى. ثمة قطعة من ورق الحائط تجعدت بجوار النافذة تماما والستائر الرمادية الرقيقة بدت كأنها ضمادات كبيرة مستعملة. كان الوقت بعد الظهر غير أن الضوء قد انسل بعيدا ورمادية الستائر بدت تلقي بظلالها على كل شيء.

«هل علمت بأمر أمينة؟»

لم تعلم نازنين.

«إنها تطلب الطلاق. سمعت ذلك من ناظمة التي سمعته من سورية. أخبرتها بهذا هانوفا، وهي سمعته مباشرة من صاحبة الشأن».

«رأيتها بشفة مشقوقة وفي إحدى المرات كانت ذراعها مربوطة في علاقة. لا بد أنه تجاوز الحد هذه المرة».

قالت راضية «ليس ذلك فقط». نظرت إلى نازنين من تحت رموشها المجعدة فعرفت نازنين أنها تستمتع باللحظة.

«إن له زوجة أخرى نسي أن يذكرها على مدار الإحدى عشرة سنة الماضية».

«اللهم ارحمنا من هؤلاء الرجال الأوغاد ومن أنفسنا أيضا لأنه ينبغي أننا نستمتع بتلك الأشياء».

«على أي حال إن زوجك لن يجعلك زوجة ثانية. إنك تحظين بشيء يجب أن تكوني ممتنة لأجله». ابتسمت راضية. لم يكن ثمة شيء أنثوي في وجهها. فهي بشعرها المحشور في قبعتها يمكن أن تكون عاملا أو صيادا ولكن عندما تبتسم يفقد وجهها خبثه، نظرة جانبية، وأنفها يبدو أصغر. «هل هناك أخبار عن الترقية؟»

«زوجي يقول إنهم عنصريون. وخصوصا السيد دالواي. يرى أنه سيحصل على الترقية لكن الأمر سوف يستغرق منه وقتا أطول من أي رجل أبيض. يقول إنه إذا طلى بشرته باللون الرمادي والأبيض فلن تصبح هناك مشكلة».

لاحظت أن شانو بدأ كلامه يقل عن الترقية ويزيد عن العنصرية. لقد حذرنا من أن تقيم صداقات معهم، كأن ذلك

في الإمكان. فهم طوال الوقت مهذبون، بيتسمون. يقولون من فضلك لهذا وشكرا لذاك. لا يخطئون في هذا، يضافونك باليد اليمنى وباليسرى يطعنونك في الظهر.

قالت راضية «لا بأس. يمكن أن يكون ذلك صحيحا».

رددت نازنين الكلمات «يمكن أن يكون ذلك صحيحا. انتظرت إضافة. كانت راضية تنزع خيطا من كنزتها.

قالت نازنين «زوجي يقول إن هذا تعصب».

«اسأليه إذن في هذا: هل ذلك أفضل من العيش في بلدنا الأم أم أسوأ؟ إذا كان أسوأ فلماذا هو موجود هنا؟ وإذا كان أفضل فلم يشكو؟»

كانت هذه أسئلة لم تسألها ولم تفكر أن تسألها. لقد حلت في هذه البلاد لأن ذلك ما حدث لها. ومن ثم فأى شخص آخر كان هنا للسبب نفسه.

وجدت نفسها تقول «لا أعرف إذا كان يشكو، إنه يجب أن يتحدث فقط في أمور. إنه يقول إن تلك العنصرية مرسخة في بنية النظام. لا أدري أي نظام يقصده بالضبط».

«معلمة ابني معلمة جيدة، تساعدنا كثيرا وهو يحبها. زوجي لديه زميل عمل يمنحنا أشياء: ملابس صغرت على أطفاله، ماكينة لتجفيف الشعر. راديو. سلم نقالي. أشياء من كل صنف ولون. هناك أشياء صالحة وأشياء تالفة. إنه يحبنا فقط. فالبعض منهم يمكنك أن تكوني ودودة معه والبعض لا يكونون ودودين إلى هذا الحد. لكنهم يتركوننا وشأننا ونحن نتركهم وشأنهم. ذلك يكفي بالنسبة إلي».

«غير أن الأشخاص في الشغل مع زوجي يمكن أن يكونوا الأشخاص السيئين».

«هناك شيء آخر إذا لم تحصلي على وظيفة هنا يعطونك نقودا. هل علمت بذلك؟ في استطاعتك أن تعيشي في مكان ما من غير إيجار. أطفالك يمكن أن يلتحقوا بالمدرسة. وفوق ذلك كله، يعطونك نقودا. كيف كانت ستصبح الحال في الوطن؟ هل يمكنك أن تأكلي من دون عمل؟ هل يمكن أن يكون لديك سقف فوق رأسك؟» خلعت راضية قبعتها. طقطقت نازنين بجسدها. قالت راضية «لقد قصصت شعري. سئمت منه. كل ذلك التمشيط تلو التمشيط. مررت يدها على شعرها وشدت خصلة حول وجهها. لم تصل حتى إلى فمها. قرأت ما كانت تفكر فيه نازنين.

«لقد نظر إليه فقط هكذا» تركت فمها يعلق مفتوحا ومررت عينيها. ضحكته مثل قدر وقع على أرضية بلاط. فانطلقها كان يجعلك تثب.

«ولم يغضب؟» زوج راضية بالنسبة إلى نازنين كان يبدو غاضبا على الدوام. لقد رأته في شقتهم عدة مرات، ومرة أو مرتين في الساحة. كان يعمل في مصنع للدمى البلاستيك. مثل هذا الرجل الضخم يصنع دمي صغيرة. كانت هناك سيقان في خزانة المطبخ ورؤوس على عتبة النافذة وجذوع تحت الأريكة. فإما أنه كان لا يحضر إلى البيت سوى الأجزاء أو أن طارق وشيفالي كانا مغرمين بنزع الأوصال.

لم تسمعه قط يتحدث إلى راضية إلا من وراء باب مغلق.

لذا لم يتسن لها أن تفسر الكلمات. على الرغم من أنه كان صامتا فإن ثمة رعدا كان في حاجبيه وفمه، لديه أداة فتاكة. مختلف جدا عن زوجها هي. حتى عندما كان شانو يعنفها كان يبدو مستأنسا بالكلمات أكثر منه محتدا. قالت راضية «دعيه يغضب» كما لو كان أمرا ليس من شأنها.

«هل سيعيد هذا شعري؟ يجب أن أنصرف الآن. لا تنسي الدواء. علي أن أنصرف الآن لأنني سأذهب إلى الكلية. سوف أتعلم الإنجليزية».

جاهدت نازنين للوقوف على قدميها. ذكرت راضية بأن تأخذ قبعتها. فجأة داخلتها صورة لحسيينة بشعر قصير وهي تتسكع مرتدية بنطلونا رجاليا وتدخن سيجارة بشفتين لامعتين مطليتين. قالت راضية في أثناء انصرافها «هل تعلمين لماذا أنوي تعلم الإنجليزية؟ حتى عندما يشرع أطفال في قول النكات البذيئة من وراء ظهري أتمكن من جلد ظهورهم».

كان شانو جالسا القرفصاء على السرير. ركبته عاريتان مشرعتان في بلادة نحو الجدران. البطن يكبر فوق أعضائه الخاصة بفعل تضخم الغدة الدرقية. اليدان تندسان تحت طيات البطن تستكشفان وتزنان. ذراعان سمرأوان نحيلان، ثمة عنقود من البثرات فوق المرفق الأيمن. كتفاه نحيلتان، متماسكتان جيدا، جميلتان إلى حد ما. ومن فوقهما وجه مستدير وممتلئ. مثل هذا الوجه على رجل آخر كان سيبدو سعيدا. كان شانو يفكر. فمه يرف. تحرك ناحية اليسار ثم عاد إلى اليمين، ثم إلى أعلى هذه

المرّة، رافعا خده. بينما يلوي ثقب أنفه، مغمضا العين. هدأت الشفاه هنيهة. ثم انفرجتا ثم تمطتا ولفطتا كلمة. تولت العينان الأمر. ضاقتا في تمحيص وانفتحتا في دهشة وأغمضتا نصف إغماضة في تقدير. جعلتا الحاجبين يعملان، وجمعا الخطوط السائرة في الصدغين لتؤدي دورها. إذا كان شانو مستيقظا فهو يفكر وأفكاره مكتوبة على وجهه. تخيلت نازنين أنه مثل طفل تعلم القراءة ولا بد له أن ينطق الكلمات.

«أرأيت...». فكر مليا للحظة كما لو كان يتذوق أفكاره. تتحنج. أخرج يديه من تحت بطنه. «أرأيت. كان أزد يلمح إلى خداعي، واحتيال علي. نعم بالتأكيد كان يلمح بأن سوء التصرف قد بدأ، وذلك ليس حاصلا. إنه لم يحصل».

ناولته نازنين بيجامة. علقته بنظونه على شماعة، من دون أن تطويه جيدا، ثم وضعته داخل الدولاب. لم ينتبه إلى الجوارب المتسخة والبنطلون المكسر. لقد مرت عصياناتها من دون أن يلحظها. كانت مغتاضة من قلة اهتمامه وسعيدة بمهارتها. نظر شانو إلى بيجامته كما لو أن ثمة شيئا مدهشا أو غير مألوف في القماش المزهر. لكن الغرض من الفقرة المدرجة كما ترى لا يعتبر مخادعة بل هو توضيح. في الواقع سأكون مسؤولا عن إدارة المكتبة المتقلة. من غيري سيفعل ذلك؟ لقد كانت فكرتي ومطلبي، ابني إذا جاز التعبير. ليس ثمة شخص يمكن أن يكون أفضل مناسبة مني لجلب عالم الآداب العظيمة إلى هذا المكان الوضيع. بالطبع ليس هناك الكثير لكي نبدأ به فيما يتعلق بالكتب البنغالية. لكنني يمكن أن أسافر إلى دكا. إلى كالكتا

لأسجل أكشاك الكتب التي توجد حول الجامعة. أعتقد فيما يشبه مهمة أدبية.

أصدر صوتا راضيا كأنما فرغ من فوره من الطعام. ثم طفق وجهه يتحرك من جديد. رفع صوته وإصبعه. غير أن أزيد قال وليس بكلمات كثيرة إنني فعلت شيئا في دهاء. قلت له يا أزيد (لقد كنتُ هناك! ألا تتذكر؟ كنتُ هناك وكنتُ تناديه دائما بدكتور)، طلبت منك أن توقع على عريضة التماس وأنت وقعت. فأنت موافق على فكرة مكتبة متنقلة للعمارة: أعتقد أنك استخدمت كلمة «رائعة»، هل تقول لي الآن إنني لو أصبحت المسؤول عنها سوف تتحول من رائعة إلى سيئة؟ (كلا لم تقل، لم تقل ذلك) إنني في حاجة ماسة إلى أن أوضح لك أن تعديل صياغة عريضة التماس مجرد فعل تصحيح وليس إفسادا». وظل صامتا. لبس شانو سترة بيجامته. ابتسم «أعتقد أن ذلك يشي بالكثير».

«متى ستحصل عليها، المكتبة؟»

«أها إنها بالطبع مسألة اعتمادات مالية. تكلفة شاحنة. والكتب والوقود. كل هذه الأشياء. على أي حال لم أنته بعد من جمع التوقيعات».

كم توقيعا لديك؟

أجرى شانو بعض الحسابات وهو يميل رأسه في هذا الاتجاه وذلك.

«أقول إجمالا سبعة أو ثمانية. غير أنني أطمح في المزيد. هل تعتقدين أن أزيد سوف ينشر هذه النسخة في مكتبه؟ قالت نازنين «لا أعرف، ربما» نظرت إلى الرجل الذي يرتدي

سترة البيجامة الصفراء المزهرة، بركبتيه العاريتين المفتوحتين على مفروش السرير الوردي. تطلعت إلى دولاب الملابس الأسود اللامع الضخم والرسم الذهبي المزجج الذي يمكنك انتزاعه بأظفر الإصبع. نظرت إلى السجادة البنية والرقعة البالية في شبكة البلاستيك التي تمسكها بعضها ببعض. نظرت إلى مصباح السقف الذي يظهر الغبار في الظل ويلقي الظلال على الحوائط. نظرت إلى بطنها الذي يخفي قدميها ويجبرها على الميل إلى الوراء لتواجه وزنها. نظرت ورأت أنها محبوسة داخل هذا الجسد، داخل هذه الحجرة، وداخل هذه الشقة، داخل هذه الفجوة الخرسانية للإنسانية المدفونة. لم تكن لهذه الأشياء صلة بها. أغمضت عينيها ثانيتين وراحت تشم الياسمين الذي كان ينبت بجانب البئر وتسمع الدجاج وهو ينبش في الأرض الدافئة، وتشعر بضوء الشمس الذي ألهب خديها وراح يصنع أشكالاً راقصة على رموش عينيها.

قال شانو «ربما، ربما. ربما لا ينبغي عليّ أن أورطه. الله يعلم سوف يتهمني بأي شيء في المرة القادمة. فالرجل الأصلع لا يمشي تحت شجرة أجراس مرتين «ضحك» على الرغم من أنني لم أصبح أصلع صلعا تاما بعد». جاهد في لبس سروال بيجامته من دون أن يترك السرير، ثم انقلب على بطنه وتناول كتابا من الأرض. «هذا كتاب جيد جدا. الإحساس وقابلية الإحساس» قالها بالإنجليزية.

«من الصعب ترجمتها. دعيني أفكر فيها».

«سوف تذهب راضية إلى الجامعة لتتعلم الإنجليزية».

«آه، حسن».

«ربما يتسنى لي أن أذهب معها».

«حسن ربما». لم يحرك عينيه من كتابه.

«يمكنني أن أذهب إذن؟»

«كما تعرفين المفروض أنني أقرأ الآن في السياسة. انتخابات القرن التاسع عشر. لكنهم يجعلونها جافة جدا. يمكنك أن تتعلمي كثيرا من الروايات أيضا. كل أنواع الأشياء يمكنك أن تكتسبها عن المجتمع والسياسة واستصلاح الأراضي والتوزيع الاجتماعي. وذلك ليس بطريقة جافة».

هل سترضى أن أذهب؟

«أين؟» انقلب على ظهره لينظر إليها. كان بطنه مكشوفاً.

«إلى الكلية مع راضية».

«لِمَ» «من أجل دروس الإنجليزية».

«إنك ستصبحين أما».

رفعت نازنين كوباً من حافة النافذة. حقا كانت بصدد أن

تصبح أما.

«ألن يجعلك ذلك مشغولة بما يكفي؟ كما أنه لا يمكنك أن

تأخذي أما إلى الكلية. فالأطفال يجب إرضاعهم ويجب تنظيف

مؤخراتهم. ليس الأمر بهذه السهولة. مجرد أن تذهبي هكذا

إلى الكلية».

قالت نازنين «أجل أرى أن ذلك لن يجعلني مشغولة».

«حسن، دعيني أقرأ الآن. كل هذا الكلام تلو الكلام».

انقلب ثانية.

كانت الثلجة تطن مثل ذبابة عملاقة. على البعد كانت حركة المرور تدمدم. لم تشعل نازنين الصباح. كان ثمة نصف قمر يشع هذه الليلة بالسماء المعتمة. أخذت علبة زيادي من الثلجة ورشته بالسكر. استندت إلى المنضدة وراحت تأكل. كان زوجها يقول لها في أثناء الوجبات «كلي، كلي» ولكن لم تكن تأكل من أجله. كانت تبدي تمالكها لنفسها بهذه الطريقة. أرادت أن تجعل إنكارها لذاتها أمراً مرئياً. لقد أصبحت عادة أو متعة أن تجعل سلواها في هذه الوجبات في منتصف الليل. كانت أما تصنع اللبن الرائب سميكا وحلوا ودافئاً. لا يشبه هذه القدور البلاستيك القادمة من البقرات الإنجليزية. غير أنه مازال به سكر يهبط في القاع. وكان مناسباً جداً. عندما فكرت في جوربيور الآن كانت تفكر في عدم ملاءمة العيش من دون مرحاض يتدفق منه الماء لينظف تلقائياً. أن تهجر حوضيها (المطبخ والحمام) أن تصنع ناراً للفرن بدلاً من أن تفتح زراً. هل كانت هذه المساومات تستحق الإقرار بها؟ حاولت أن تتخيل شانو سائراً إلى المرحاض وفي يده كتاب ثقيل. كان يحب أن يقرأ أحياناً لمدة نصف ساعة أو أكثر وهو يجلس على المرحاض. كان الذباب يرافقه إلى الحمام.

راح شانو في النوم ووجهه في الكتاب. كانت الصفحة موسومة بالرداذ. لم تكن كل هذه القراءة مفيدة له. فهي تجعل عقله يغلي. يمكن أن ينتهي به الأمر كما انتهى بماكو باجلا.

لقد مر وقت طويل منذ أن خطر على بالها ماكو باجلا. ولكن عندما كانت صغيرة اعتادت أن تمشي وراءه هنا وهناك. كانت حسينة ونازنين تسييران خلفه وهما تشبكان يدا بيد وتطوحان

باليد الأخرى الطليقة. صاحت حسينة «بي ياو، أعطنا مظلتك يا ماكو باجلا، هيا لأنها تمطر».

كان الناس يقولون إنه ضعيف العقل لأنه كان يقرأ باستمرار. لقد حطمته الكتب. وكلما كان أكثر تحطيمًا كانت الكتب التي قرأها أكثر. ومن هنا اكتسب اسمه ماكو باجلا. أو ماكو المعتوه. كانت حسينة هي التي أغرقت مظلته في البئر. تصليحات كثيرة على مر السنوات ورقع من كل لون جعلت منها مظلة شهيرة. ولم يكن ماكو يخطو خطوة واحدة من دونها. صرخت حسينة وهي تجري عائدة على البيت «قتل نفسه، ماكو باجلا قتل نفسه في البئر».

راحت أما على الفور تدعو بدعواتها بينما التقط آبا حبالا وانطلق يعدو. تقدمت حسينة ونازنين على ساقين مرتعشتين. على الرغم من أن رائحة نتنة كانت تتبعث من البئر القديمة منذ بضعة أيام فإن أحدا لم يعتقد أنها لافثة. بدأ الناس يلقون فيها بالنفاية. غير أن مظلة ماكو كانت هناك ولم يكن من المعقول سوى افتراض أنه كان معها. تجمهر الناس بسرعة. كان كل شخص له رأي، غير أن أحدا لم يرغب في النزول إلى قاع البئر لانتشال الجثة.

في نهاية المطاف انسحب مجلس القرية إلى منزل نازنين. تولى آبا رئاسة الاجتماع. سمعته نازنين وحسينة وهما ينتظران بالخارج يقول، «لقد لاقى ميتة مهينة، فلنمنحه على الأقل جنازة مهيبة». ردوا الكلمات بعضهم لبعض، بينما يهمسون من وراء أيديهم في الأذان. بعد ذلك وجدوا ههدا مقلوبا على ظهره

يستحيل إلى قشور. وقالوا الكلمات مرة ثانية وحضروا قبراً ضحلاً. لقد أصبحت لعبة مارسوها مرارا وتكرارا. نازنين حزينة كغراب وحسينة تتظاهر. عندما اجتمع المجلس كان قد تم تقديم العرض: ستون روبية إضافة إلى مصاريف قطعة صابون شمسي كبيرة وزجاجة عطر لأول رجل يتطوع. تقدم عامل للأمام وكان مسرورا. تجرد إلى نجيتيه^(١٨) وصاح في زوجته لتحضر زيت الخردل الذي ذلك به جسمه. تم تجهيز العدة. سلة كبيرة من الخيزران وحبال سميكة وبلطتا حديد لتنظيف النفاية.

عندما أنزلوا العامل إلى الأرض صاح يعلق على عمله «لقد أحكمت ماكو» كان صوته مشوها ويتردد كالصدى. فارتفع هتاف آخر من المتجمهرين. بدأ المساعدون في رفع الجثة. قال الصوت من داخل البئر «رويدا رويدا هل تريدون أن تفصلوا رأسه؟» تم إنزال جسد ماكو العاري بحرص على الأرض. كان أبيض تماما وكانت ثمة ثقب حيثما ارتطم الجسد. عندما تم رفع العامل من البئر، كان يحمل معه ذراعا وضعها برفق فوق صدر ماكو.

أمسكت حسينة ونازنين إحداهما بالأخرى. قالت حسينة «لقد نسوا مظلمته». قالت نازنين، «لا يجب أن نغضبه». في المساء كانت أما لاتزال تبكي. كان أنفها أحمر وعيناها داميتين. أحيانا كانت تطلق صرخة حادة مثل قرد مذعور. كانت ترفع يدها لتغطي فمها لأنها كانت تستحيي من أسنانها التي تشبه بذور البطيخ.

كان آبا يدخن غليونونه ويجلس على عجيزته.

(١٨) نجيتي: لباس داخلي يشبه الصدرية. المترجم.

قالت حسينة، «لا تبكي يا أما». وقبلتها بشفتين رمانيتين. قال
أبا «أمك ولية لا تتسي ذلك. إنها تتحدر من عائلة أولياء». قام
وسار مبتعدا وتمالك نفسه أكثر من أي رجل. لم يعد لمدة ثلاثة
أيام.

سألت نازنين «أين يذهب أبا؟»

تطلعت أما نحو السماء «انظرا! طفلتي الآن تسأل أين
يذهب».

تطلعت نازنين إلى أعلى هي الأخرى. كانت السماء مثقلة
بأجنحة بنية خفاقة. كان البط يتوافد فقد حان الموسم. راح
يتوافد في أسراب بينما يلقي بظلال هائلة على الأنهار ويتوعد
الشمس.

ضمتها أما بشدة. أخذت وجه نازنين الكبير بين راحتها
وقالت لها «لو كان الله يريد لنا أن نسأل أسئلة كان خلقنا
رجالا».

الفصل الرابع

أبيض

كان الرضيع مدهشا. له أذنان خرقاوان صغيرتان، لينتان كالقطن. حرارة بطنه المستدير في إمكانها أن تدفئ العالم. رأسه يوضع برائحة زهرة. وقبضاته تحظيان بكرات صغيرة غامضة من الرغب لا يطيق الابتعاد عنها.

التفتت نازنين حوله على السرير. رفعت ذراعا وصلت إلى منتصف المسافة إلى رأسه ثم أنزلتها ثانية. كان يبدو أن عبث هذا التمرين يغضبه. انهار وجهه في فوضى أرجوانية. وراح يحدث جلبة مثل ألف جرو مضروب.

قال شانو، «كما ترين، كان يجلس على كرسي محشور بين السرير والحائط. ركبته في مواجهة مفرش السرير». بنت عم جدتي كانت صافية البشرة. وكانت مثالا للجمال إلى درجة أنها تسببت في معارك. ثمة رجل قتل أيضا. لكم كان يستعد للذهاب من أجل أن يحظى بيدها متزوجا إياها. رجل آخر، مجرد عامل بلا فرصة سلبه حياته. على أي حال هذا ما سمعته. لم أرها بنفسها قط إلا عندما كانت عجوزا وتشبه الخنفساء.

جلست نازنين قبالة بعض الوسادات ورفعت الرضيع إلى صدرها. مسحت على ظهره. كانت يدها مملوءة بالسحر. راح الرضيع يمص عنقها بهدوء.

«من هنا اكتسب روكو بشرته الصافية». اسم الرضيع محمد رقيب غير أن شانو كان يناديه بروكو. بشرة رقيب تشبه بشرة خالته. كانت حسينة شاحبة مثل سلحفاة الماء. رقيب كان يشبه الشوندش^(١٩)، قشدي وحلو المذاق.

(١٩) شوندش: نوع من الحلو. المترجم.

«السيدة إسلام ستأتي مرة ثانية اليوم. لو نعست لا توقظيني».

السيدة إسلام على يقين أن لديها نصائح أكثر بخصوص الرضيع.

تزحزح شانو في مقعده. كان المقعد آخر مقتنياته. وهو مصنوع من الأنابيب المعدنية والكنفا. المعدن كان صدئًا والكنفا ممزقا. أوضح شانو أنه موضة قديمة وعصرية في آن واحد ويستحق تجديده. رفضت نازنين أن تجلس عليه. حتى عندما قال لها بالأ تصبح امرأة مخبولة وتجربه. رفضت فقط بلا سبب.

قال شانو: «إنها تتحدر من عائلة طيبة، خلفية جيدة. متعلمة ومحترمة جدا. أما زوجها فصاحب أعمال كبيرة: تصدير واستيراد. لقد ذهبت إليه باقتراح». كان فكها يعمل في صمت لبرهة كأنه يقضم على خيط غير مرئي. منتجات الخيش - المشايات - مؤشرات الكتب، أشياء من هذا القبيل. كان مهتما جدا ولكن بعدها أصبح مريضا. كان مجرد سوء توقيت. لقد احتفظت بالاقتراح في مكان مع أوراق. ربما يستحق البحث عنه. كل الأرقام موجودة: التكاليف والدخول الإجمالية والأرباح مكتوبة بوضوح تام. لكنه في الواقع مات. ولم يتوافر لدي قط رأس مال. ماذا يمكن أن تفعله من دون رأس مال؟

حاول رقيب أن يرفع رأسه عن كتف نازنين كأنه يعرف إجابة هذا السؤال الصعب. منهمكا بحمل معرفته، غلبه النعاس.

بعين نصف مغمضة نظرت نازنين إلى أنفه ذي الشهر الواحد، إلى استدارة خده المنعمة، إلى عينيه العتيقتين المغمضتين بإحكام. أغمضت عينيها هي وتمنت أن يتركهما شانو وحدهما. «إنه نائم. لم لا تضعيه؟ في وسعهم أن يناموا أربع عشرة أو ست عشرة ساعة يوميا. أما روكو فلا ينام هذا الوقت الطويل. أعتقد شخصيا أنها مسألة ذكاء. كلما كان الرضيع ذكيا كان أكثر استيقاظا. وكلما طال وقت يقظته كان لديه تحفيز أكبر وأصبح أكثر ذكاء. إنها دائرة مطردة».

ظلت نازنين هادئة. أحشاؤها توخزها وجبهتها تضيق. كل ما يستطيع فعله هو الكلام. ولم يكن الرضيع سوى موضوع آخر يتحدث فيه. بالنسبة إلى نازنين كانت حياته أكثر حقيقية من حياتها هي. فحياته مملوءة بالحاجات: حاجات ملحة وواقعية يمكن أن توفرها له. ما الذي تمثله حياتها في المقابل سوى سلسلة من التآكلات غير محددة جيدا ومن المستحيل تبريرها. وشانو كان فقط يتحدث. بالنسبة إليه كان الرضيع عبارة عن مجموعة من الأسئلة، عدد من الاحتمالات. شرارة لاندلاع النقاش والتأمل. كان يفكر في رقيب ويتفحص تقدمه من بعد ويرسم خططا لمستقبله. لقد فتح الرضيع آفاقا جديدة وأغلق آفاقا أخرى. فلقد زوده بتلسكوب ومرآة. ماذا رأى شانو عندما نظر إلى ابنه؟ وعاء فارغ يجب ملؤه بالأفكار. أخذ بالتأثر: بارز ونام. شريك عمل مستقبلي. أستاذ جامعة: من أبناء الوطن. شانو آخر: ولكن هذه المرة بفرص منتهزة لا ضائعة. تركت نازنين شفيتها تنفجران وتنفست بعمق أكثر.

قال شانو: «لا بأس نامي الآن. لو جاءت السيدة إسلام سوف أوقفك». سمعت صوته وهو يخرج الصرير الخافت الذي يحدثه برئتيه وليس بعظامه عندما يقف. كان في استطاعتها حتى وعيناها مغمضتان أن تراه، يداه على ركبتيه. عيناه تتفحصان وتتفحصان. الشعر أعلى رأسه قصير منتصب، خصلاته تهتز. رجل تمر حياته على حين غرة. لم يتحرك. «السيدة إسلام من النوع الذي تسميه محترما». راضية في المقابل. «... تتنحج ورفع صوته» راضية في المقابل لم أكن لأسميها من النوع المحترم. أنا لا أدينها بشيء. ولكن ما هي خلفيتها؟ زوجها يزاول عملا من نوع حقير. وهو غير متعلم. محتمل أنه أمي. ربما يمكنه كتابة اسمه. لو لم يستطع كتابة اسمه سوف يتظاهر. أما راضية فتقص شعرها مثل عاهرة. ربما تسمي هذا موضة. لا أدري. ابنها يتسكع في أنحاء العزبة مثل متشرد وهو يلقي الطوب (وماذا لديك). عندما تحدثت إليه وضع أصابعه في أنفه هكذا وقطب جبينه هكذا. قاومت نازنين إغراء النظر إليه «لا بأس إنه ولد صغير. ماذا يعني؟» هنا سعل شانو بطريقة توحى لنازنين بأن خطابه سوف يصل إلى ذروة. «سأقول لك ماذا يعني. الولد لن يظل ولدا صغيرا لوقت طويل. وعندما يكبر سوف تكبر معه قلة الاحترام نفسها. يكبر الطفل وتكبر قلة الاحترام. ساعتها يصبحون عصاة. ويشرعون في تخريب الممتلكات والشجار والشرب ومطاردة النساء والمقامرة. يمكنك أن تري أين ينتهي الأمر وكيف يبدأ؟» نهض أخيرا. «فقط ضعني ذلك نصب عينيك. أنا لا أمنعك من زيارة راضية ولكن أطلب إليك أن تضعني ذلك نصب عينيك».

فردت السيدة إسلام ساقى الرضيع إلى أعلى حتى لامست قدماه أذنيه. شددت ذراعيه لأسفل ثم إلى الجانبين ثم عبر جسمه. أخذت الساق اليسرى وجعلتها على شكل مضخة لذا انضغطت على صدره ثم رفضت في الهواء. عدت السيدة إسلام حتى الرقم عشرة ثم بدأت من جديد مع القدم اليسرى. حومت نازنين إلى الجانب مثل كناس. رفت ابتسامة حول محياها.

أقدمت مرتين، ومرتين تراجعت.

قالت السيدة إسلام: «لا بد أن تدلكي الطفل كل يوم وإلا ستضمر أطرافه. علام تترددين هناك؟ اجلسي أو اذهبي وأعدي بعض الشاي».

«أنت لا تفعلين ذلك بقوة كما ينبغي. انظري! هو يحب ذلك. ذلك بدوره مهم لدورتهم الدموية».

ابتسم الطفل. وجهه كله يشبه العجينة. راح يخفق بذراعيه مثل فرخ طائر والسيدة إسلام كبيرة كغراب، تتحني فوقه وتدغدغ إبطه. غمغم الطفل واحتج. تشكلت الفقاعات على شفثيه. قالت السيدة إسلام: اللعنة، راحت تدغدغه أكثر. فراح الطفل يدير رأسه من جانب إلى جانب وأحدث جلبة إلى درجة أن نازنين خشيت أن يكون على وشك الإصابة بنوبة مرضية. وراح يلهث بشدة كأنه يغرق. «سأعد الشاي» قالتها من دون أن تنتظر إلى زائرتها.

بدأت نازنين تشمئز من هذه الزيارات. بلغ رقيب الشهر الخامس وما زالت السيدة إسلام لم تتفق كل نصائحها. ترى كم نصيحة أخرى يمكن أن تقدمها السيدة إسلام. وكم نصيحة

أخرى يمكن أن تأخذ بها نازنين؟ بدأت السيدة إسلام بالأشياء الواضحة. يجب أن تحلق رأس الطفل. فالشعر المولود به لا يكون نظيفا. لا بد أن يحظى بمسحة سميكة سوداء من الكحل حول عينيه. لأن الشيطان لا يتمكن سوى من الأطفال الجميلة. (لكنه مع ذلك كان جميلا) ويجب أن يدلك بانتظام بالزيت ويوضع في الشمس ليمتص فائدتها. كأن نازنين لا تعرف هذه الأشياء. ثم كانت هناك الأشياء الخاصة التي أخذتها السيدة إسلام عن أمها. ضعي إصبعاً على مؤخرة الطفل مرة كل أسبوع كي تسهلي نظامه، امتصي ثقبى أنفه للتخلص من المخاط. أديري الحلمة بين أصابعك قبل الرضاعة كي يتحضر اللبن. اتركيه على بطنه ساعة كل يوم حتى يقوى عنقه وصدرة. أعدي وسادة صغيرة من الريش. استفيدي من الأوراق وفصوص الثوم للمساعدة على النوم. يفضل ريش البيغاء. أضيفي بعض الزبد إلى ماء حمامه لتظل بشرته ناعمة. أعدي لصقة من الكركم وبذور اليانسون على صدره لعلاج السعال. دلكي قدميه بزيت جوز الهند لإزالة البرد. لا تقلبيه قط على رأسه.

ملأت نازنين الغلاية. رفعت الوليد. قالت «جي - جي - جو - جي» اهتز الطفل في حدس. قالت «جا، جي - جا، - جي - جا، - جي - جا» مال رقيب للخلف، مرتابا. علق تجويف مؤخرته. أعلنت بوادر اللعب عن تملقه. هدهته نازنين. فوق وتحت. لفظ الرضيع «داه» ورفس بساقيه البدينيتين. راح يحدق في وجهها كأنه أعجوبة، كأنه يشاهد فيه فتنة. عيناه تفتقتا عن الحكمة القديمة التي جلبها من الرحم، حيث العوالم الرحبية تتألاً كالنجوم. وضعته

على مجموعة من الوسادات قادمة من حجرة الجلوس. أصبح محطما. تمت خيانتة. فراح يولول مثل أرملة. ابتسمت نازنين. صبت الماء المغلي على أكياس الشاي وأحدثت تكتكة بلسانها. ثم حملته من جديد. «هل تبكي من أجلي؟ هل هو أنا؟ هل تبكي من أجلي؟» وبهذه الكلمات عوضت خسارته.

قالت السيدة إسلام: «سوف آخذه معي بعد الظهر، لتقومي فلتبقي هنا ببعض شغل البيت». ثم لفت إصبعها في الهواء. عيناها الصغيرتان السوداوان ثمنتا الحجرة. «بنت أختي قادمة وهي تحب اللعب مع الأطفال». قالت نازنين لنفسها كان هناك أحد عشر كرسيًا في الحجرة من دون حساب الكرسي ذي مسند الذراعين الذي بلون روث الماشية والذي يتماشى مع الأريكة. كيف يفترض أن ترتب المنزل؟ لم يكن هناك متسع تضع فيه أي شيء. بينما كتب شانو وأوراقه تنمو كالطحالب. والغيار كان يأتي من لا مكان مثل طاعون ويستحيل علاجه.

قالت نازنين «إنه صغير على هذا. أرسلني بنت أختك لي». «كلام فارغ سوف آخذه» وراحت السيدة إسلام ترشف شايبها. كانت الشعيرات المنتصبة حول ثقب أنفها طويلة اليوم. قريبا سيتم نتفها. شغلت نازنين نفسها برفيق. راحت تداعب ذقنه بمنديل ورق. تفحصت أظافره. وضعت على كتفها وربتت على ظهره لطرد بعض الرياح. أحدث ضوضاء، نوع صوت تجريبي. انتهزت الأمر باعتباره كريا وتوجهت به إلى النافذة. قالت «هناك. هناك. لا عليك. انظر، انظر، انظر». غير أنها كانت تبقيه أمام كتفها لذا كانت هي ما يطل عليه.

الشمس كبيرة وواهنة. تعرق بمشقة في سماء مضببة. محشورة بين فجوات المباني الخرسانية. ثمة سماء تتسع لها بالكاد. صناديق القمامة العامة تحوط الساحة مثل محاربين من المعدن، جاثمين، متنافسين في الجرم. أملين في الاستراحة. أحدهما انقلب ولفظ أحشاءه. ثمة فأر راح يرف خروجاً ودخولاً فيها. ثمة ولد في السادسة عشرة أو السابعة عشرة يسير بالجواري ويجرب كتفيه بهذه الطريقة وتلك. كانت رأسه تبرز وتدخل مثل دجاجة، في اختيال. كان يمسك سيجارة في يده وفي اليد الأخرى راديو أو مسجل جيب. أصدقاؤه ينادون عليه من المسكن بجوار مدخل روزميد الذي يعد مركز قيادتهم. لقد تم دفع الصناديق. كانت لعبتهم بهانجرا^(٢٠)، أخبرتها راضية بذلك. بهانجرا وشاكين ستيفنز. طوال ساعات النهار. وبعضاً من الليل. إن الآباء يخرج المر من أيديهم. ولكن بعضاً منها إلى حد ما مفيد - تنزلق عيناها لليسار وتضيقان لتصبحا شظييتين لامعتين - وخصوصاً لعبة شاكين ستيفنز.

مجمع روزميد السكني يواجهها من دون أن تطرف له عين. ثمة إطارات معدنية على النوافذ. تألقت وأزت على مدار أسبوع واحد. لقد وعدت بكثير. لكم تغنت بكم كانت نظيفة وكم كانت جديدة. ثم طفقت تتمشى مع البقية. طوال الليل. وفي الصباح التالي كانت خاضعة. لم يعد يتلاعب بها الضوء. لقد فعلت الأحجار ذات اللون الأحمر الباهت فعلتها. أصبحت الإطارات متسخة وكئيبة مثل مضييفها.

(٢٠) بهانجرا: رقصة حصاد نشأت من البنجاب. المترجم.

يمكنك أن تتشر روحك فوق حقل قمح، يمكنك أن تهمس لشجرة مانجو، يمكن أن تعرف الأرض تحت قدميك وتعرف أن هذا هو المكان حيث تبدأ الأشياء وتنتهي. ولكن ما الذي تستطيع أن تقوله لكومة من الأحجار. لن تتزحزح الأحجار.

ثمة هوائي تلفزيون يتدلى من نافذة كأنه منتحر. كومة من صناديق تسد نافذة أخرى. شقة راضية مزودة بالستائر. ثمة مؤخرة رأس تهتز هنا وهناك خلف الستارة. شيفالي أو طارق تختبئ من طارق أو شيفالي. سيدة الوشم تميل إلى أمام بينما تطل على الساحة وتشرب. شعرها ينزلق على جانبي رأسها مثل بقعة زيتية. لقد صبغته لكنه يظل بلا غسل. إنها ترتدي بزة رجالية. تنقل كأسها من يد إلى أخرى وترجعه من جديد. كيف يتسنى لها أن تجلس وتجلس فقط؟ ما الذي تنتظره؟ ما الذي هناك لتراه؟

«يمكنك أن تأخذه خلال ساعتين. أعطه رضعة الآن وسنذهب». أعاد صوت السيدة إسلام نازنين. كلماتها كانت حادة مثل حفنة رمل. لم ترفع صوتها قط فلقد كان من نوع ليس في حاجة إلى رفعه. كان يقسم الكلمات إلى وحدات دقيقة ويطلقها بحماس.

قالت نازنين «كلا سوف يرضع فيما بعد».

تناولت السيدة إسلام منديل ورق من كمها. فردته وراحت تتشرف على امتداد مفرق شعرها. صيف شتاء كانت ترتدي الشيء نفسه: سترة فوق الساري، جورب أسود، شبشب بيتي. لم تكن تتغير تبع الفصول.

«يستحسن أن تفعلي ذلك الآن. إنني على وشك الانصراف».
قالت نازنين «سوف يبقى هنا، معي».

نظرت ضيفتها إليها. لم تستطع ملامحها أن تتسع للدهشة، غير أن حاجبيها هبطا، مقتربين أحدهما من الآخر. لاحظت نازنين للمرة الأولى كم كانا داكنين، غير متأثرة بالبياض الذي يرشح به شعرها. ما هذا؟ «ارتعشت نازنين غير أن دفء جسد رقيب قبالة صدرها شحذ قرارها». سوف يبقى هنا. «لم تستطع أن تضيف شيئاً ما للتلطيف. شيئاً ما لتبدي احترامها. كان يمكنها أن تقول: سوف أحضره فيما بعد. إنه ليس في حالة جيدة اليوم. سوف أحضره يوماً آخر. سيكون في أيد أمينة معك. كل ما قالته هو «سوف يبقى هنا».

لملمت السيدة إسلام نفسها. التقطت حقيبته يدها وجلست وهي مفتوحة على حجرها. لوهلة تخيلتها نازنين وهي تنتزع رقيب وتدسه في جلد الحقيبة الأسود المسامي. لكن السيدة إسلام أغلقتها فقط ومسحت الإبزيم الزجاجي بإبهامها وقامت. قالت: «الناس البيض يفعلون دائماً ما يريدون. فذلك ليس من شأن أحد. لو ثمة طفل يصرخ من الضرب، لا يقومون سوى بإغلاق الباب والنوافذ. ربما يتذمرون من الضوضاء. أما الطفل فليس من شأنهم. حتى لو كان يضرب حتى الموت».

«إنهم يفعلون ما يشاءون فهي مسألة خاصة. كل شيء يعتبر مسألة خاصة. هكذا يعيش الناس البيض».

توجهت نحو الباب ونازنين تتبعتها وهي تراقب التمايل غير المنتظم لمشيئها.

مررت السيدة إسلام يدها الخفيفة على وجه الطفل. مد الطفل نفسه إليها وانحنى بينهما غير أن نازنين أمسكته بحزم. كان السؤال الخاص بالدكتور أزاد يعكر صفو شانو. كان السؤال هو: هل هو عداء أو إهمال هذا الذي جعل الدكتور لا يرد الاستضافة؟ أو كان هذا. هل هي مسألة إعداد، لذا فعشاء آخر سوف يضمن دعوة؟ أو احتمال كان هذا، هل كانت الأمور تتغير لو أن الدعوات بقيت من جانب واحد. كانت كثيراً كذلك: أي نوع من التعالي هذا يا أزاد؟

«هو يأكل طعامي ويقرأ كتبي. ربنا وحده يعلم أين يجد أيضا أي تحفيز فكري وأي رفيق فكر. هل لي أن أسأله عندما نذهب إلى منزله؟ يمكنني أن أسأل هكذا». هرش شانو مؤخرة رأسه ونقر مسند كرسيه وراح يتحدث مع إيجاء بتثاؤب. إذن ما الذي تخبئه في منزلك يا أزاد؟ هل سنزورك ونعرف؟ جعل كرسيه يخمد من جديد.

كانت تطعم الطفل تفاحا بملعقة. قبض على الملعقة وأرسلها طائفة. ضحك وهو يرشها بالرداذ. كانت مندهشة من أنها جاءت بهذا المخلوق، امتداد لجسدها. عندما تتذكر أن شانو قد جاء به هو الآخر كانت تصعق.

واصل شانو «ربما لم يفكر قط في ذلك. إنه في حاجة إلى قليل من الحث أو يمكن أن يكون الموضوع أنه لا يعتبرني من جماعته. فالطبيب أفضل اجتماعيا. ولكن ماذا تعني كلمة دكتور في واقع الأمر، عندما نفكر فيها؟ إنه يستوضح كل شيء من الكتب. كسر الساق. أنواع البرد. والفيروسات والأكزيما والربو

والروماتيزم والتهاب المفاصل، البثرات والنتوءات. إنه يحفظ هذا تماما. الأعراض والعلاج. قلما توجد محاولة فكرية. كلا. إنه مجرد إصبع انتفخ في حجم موزة. دعيه يحرس منزله ويلفه ببعض الأسلاك الشائكة أيضا. فأنا لا آبه».

وضعت نازنين الرضيع بينما راحت تبحث عن الملعقة. تحت الطاولة كانت الملفات والأوراق تتناسل وتتزوج. بكرات الخيط وعلب الدبابيس. بكرات التكت وسلاسل المشاجب. سروال داخلي يستلقي مجهدا في شكل كومة. ثمة جورب يقر متحجرا في الغبار. لم تجد الملعقة. حبا الرضيع تحت الطاولة معها وشد شعرها. في هذا الشهر الأخير تحول وجهه من المرعوب إلى المازح. ملامحه لم ترتسم كلها، غير أنها كانت أكثر من مجرد تخطيط. عندما كان ينظر إليها ساعتها كان دائما على شفا أن يسأل سؤالا. ووراء السؤال كانت ثمة دعابة كبيرة جدا وكان يبدو أنه سيوقعها فيها. قالت له «نحن هنا! إنني أبحث عن ملعقتك».

تابع شانو الحديث: «ربما لو حصلت على الترقية وقتها سيكون أكثر رغبة في عرض استضافته لنا. ربما كانت تلك نوعية الرجل التي هو عليها».

نهضت نازنين. أخذت الرضيع تحت ذراع واحدة. تفحصت وجه شانو لترى إذا كان يتطلب أي استجابة من جانبها. كان يمعن التفكير في كلماته، يلوکها في هذا الاتجاه وذاك، إلى جبين متجدد وخذ مشدود. عيناه كانتا تبدوان في مكان بعيد للغاية. لم تكن في حاجة. أخذت الرضيع إلى المطبخ وأحضرت

ملعقة أخرى. راح يتحدث هذه الأيام عن «لو» كانت تصبح «متى». متى تخرج الترقية سالمة. وكان لا يتحدث قط عن ويكي أو خليفته جيرارد أو هاوارد اللذين يشبهانه. لكنه كان يتحدث أكثر عن الاستقالة.

كانوا سيخرجون صباح الأحد للتجول على الفور، بالقرب من شارع بريك لين. سيدفع شانو عربة الطفل بينما تمشي هي خلفه بخطوة. عندما يستوقفه الناس في الشارع ليبدوا إعجابهم برقيب، ليمنحوه قبلة أو مداعبة، كان شانو يرتفع بوصتين. وإذا لم يستوقفه الناس استوقفهم هو. انظر كم هو نبيه. لاحظ الحجم الكبير لرأسه. كلما زاد حجم الرأس زاد حجم المخ. تعتقد أنني أمزح؟ كم كان حجم رؤوس الدناصير؟ وهل تتعجب لماذا انقرضت؟ وكان الشخص يبتسم في غموض وبيتعد. في المحلات كان شانو يشتري الخضراوات. اليقطين، القرع، السبانخ، البامية، باذنجان. أيما كان في الموسم. سوف يشتري التوابل والأرز والعدس وأحيانا حلويات: عبوة راز مالي^(٢١) باللبن، جولاب جامون البنية اللزجة^(٢٢)، دوارة الجيلابي^(٢٣) الذهبية. لن يقطعها بفضاظة. لن يذل نفسه أو يتصرف مثل إنسان بدائي. راح يكسر قطع الجيلابي ويطعمها لرقيب ويلعق أصابعه حيث انساب السائل السكري.

قبل أن يخرجوا اليوم كان المفروض أن تقص شعره. فهي دائماً كانت تزيل أجزاء منه. البشرة الميتة حول قدميه. أظافر

(٢١) راز مالي: طبق حلوى معروف في شبه القارة الهندية - المترجم.

(٢٢) جولاب جامون: نوع من الحلوى. المترجم.

(٢٣) جيلابي: نوع من الحلوى. المترجم.

إصبع القدم. أظافر يده اليمنى لأن يده اليسرى يمكنها أن تقوم بالمهمة كما ينبغي. وأظافر يده اليسرى لأنها ربما تقوم بذلك أيضا مادام المقص بحوذتها. الشعر الناتئ الذي كان ينبت أعلى أذنيه. والشعر في رأسه مرة كل ستة أسابيع عندما كان شانو يقول: «يستحسن أن تؤنقيني قليلا».

أحكمت حول الطفل حزام مقعده وأعطته قطعة من الخبز ليمضغها. كان شانو يجلس إلى الطاولة بكتاب مفتوح ويضع خطوطا تحت بعض المقطوعات بينما كانت تشذب الشعر حول قفاه. لن يستطيع أن يستكمل كورس الشهادة. تساءلت نازنين إذا كان قد حصل بالفعل على شهادة من جامعة دكا. ربما كان من عادته أن ينجز الأشياء في تلك الأيام.

قال شانو كأنه يقرأ أفكارها لقد طُفح كيلبي من الجامعة المفتوحة، إنهم يرسلون إليك كثيرا من الهراء لتقريئه. ها أنا أعود إلى عشقي الأول. عرض كتابه «الأدب الإنجليزي لدى أعظم كتابه» لقد سمعت عن وليم شكسبير. أجل حتى البنت القادمة من قرية جوريبور سمعت عن شكسبير.

أجابت نازنين: «ذلك صحيح» كلا لن ينتهي من الشهادة ولن يحصل على الترقية ولن يستقيل من الوظيفة. ولن يتم تجديد الأثاث. ولن يتم بناء البيت الذي في دكا. ولن تبدأ أعمال الخيش. حتى المكتبة المتقلة التي من أجلها طاف شانو من باب إلى باب، ستصبح في طي النسيان.

قام شانو ببعض التحضيرات في مؤخرة حلقة «هل سمعت عن الملك ريتشارد الثاني؟ ليس من السهل هكذا ترجمتها.

أمهليني دقيقة واحدة إنها مقطوعة رائعة». «لو ذهبت إلى الكلية مع راضية، سيتسنى لك أن تقول بالإنجليزية». «لفهم شكسبير؟ بالضبط على هذا النحو! هل ذلك ما تتعلمه راضية؟»

«أزالت نازنين بعض الشعر بالفرشاة من على كتفيه ولفته في قطعة من ورق التواليت.

أوه! هكذا كنت عظيما مثل حزني
أو أقل شأنًا من اسمي
أو أنه يمكنني نسيان ما كنت عليه
أو عدم تذكر ما لا بد أن أكونه الآن.
كلا لن يستطيع أن ينسى المكتبة. سيتذكرها دائما مع البقية.
ستظل على القائمة ولن يكون لها أن تنسى.

عيناى ممتلئتان بالدموع، ليس بوسعي أن أرى
ومع ذلك فالماء المالح لا يعميهما كلية
بوسعهما أن تريا ما يشبه الخونة هنا
والأنكى أنني لو حولت عيني على نفسي
لوجدت نفسي خائنا مع البقية.

أغمض شانو عينييه. بدأ يغمغم. راح ينقر على الطاولة كأنها
طلبة. كان رأسه يتمايل مع الإيقاع، لذا اضطرت نازنين إلى أن
تتوقف عن القص. عندما فتح عينييه نفض نفسه مثل كلب مبلل.
قال « إذن فلنواصل».

أسقط الرضيع خبزه وشرع يبكي. قال شانو: «انظري كم هو
سريع الإحباط».

اعتقدت نازنين أنه يستطيع أن يرى. يستطيع أن يعلق. لكن ليس في وسعه أن يتصرف. ذهبت لتلتقط الخبز. مضغه الرضيع وهداً. هداً شانو. اهتاج المقص واهتاج. كانت تسمع الهواء وهو يدخل أنفها ويخرج منه. معدتها كانت تتذمر لأنه في أيام الأحاد. ومع وجود شانو بالقرب منها لم تكن تأكل كثيراً.

لقد فاتتها صلاة الصبح ثانية هذا اليوم. بالأمس فاتتها صلواتا الفجر والظهر. لكن رقيب كان في حاجة إليها. أما اليوم الذي قبله فكان نائماً وكانت هي تتصفح مجلة. لم يكن ثمة عذر لهذا اليوم. غير أن عقلها أحياناً كان يتجول على هواه. كانت تتصفح في مجلة، مجلة إنجليزية تركها شانو. ثمة صورة لاثنتين متزلجين على الجليد. كانت المرأة تقف على ساق واحدة. جسمها والساق الأخرى في وضع أفقي. ذراعاهما ممدودتان وممسكتان بيد الرجل، لكنها كانت تتطلع وتبتسم في وجه نازنين. كان وجهها موشى بالترتر، ذا لون فضي وأزرق، وساقها طويلتين كالبادما^(٢٤). كانت مخلوقاً يشبه الحوريات، إلهة هندية. دخلت نازنين الصورة وأمسكت بيد الرجل. كانت مصعوقة أن تجد نفسها تتنقل على الجليد بساق واحدة، وفي سرعة مروعة. كان الرجل يبتسم ويقول: تشبثي جيداً. ثمة حلي صغيرة خضراء كانت تتلألأ في حلته السوداء. اعتصرت نازنين يده. راحت تشعر باندفاع الرياح على خدها. والعضلات في فخذيها تتلوى. كان للجليد رائحة الزيزفون والهواء البارد جعلها تتدفق بالدفع القادم من قرارة نفسها. ثمة تصفيق. لم يكن في استطاعتها أن

(٢٤) بادما: قناة من نهر جانجى بشمالى الهند.

ترى الجمهور غير أنها كانت تسمعه والرجل ترك يدها لكنها لم تخف. أنزلت ساقها وراحت تواصل التزحلق. إلى أن استيقظ رقيب ونظر إليها في ارتياب. قالت له «أجل، أمك امرأة حمقاء». لكنها سارت إلى المرأة وراحت تحديق في وجهها الصارم والخدين العريضين والجبهة الكبيرة والعينين المطبقتين ذواتي الرموش المنتفخة. وتعجبت هنيهة مما رأته. لم يكن عقلها مستقرا. كان يحاول انتزاعها من هنا وهناك.

كلما تلقت خطابا من حسينة، كانت تتخيل نفسها على مدار اليومين التاليين امرأة مستقلة هي الأخرى. كانت الخطابات طويلة ومفصلة. كانت نازنين تتقح وتعيد تنقيح ردودها إلى أن يصبح الأسلوب مقنعا. جميع الأخطاء تحذف مع أي إشارة ضرورية. أما حسينة فكانت تركز جانبا كل هذه الالتزامات: خطاباتنا كانت تعج بالأخطاء وتفيض بالحياة. أما هي فكانت تخلل نفسها بين الكلمات وتتركها تلفها عبر سبعة بحور إلى دكا حيث تعمل بجانب أختها. رقيب كان يأتي أيضا. أحيانا، آخر النهار كانت تفاجأ بعودة شانو إلى البيت. عندئذ أخذت على عاتقها عهدا، صلاة منتظمة، شغل بيت منتظم، ستكف عن الأحلام. أرسلت خطابات سريعة ووافية إلى حسينة. كانت تقول لآما التي كانت دائما تلاحظها: «انظري كم أصبحت جيدة».

لقد انتهت من قص الشعر. ثمة ثلم طفيف في أحد الجانبين غير أن شانو لم يكن ليتفحصه. قال: «انفخي في قفائي». نفخت ونفضت الشعر بأظافرهما. قال: «لن نتعطل هنا مزيدا من

الوقت»، بينما هز إصبعها. حبست أنفاسها. سنخرج في جولة.
أذهبي وافردى عربية الطفل.

كانت لاتزال ترى راضية. شيفالي كانت تحب اللعب مع
الرضيع. أعطته مجموعة دمي ورؤوس وراح يقرص في كل
واحدة تباعا. كان طارق أكثر أو أقل صمتا هذه الأيام. نسخة
ثمانى سنوات من أبيه. قالت راضية: «يجب أن أحلق شعره من
جديد». كان طارق يهرش في شعره الخشن. «إنهم يلتقطون
القمل في المدرسة».

قال طارق «هل لي في بعض النقود؟» ثم رفس أخته خلسة.

«ليس معي أي نقود. دع أختك وشأنها».

«أريد خمسة جنيهات».

«ماذا؟ اذهب والعب بعيدا. اركض بعيداً».

«أريد خمسة جنيهات».

«لماذا؟»

تهتدت راضية وأشارت إلى الرضيع «إنهم أهون بكثير عند
ذلك العمر».

«أريد كرة».

«عندك كرة».

«أريد كرة حقيقية». كان هذا أكثر ما سمعته نازنين
يقوله على مدار فترة طويلة. كان يبدو أنه في نوبة حراسة،
حاسما إلى درجة أنه يكاد يعتبر مفاجأة أن تسمع صوت
ابنها.

كرر: «أريد كرة». منتحيا هذه المرة.

«أريد خمسة جنيهات» قلده راضية وقد تمكنت من صوته بالضبط.

«أريد خمسة جنيهات». انضمت شيفالي. رفسها طارق ثانية وشرعت تصرخ.

صاحت راضية. «اخرجا. أنتما الاثنان. خذ أختك يا طارق وامش والعب في الطريقة. لو سمعتها تصرخ سوف أجد ظهرك».

خرجا وشرعا يتشاجران وراء الباب. جلست راضية على الأرض وحملت رقيب على حجرها. فرد نفسه وقرص أنفها. حولت عيناه وهو ينظر إليها. قالت راضية سوف أخلق هؤلاء الأطفال. لقد طفح كيلى منهم».

كانت نازنين تعلم أنها لم تكن لتتحدث عن رقيب بتلك الطريقة. «ولسوف أشنق زوجي هو الآخر. إنه يمكث طوال النهار في المصنع ويرجع إلى البيت من أجل أن يأكل وينام ساعتين أو ثلاثا ثم يخرج مرة ثانية طوال الليل».

قالت نازنين: «لماذا، أين يذهب».

«إنه يقود شاحنات. يسلم اللحم إلى جزاري الذبح الحلال الموجودين هنا. عندما يدخل تفوح منه رائحة نتنة. الوظيفة الجيدة لا يمكث فيها طويلا». وضعت يدها في جيب بنطلونها وأخرجت مصاصة. صعق الرضيع. كل ما تسنى له أن يفعله كان مضحكا. أزال راضية غلاف الحلوى وأعادته إلى جيبها. كانت ترتدي ثوبا تسميه بزة سباق. فهي لن ترتدي أبدا الساري ثانية، هكذا قالت. لقد سئمت من السير بخطوات فرخ صغير.

«من الجميل للرجل أن يعمل. لا مانع لدي. دعيه يعمل أربعاً وعشرين ساعة يومياً».

راحت راضية تلوح بالمصاصة أمام وجه رقيب. راح يراقبها في وله. لقد أصبح تابعا لها. من أجلها سوف يضحي بكل شيء. «لكننا لا نرى بنسباً واحداً زيادة. ذلك وجه اعتراضى. إنه يرسلها كلها. إنه أبخل البخلاء. أبخل البخلاء الأوغاد. لو احتاج الأطفال إلى فرشاة أسنان، يجب علي أن أتوسل. يجب أن أحصل على كل شيء مستعمل. هل يتوقع أن أطفاله لديهم فرش أسنان مستعملة؟ ليس في وسعي أن أمنحهم كل شيء».

وضعت المصاصة إلى شفتي الطفل. راح يهدل برفق فوقها. «كل النقود تعود إلى الوطن. لا أدري من يعتني بها. أخوه، أغلب الظن. وأغلب الظن أن أخاه وغد سارق. أعتقد أننا لن نرى أبداً هذه النقود مرة ثانية».

نظرت نازنين حولها. كانت الحجرة تعج بأشياء. أثاث، سرير طارق، دراجات، ملابس، سلم نقالي، علب بلاستيك، لعب، أحذية، علب طلاء، رصات ألواح خشبية، سخانات غاز، سخانات كهربائية، سجاجات، حقائب لنقل الأغراض. مخزون احتياطي من الأرز، هرم من الطعام المعب. كان هذا أكثر مما يحتاج إليه قروي عادي طوال حياته. كان طفل القرية يعتبر محظوظاً أن يكون لديه كرة. وأن يكون لديه كرة ودراجة فهذه رفاهية. أما أن يكون لديه كرة ودراجة وكومة من اللعب بجانبها فهذا أمر لم يسمع عنه. ومع ذلك لم تتذكر نازنين أن الأطفال يشكون، لم تستطع أن تتذكر هي نفسها تشكو.

أردفت راضية «قلت له صراحة، افتح كيسك يا ابن... وإلا». كان السباب جديداً أو أن راضية كانت مرتاحة معها في ما يكفي لكي لا تتراجع. إن الراشدين كانوا يتذمرون بالطبع من وقت إلى آخر. فالنجار في حاجة إلى منشار حديد وصانع الأحذية في حاجة إلى زبائن جدد. (كل هؤلاء الأطفال يعدون هنا وهناك حفاة!) الحلواني يشكو من سعر الفستق. غير أنهم لو حظوا بكرسي وطاولة وطعام يأكلونه كل يوم ساعتها سوف يحمدون الله.

«سأحصل بنفسى على وظيفة. لقد أخبرته صراحة». نظرت راضية إلى نازنين ليس من زاوية ولا في ارتياب بل وجهها لوجه. قالت نازنين: «أي نوع من الوظائف؟» ففي جوربيور الحلواني حلواني وصانع الأحذية صانع أحذية. والنجار نجار. وهم لم يرغبوا في أن يكونوا مدرسين أو أمناء مكتبات. لم يكونوا في انتظار ترقيات. لم يتعسوا أنفسهم.

«لقد تحدثت مع جورينا. هناك وظائف تتاح في المصنع». قالت نازنين «أوه، السيدة إسلام تقول إن جورينا لحق بها العار. زوجها يرافق نساء أخريات. بدأت العمل والجميع يقول: إنه غير قادر على إطعامها. على الرغم من أنه كان نفسه يعمل فإنه كان يخجل وبسبب ذلك أصبح طائشا وبدأ يرافق نساء أخريات». أصدرت راضية صوتا كالشخير: «هل هذا ما تقوله السيدة إسلام؟ دعيها تقل ما تشاء. فلن يمنعني».

«ماذا عن المجتمع؟ إنها ليست الشخص الوحيد».

«هل سيطعمني المجتمع؟ هل سيشترى كرات قدم لابني؟ دعي المجتمع يقل ما يقوله فأنا أقول هذا للمجتمع». وطرقت أصابعها.

«ماذا يقول زوجك؟»

ضيق راضية عينيها وأخفضتهما على امتداد أنفها المستقيم الطويل إلى الطفل. «السيدة إسلام شخص يتكلم. إنها شخص مناسب للكلام».

«السيدة إسلام؟»

ابتسمت راضية لأول مرة. «إنها صاحبة ألف منديل ورقي».
ضحكت نازنين. «علام كل هذه المناديل؟»

«أولم تسمعي قط؟ أولم ينكشف لك سر المناديل؟»

ضحكة راضية تذبذبت على صوتها العالي المعدني.

«أختاه هل رغت فقط من السفينة؟ فلنر. بعض الناس يقولون إنها كانت مدركة لأنفها. تعرفين أن لديها ثقباً. يقولون إنها بدأت في استخدام المناديل لإخفائه كلما اعتقدت أن شخصاً ما يحدق. ولكن من الذي يجروء على التحديق في ثقب ساحرة عجوز؟ أقسم إنها كانت ساحرة عجوزاً حتى وهي بنت. نظرية أخرى تقول إنه كان لديها عاشق فيما مضى قدم لها هدية من المناديل المسامية، وهي تحتفظ بذاكرة حياة الآن خلال مجموعتها. يا له من هراء! أناس آخرون يقولون إنها خرافة. فقد نصح درويش أمها بأن تحبس أنفاسها في قماشة وتفضها على مبعدة ذراع لأنها كانت ستجلب الحظ العاثر. بعض الناس حمقى إلى هذا الحد».

أعادت راضية رقيب إلى نازنين. كان يمص مصاصته في خيل. قامت راضية وتمطت. انتفخت ركبتي بزة ساقها. قالت نازنين. «فما هو الأمر إذن. ما هو السبب الحقيقي؟»

«إنه عبارة عن طريقة. هكذا بدا الأمر على أي حال. كان زوجها رجلاً ذا شأن يدير أعمالاً، كَوْن وفرة من المال. كان لديهما منازل يُوجرونها في مختلف الأرجاء. ولديهما في دكا شقتان ومنزل كبير في القرية بأعمدة خرسانية. ومع ذلك لم يكن الزوج سوى الرجل الذي في الواجهة. العقل المدبر كان يخص السيدة إسلام. إنها لم تحتفظ قط بالحجاب. تقول إنها متوافقة الآن إذ يجب أن تسير بالخارج لأنها أرملة. حتى عندما تظل بالبيت لا ترتدي الحجاب. زوجها كان يحضر زملاءه إلى البيت وكانوا يعقدون صفقاتهم هناك. السيدة إسلام كانت دائماً موجودة. كانت تظل في الخلفية، تقوم على الخدمة وترتيب المكان. لكنها كانت على علم بالموضوع الذي يجيئون كي يتحدثوا فيه وكانت تتحكم في الخيوط. وكانت المناديل هي الطريقة التي تؤدي بها ذلك. فكانت تعطي إشارة باستخدامها. المنديل المنقط يعني لا. المنديل الأبيض يعني نعم. المنديل ذو الأطراف المسامية لعقد بسنة واحدة.. المنديل القطني السادة لسنتين. تلك هي حقيقة الأمر على أي حال».

هددت نازنين رقيب على ركبتيها. التفت كأنه يقول: هل عندك مانع؟

هل أصبحت الآن مجرد عادة درجت عليها؟
قالت راضية: «نعم ولا. مازال ثمة عمل آخر تعكف عليه مع أولادها هذه المرة».

قالت نازنين: «تصدير - استيراد».

هزت راضية رأسها بالنفي. انتظرت نازنين. بدت صديقتها بعيدة. سألت نازنين «ماذا إذن؟»

لست متأكدة مائة بالمائة».

«ماذا تعتقدين؟»

«لا أريد أن أنام».

كان هذا يمثل أخبارا . «عم؟».

«لا أدري لقد سمعت شيئا من قبل ولكنني لم أصدقته . تكلمت معها في الأسبوع الماضي وأعتقد أنني أصدقته الآن . لكنني لا أريد أن أقول أي شيء؟».

لماذا اضطرت إذن؟ قالت نازنين «لا بأس يفضل أن يظل من دون أن يقال:

استقلوا الحافلة في ميل إند رود . كان الكمساري أفريقيا . همس شانو «انظري كم هو بدين . ضخم جدا وقوي جدا . كما ترين» . صمت برهة . انكمشت نازنين في مقعدها . التفت الرضيع دونما تعليق . «إنهم يتناسلون من أجل هذا . العبودية» . همس شانو بالكلمة فالتفت الاثنان الجالسان أمامهما . قال شانو متخليا عن همسه : «تلك سلسلة أنسابهم» . بدأت الحافلة تتحرك . حالت ضوضاء المحرك بينه وبين مخاطبة جميع الركاب . «الأقوياء فقط يبقون على قيد الحياة . الأشخاص الأقوياء فقط هم المطلوبون ، فهم يحققون أعلى الأسعار . التجارة والانتخاب الطبيعي يعملان يدا بيد» .

لم تعلم نازنين عما كان يتحدث . بدأت في الرد عليه هكذا «إذا قلت ذلك يا زوجي» . كانت تقصد أن تقول شيئا آخر بهذا . أحيانا تقصد أنها لا تتفق معه وأحيانا أنها لا تفهم أو أن ما يقوله كلام فارغ ، أحيانا تقصد أنه مجنون . لكنه كان يسمع ذلك فقط في عبارة «إذا قلت ذلك» .

استقر شانو في مقعده. كان كوعه مغروزا في جنبها لكنه لم ينتبه. قال «آه، إنه اليوم». علت وجهه علامات الحيرة. «ماذا عساي أن أقول عندما يفتح الباب؟».

جاء دور نازنين لتتخير. حتى زوجها كان عليه أن يتدبر ذلك. تجرأت «سلام عليكم؟» ضحكت وزم الرضيع شفتيه.

بدا شانو مثل رجل فزع من نومه «ها؟ أوه، ها! أجل سلام وما شابه. ماذا عساي أن أقول؟» راح يلوك شفتيه.

هزت نازنين كتفيها بينها وبين نفسها. راحت تراجع حقيبتها وأن معها كل ما يلزمها للأمسية: مناشف، أطباق مسطحة، خشخيشة. قماش الموصلين. موز، ملعقة، أغطية، بيجامة لرقيب. سوف تغير له ملابسه في منزل الدكتور آزاد وتتركه ينام على كتفها في طريق العودة. أوقفت الرضيع على ركبتها فتسنى له أن ينظر خارج النافذة معها. كان الوقت ليلا ودافئا بفعل أعمدة الإنارة. الناس محشورون في معاطف كبيرة، وينفسون البخار وهم يسيرون. الأضواء الأمامية والأضواء الخلفية الحمراء حولت الطريق إلى كرنفال زاحف. كانت الحافلة تعلقو وتهبط على امتداد الطريق. والمحلات لاتزال مضاءة. محلات جلود، محلات ملابس، محلات ساري، محلات تبيع السمك والبطاطا والساموسا^(٢٥) والبيتزا ونزر يسير من كل شيء من مختلف أنحاء العالم. محال بيع الجرائد، محلات خردوات، بقالات، محلات تبيع الكحوليات، محلات فاتريناتها مكدسة بمقاعد وشباشب وأشرطة كاسيت وتبدو أنها لا تبيع

(٢٥) ساموسا: فطيرة هندية مثلثة الشكل تحشى بالبطاطس أو الخضراوات. المترجم.

شيئاً ولكنها دائماً مكتظة بالرجال الذين يرتدون البيجامة البنجابية بينما يدخنون ويداعبون لحاهم. بين الأضواء كانت ثمة قطع سوداء حيث ظللت الفاترينات بألواح خشبية. أو حيث علقت علامة «للبيع». ثمة امرأة ترتدي معطفاً برتقالياً ضخماً شددت زمامه حتى مقلتي عينيها، كانت تمرق داخل وخارج الزحام. بينما تلم ساريها بيد وتضع يدها الأخرى على صدرها. كانت أبواق السيارات تعمل معاً مستحثة إياها بأن تسرع. قال شانو «أنا فقط لا أدري، أعتقد أنني سأقول له مباشرة: لقد أحضرت علبة كالوجام^(٢٦)».

قالت نازنين: «إذا قلت ذلك يا زوجي» لقد تخلت عن ردود أفعالها الأسرية التي لمحاربي العصابات. فهي لم تكن تزعج أحداً سواها إضافة إلى أن الشقة أصبحت مكدسة بأشياء مركونة، والرضيع يستهلك وقتاً طويلاً جداً إلى حد أن ذلك يصعب معه إمكان أن تتدبر أمرها لتظل برأسها فوق سطح الماء. لم يكن لديها وقت للتخبط.

«سيكون هذا حسناً، إنني أتطلع إلى هذا». ابتسم في ارتياب كأنه يجرب ابتسامة للمرة الأولى. كان يرتدي سترته الخضراء. السترة بالقلنسوة. بنطلونه كان باهتاً على الركبتين. ونعل إحدى فردتي الحذاء انفكت خياطته (لاحظت ذلك في موقف الحافلة) عندما تزوجا للوهلة الأولى إن لم يكن وسيماً، كان على الأقل ذكياً. كان يؤنف نفسه قبل الذهاب إلى العمل ويضع قلمين جافين وقلمًا رصاصاً في جيبه العلوي. كان يلمع حذائه ويلمع

(٢٦) كالوجام: طبق حلو يعتمد بشكل أساسي على اللبن في إعداده. المترجم.

حافضة أوراقه . تلك الأيام التي كان يتحدث فيها عن «متى» . متى ستأتي الترقية .

«يمكنني القول إننا كنا فقط مارين» .

نغز رقيب أنف أبيه . استسلم شانو وترك أنفه يقرص وشعره يشد . كان الرضيع يرتدي جاكتا أزرق مزودا بطبقات كثيرة تحته على حد أن ذراعيه كانتا مرفوعتين في الهواء ، كان سميكا بما يكفي ليرتكزا عليه . أظهر أسنانه ، جميع الرقاقات العاجية الأربع ، ثم نخر . استوعبت نازنين ببطء الكلمات . فقط مارين . بعد كل محاولات شانو لم يكونا حتى مدعويين . لماذا زوجها أبوها من هذا الرجل .

لقد أراد أن يتخلص مني فقط . لقد أراد أن أبتعد حتى لا أمثل له أي مشكلة . لم يكن يآبه بمن يقتلني من يديه . لو كنت أعلم ما سيكون عليه هذا الزواج ، ما سيكون عليه هذا الزوج...! ماذا؟ ماذا إذن؟ يجب علي أن أهرب مثل حسينة؟ يجب علي أن أهرب مع الكناس؟ هاه . لقد بكيت في يوم زفافي بكيت بالفعل . ولكن أي فائدة عاد بها هذا؟

أمسكت رقيب في حجرها وراحت تهدده إلى الأمام والخلف . على الرغم من أنه لم يكن نعسا . ثمة رائحة حادة وساخنة قدمت من الخلف . بمجرد أن جلس راكب جديد بوجبة ملفوفة بالورق . كان الضوء داخل الحافلة منتشراً . راح يطن ويطلق ويرشح بتلوث أصفر . حتى وجه رقيب كان يبدو معتلا في هذا الضوء . دق الجرس مرتين بسرعة وبراعة وبدا مستعجلا على السير . كانت الحافلة تصطك على امتداد الطريق والمقاعد تتذبذب

بجهامة كأن إحصارا مر للتو خارج النطاق. كانت مهمتها أن تجلس وتنتظر، حتى لو كان هناك إحصار يتجه نحوها. بالنسبة إليها لم يكن ثمة شيء تفعله. لا شيء آخر يريد الله أن تقوم به. أحيانا كانت تريد أن تصحو وتهرب. في أغلب الوقت لم تكن ترغب في الهروب ولا هي مع ذلك كانت ترغب في أن تجلس ساكنة. كم كانت صعبة مسألة أن تجلس ساكنة. ولكن لم يكن ثمة شيء في واقع الأمر تشكو منه. فهناك شانو الذي كان عطوفا ولم يضربها قط. وهناك رقيب وهناك ذلك الشيء الذي ليس له شكل ولا اسم والذي يزحف عبر كتفيها ويعشش في شعرها. ويسمم رثتها ويجعل منها كسولة وضجرة. سألتها ماذا تريد مني؟ ماذا تريد؟ همس مستهجنا. طلبت إليه أن يتركها وشأنها غير أنه لم يكن ليفعل. تظاهرت بأنها لا تسمعه غير أنه طفق أعلى صوتا. عقدت صفقات معه. سأكف عن الأكل منتصف الليل سأكف عن الحلم بالجليد والألواح والترتر. سأكف عن إضاعة الصلوات. سأكف عن النوم. سأكف عن الاستهزاء بزوجي. قدمت له كل هذه الأشياء لقاء أن يتركها وشأنها. أصغى في هدوء ثم راح يتوغل في أعضائها الداخلية. ربما خلصت إلى الاعتقاد بأن كل شخص لديه واحد وتتمثل الخدعة في تجاهله. أعطه ظهره. مثلما قالت أما: «لا أريد شيئا من هذه الحياة. لا أبتغي شيئا ولا أنتظر شيئا» وأثبت حسينة عند سماع ذلك. «لو لم تبغ شيئا ربما لا تحصلين على شيء!» غير أنها أثبتت غاية أمها. كيف يتسنى لي أن أكون مخيبة الرجاء؟ «أصبح مفهوما بالنسبة إلى نازنين. ثمة شيء واحد لم يكن واضحا. سبب معاناة

أما . «سوف نعاني في صمت» . قامت أخت أما بزيارة طويلة في صيف السنة العاشرة من عمر نازنين . كان الهواء ساخنا ورطباً ، كأنه تشرب عرق أجساد لا تحصى . كان يرشح أيضاً بالعار . لقد تملك مصطفي راعي البقر روح شريرة . هذا الشاب الصغير بذراعيه وساقيه التي تشبه أعواد الثقاب ، الشظية المتحركة . قد اختطف فتاة من القرية المجاورة واقتادها إلى الأدغال ثلاثة أيام بلياليها .

قالت أما «في سكوت» بصقت أختها في استغراق وراجعت السوابق . كانت المرأتان تجلسان بالداخل بمنأى عن الشمس . وقفت نازنين في الطرقة في معين من الضوء . ما الذي كانتا تكابدانه؟ أرادت نازنين أن تسأل . أبوها لم يكن أغنى رجل في القرية لكنه كان ثاني أغنى رجل .

قالت الخالة : كل ذلك باق لنا في هذه الحياة . لقد تعلقت بآما عندما وصلت وراح كلاهما يبكي طويلاً وبحرقة . حتى أن نازنين خشيت أن يكون شخص ما قد مات . فضلت نازنين ممتاز ، أخت أبا التي لم تكن امرأة للبكاء لكنها كانت تتأى بنفسها أثناء هذه الزيارات الطويلة .

«نحن مجرد نساء ماذا يمكننا أن نفعل؟»

«هم يعرفون ذلك وذلك هو السبب في أنهم يتصرفون كما

يتصرفون» .

«لقد خلق الله الدنيا على هذه الحال» .

«قلت له لن أعود» .

«لو استمر على هذه الطريقة فهو كذلك» .

«قلت ذلك في المرة الأخيرة أيضا».

«ماذا يمكنني أن أفعله؟»

استمرت المحادثة. راحت تدور وتدور فيما كانت نازنين تصغي بينما تتنفس في هدوء وتأمل في حالة إذا نسين أمرها أنهم يمكن أن يفصحن عن سبب بلواهن. كان شيء يتعلق بأن تكون امرأة. بذلك القدر الكبير كانت متأكدة. عندما تصبح امرأة سوف تعرف. كانت تتطلع إلى ذلك اليوم. كانت تتوق إلى أن تصبح مخضبة بهذا الكرب وأن تتخلص من سراويل الأطفال الفضفاضة والقميص الطويل وتشعر في ارتداء هذه المعاناة التي كانت سخية وبعدها طبقات وألوان داكنة مثل السواري التي تلف عظام أما النافرة.

سحبته حسينة بعيدا وراحتا تسطوان على مخزن التمر هندي وراحتا تلحسانه مثل حلوى الطوفي اللاذعة ورسمتا على الأكف دوائر بالحنة ولطختها في التراب بينما يقومان بالوقوف على الأيدي. ضفرت حسينة شعر نازنين ونازنين صنعت من شعر حسينة ضفيرتان غليظتان ولفتهما أعلى رأسها.

بدت حسينة كأميرة. وجهها لا ينقصه شيء. متناسق وأسطوري. لم تكن تنتمي إلى هذا العالم. زهرة لوتس فوق كومة روث. إنها لم تخلق لتعاني.

في ذلك الأصيل الذي خدرت فيه الشمس القرية برمتها فراحتا تستلقيان بالخارج على التشوكيات أو فرشاة النوم أو الأرض، لم تكن نازنين متعبة. سارت بالقرب من البحيرة وداست على الظهر الفضي لحية انسلت إلى الماء وأصبحت نفسها عبارة

عن موجة لامعة صعدت بعض الشيء شجرة وأقحمت نفسها في فرع بشكل شوكة لتظل عبر الحقول المستوية. كانت الحقول القريبة وافرة الخضرة كثيفة وداكنة، أما الحقول البعيدة المملوءة بأزهار الجوتة الذهبية فكانت ملساء كالمرايا صقلتها الشمس حتى طفقت تلمع. تساءلت لو تزوجت ستضطر إلى الابتعاد إلى ما وراء هذه الحقول. اعتقدت أنها لن تود أن تبتعد كل هذه المسافة. ثم نزلت وسارت قليلا على امتداد الطريق الذي يؤدي للمدرسة التي تستقبل التلاميذ من أقرب ثلاث قرى. كان صندلها يثير سحبا من الغبار وسديما من الذباب يحجب الهواء فوق أخدود. التصق القميص بظهرها كأنها تسير في حمام غير مرئي. فقط الذباب وحده كان يتحرك. الطيور نامت. حتى اليعسوب الضخم الذي انكفأ استلقى مصعوقا في الطريق وأجنحته متقدة.

«بش!»

التفتت نازنين ثم استدارت عائدة.

«بش!»

ثمة رجل ميت مربوط في شجرة. رسغاه مربوطان في فرع وقدماه تتدليان على مبعدة بوصات من الأرض. رأسه مطلق للأمام كأن الرقبة مقصوفة... قال في حشرجة «اقتربي» سمعت نازنين نفسها وهي تبلع ريقها... أحست بلعابها يسيل في مؤخرة حلقها. كان الرجل يرتدي مئزرا أبيض باليا. ساقاه ركبت عليهما مفصلات كبيرة للغاية. ضلوعه تشبه دجاجة ذبيحة. كان مصطفى راعي البقر ولم يكن ميتا كلية.

خطت مقتربة من الشجرة. صمت. تقدمت مرة أخرى. مازال ليس هناك شيء. لكنها عندما اقتربت بما يكفي لتراه يتحدث ثانية. رفع رأسه هذه المرة. عيناه تجحطان من وجهه وشدقا فمه مغطيان بطبقة سميكة من شيء أبيض. «فكيني أيتها الفتاة الطيبة» كان يتحدث كأنه استمتع بلعبتهم غير أنه قد آن للمزاح أن ينتهي. وضعت نازنين يدها على جذع الشجرة. لم تجد طريقة لتسلق الشجرة حتى تصل إلى رسفيه. لم تعرف على أي حال إذا كانت ستتسلقها... كان مصطفى يعاقب. دحرجي صخرة إلى هنا إذن. أو زند شجرة، سيكون ذلك أخف. ضعيه تحت قدمي. كان صوته يقطع ويتكسر لكنه بدا غاضبا منها عندئذ. تدلى رأسه مرة ثانية وسمعته يزفر. سارت حول الشجرة ثم جلست على جذع. كان مصطفى يبدو من الخلف مثل دمية خشبية ببعض الخيوط المقطوعة. تساءلت إذا كان سيموت كما شاهدته. وهل ستعرف أنه مات. لم تكن ترغب في أن يموت. لكن لم يبد التدخل في مثل هذا الحدث الجلل ممكنا. خطر ببالها أن الناس ربما يفضبون إذا قامت بتخليص هذا الرجل الذي يعاقب، ولكن لم يكن ذلك هو السبب الذي كتف يدها. إن مسائل الحياة والموت كانت ببساطة تستعصي على فهمها.

بعد فترة وعندما راح ظهرها ينمل من الجلوس وبدأت تشعر بالعطش. فكرت في شيء يمكن أن تفعله لأجله سوف تذهب وتجلس بعض الماء. بدا مصطفى أنه راح في النوم. هزته من كاحله فراح يئن. قالت « سوف أذهب من أجل الماء». ثم أردفت «يمكنني أن أحضر لك بعض شراب جوز الهند البارد أيضا».

شرعت في العدو وقررت لو أنه بقي على قيد الحياة عندما تعود سوف تجد طريقة لتسلق الشجرة وتنزلها. استقطنت أنه لو ظل حيا فلقد نجا على أي حال ولن تفسد أي شيء. ولسوف تطلع حسينة على السر لو تسنى لها أن تجدها. لكنها لم تكن لتخبر أما. لو كان آبا هناك لن تنتظر إليه فربما قرأ شيئا في وجهها. وربما قد أمر هو بالعقوبة ولم ترغب في أن تعاقب هي الأخرى. مر عليها ثلاثة رجال في الطريق الضيقة يحملون ألواح خشبية. أحدهم أخو الرجل من القرية المجاورة الذي اختطف ابنته. كانوا يتضحكون ويمزحون عندما مروا وهزوا عصيهم في ابتهاج كأنهم على وشك أن يلعبوا الكريكيت. عندما التفتت نازنين رأتهن يتجمعون بجوار شجرة مصطفى. ثلاثة أشكال بلا ملامح يؤدون على البعد رقصة بطيئة مع شريك ملفوف بالخيوط.

انتهوا إلى حديقة أمامية صغيرة مكسوة بأحجار رصف متعددة الألوان وفي أشكال وأحجام عشوائية، كأن زهرية ضخمة سقطت من ارتفاع كبير ونزلت الشظايا المنشطرة مباشرة أمام المنزل. تحت النافذة ثمة إوزة من جص بقلنسوة حمراء منقطة تحديق في الظلام. بجوار الباب تماما يوجد شرطي طوله ثلاث أقدام يقوس رجليه المرحتين ويتظاهر بابتسامته. ثمة أشكال أخرى كانت تريض في الظلام. حيوانات بأشكال غير مألوفة وأناس مذهولون. المنزل نفسه لا يشي بشيء. كانت الأنوار مضاءة والستائر مسدلة.

قال شانو «حيازة مهمة. تحدث في همسة». هذه المنطقة محترمة جدا. لا يوجد أحد من السلحتيين خاصتك هنا. إذا

رأيت وجها بنيا يمكنك أن تضميني أنه ليس من سلحت.
حملت نازنين رقيب على فخذها . تساءلت هل سيدق شانو
جرس الباب أو أنهم سينصرفون فقط ثانية ويركبون الحافلة .
قال شانو : « لن نمكث طويلا . سنقول بضع كلمات ثم نذهب » .
ضغط على جرس الباب فعزف نغمة مفزعة . « طبعاً لو طلبوا منا
أن نبقى للعشاء فلا مانع عندي » .
انفتح الباب . ثمة امرأة ترتدي تنورة أرجوانية كانت تستند
إلى عضادة الباب . فخذها يختبران القماش . وتحت أطراف
التنورة ركبتان مجوفتان . ذراعها مطويتان تحت ثديها . ثمة
سيجارة تتوهج بين أظافر مطلية بلون أرجواني . كان لها أنف
كبير وعينان تبحثان عن مشاجرة . شعرها قص قصيرا مثل شعر
رجل وكان مخططا بنوع ما من طلاء باهت اللون .
قالت بالإنجليزية : « نعم » .
همس شانو لنازنين « أعتقد أننا أخطأنا المنزل » .
قالت المرأة بالبنغالية « عم تبحثان ؟ »
« أستمحك عذرا . كنا نبحث عن الدكتور آزاد . هل تستطيعين
أن تدلينا على منزله ؟ »
« يمكنني أن أدلكما عليه بالتأكيد . إنني واقفة فيه بالضبط » .

الفصل الخامس

أبيض

أرشدتهما إلى حجرة الجلوس، حيث أسدان يحرسان شعلة غاز. غاصت نازنين داخل أريكة كبيرة ذهبية. وضع شانو علبة الكالوجام خاصته على طاولة مذهبة ذات أرجل مخلفية ثم وقف ويده خلف ظهره كما لو كان يخشى أنه ربما يكسر شيئاً. صفق رقيب بيديه السمينتين ليستدعي الخدم الذين كانوا بالتأكيد قابعين في المطبخ. أطفأت مدام آزاد سيجارتها في طبق صاج. قالت «دقيقة واحدة» ثم انطلقت إلى الردهة. صاحت «آزاد! عندك ضيوف».

تبادلت نازنين نظرة مع زوجها. رفع حاجبيه وابتسم. كبحت جماح قهقهة على خد رقيب. اعترشت مدام آزاد في كرسي بذراعين. وضعت رجلا على رجل فانحسرت تنورتها عن فخذيها السمراوين الكبيرتين. ترنح شانو قليلاً. راحت نازنين تحديق إلى الستائر: أميال من المخمل تتدلى مجدلة بالذهبي، قماش كفيل بلف برج سكاني. تتنح شانو. دست أصابعها تحت إبطها. وضغطت على نهديها. راح الرضيع يتلوى فوضعت على السجادة الوثيرة التي بلون الزبدة حيث تقيأ بعضاً من عشائه. وضعت نازنين قدمها على البقعة. رويدا رويدا أدركت نازنين أن زوجها يحديق في شيء أعلى كتفها. عندما أدارت رأسها رأت أن الدكتور آزاد كان واقفاً في المدخل. بدا الرجلان متجمدين. كان الدكتور أنيقاً مثل مانيكان الخياط. كان يضع يديه إلى جانبيه بأناقة. أساور القميص الأبيض تبرز من بزته الداكنة. ياقته وربطة عنقه تدعمان ذقنه الدقيقة وشعره كان ممشطا في لمعان الأبنوس. بدا كأنه رأى شبحاً. نظرت نازنين إلى شانو. كان يبدو مثل

شبح مسكين في حذائه البالي وسترته الخضراء ذات المقاس المفرط.

قالت مدام آزاد «بالله عليك أحضر لضيوفك بعض الشراب. فقد كنت واقفة على قدمي طول النهار». قال شانو «كنا مارين فقط» وكأنه تذكر النص لتوه.

فرك الدكتور آزاد يديه. «يسعدني أن أرحب بكما. إنني، أها، أخشى أننا بالفعل تناولنا طعامنا، وإلا...».

قاطعته زوجته «سوف تنتظران للغداء». كانت تتحدى نازنين بعينها المشاجرتين بشدة. أردفت «إننا لم نأكل بعد».

اهتز الدكتور آزاد على مشط قدميه. «لم نأكل على هذا النحو. غير أننا تناولنا بعض الوجبات الخفيفة وما إلى ذلك».

تناولوا العشاء على صينية موضوعة على حجر كل منهم. لحم مجهول الهوية في مرق فاتر مع بطاطس مسلوقة. كان يشبه أكل ورق كرتون منقوع في الماء. أدارت مدام آزاد التلفزيون ورفعت صوته عالياً. كانت تنظر بعبوس إلى شانو وزوجها بينما يتحدثان وتشيح بيدها عندما ترغب في أن تسكتهما معا. شربت كأساً ثانية وتجشأت في رضا تام. في بادئ الأمر أحضر زوجها عصير برتقال فتواثب في كرسيها كما لو كانت ستضربه. شرب الدكتور آزاد كوبين من الماء على طريقته المعهودة. كان يستخدم سكينه وشوكته مثل أدوات الجراحة. راحت نازنين تلاحق الطعام المندي في طبقها وتمسك بطنها لتمنعه من الدمدة.

قال شانو لمدام آزاد سأنضم معك في كأس من الشراب. «قام بالعرض وكأنه كان يقترح أن يعيها كليته. هزت كتفها

واستمرت في تثبيت عينيها على الشاشة.
فكرت نازنين، إن زوجي لا يؤدي صلاته، والآن يشرب
الكحوليات. غدا ربما يأكل خنازير.

قال شانو: «فيما يتعلق بكوني رجل طب لا أوصي بذلك، أما
فيما يتعلق بالجانب الديني فليس لدي رأي».

«ثم قال بصوت رجل فكر مليا وجيدا» كما ترى أنه جزء من
الثقافة هنا. إنه متأصل في بنية المجتمع. هناك في الوطن إذا
شربت فأنت تخاطر بكونك منبوذا. وفي لندن إذا لم تشرب
فأنت تخاطر بالشيء نفسه. ذلك عندما يصبح الأمر خطيرا،
وعندما يبدأون من الصغر يمكن أن ينتهي بهم الأمر ليصبحوا
سكيرين. بالنسبة إلى وبالنسبة إلى زوجتك لم يحدث ضرر.
«تطلع إلى مضيفته غير أنها كانت مندمجة في مشهد تقبيل
مسعور وعنيف. كان شانو لم يزل مرتديا معطفه. جثم على
الكرسي وركبته متباعدتان بينما كاحلاه متقاطعان. كان يبدو
مثل بستاني قد دخل ليحصل أجره.

تعجبت نازنين وليست للمرة الأولى ما الذي يجعل الدكتور
آزاد يستمر في الحضور إلى شانو. لقد كانا شخصين متنافرين.
ربما كان يأتي من أجل الطعام.

«سوف نكون في دكا قبل أن يحقق بروكو أي خطر. لقد رسمت
تصميمات للمنزل، ألم أقل لك؟ بسيط جدا وكلاسيكي جدا في
تصميمه. لقد اعتزمت أن أكون مهندسا معماريا بنفسني».

قال الدكتور «نعم، لم لا تكون مهندسا معماريا؟»

«بالضبط، ما المغزى من أن تدفع نقودا لشخص آخر؟»

«كن مهندسا معماريا . كن مصمما . كن عالم صواريخ»
بدا شانو مرتبكا «مصمما يمكنني أن أفكر في ذلك، أما في
العلوم فأعترف أنني لدي خلفية بسيطة للغاية».
بسط يديه في تواضع. «على أي حال ليست لدي اعتمادات
مالية كافية للمنزل بعد».

«أه، ولكن عندما تأتي الترقية.....».
كان الدكتور آزاد يجلس منتصبا على كرسي ثابت الظهر
ويمسك بالذراعين كأنه سوف يعصر الدم منهما . وبسبب
الموضوع المتعلق بالمشروبات لم ينظر إلى زوجته مرة واحدة.
«لقد كنت في المجلس فترة ممتدة، خدمة طويلة لم يميزها
شيء. إن زمار الحي لا يطرب. غير أنني لدي بعض الأشياء في
خط البيع. مشروع أو مشروعان أقوم بتطويرهما . تجارة الأثاث،
أنتيكات، ، بعض الأفكار الخاصة بالتصدير والاستيراد .. المشكلة
كبيرة. إذا لم يكن عندك نقود فماذا تستطيع أن تفعله؟
ابتسم الدكتور بطريقته المميزة، الحاجبان إلى أعلى والفم
إلى أسفل «أكسب بعضا منها».

«لست في حاجة إلى الكثير. فقط ما يكفي للمنزل الذي في
دكا وبعض النقود تبقى من أجل تعليم روكو. لا أريده أن يفسد
هنا مع كل حليقي الرؤوس والسكيرين. لا أريده أن ينشأ في هذا
المجتمع العنصري. لا أريده أن يرد على أمه بوقاحة. أريده أن
يحترم أباه» أصبح صوت شانو ملتهبا بالعاطفة. استهجنتم مدام
آزاد وأشاحت بيدها المخلفية الأرجوانية. قام شانو بهمسة عالية
«الطريقة الوحيدة هي أن تعيدهم إلى الوطن».

دخلت فتاة ثم وقفت وسط الحجرة ويدها إلى أردافها . لقد ورثت عن أمها ساقيةا القويتين غير أن تنورتها كانت أقصر بضع بوصات . تحدثت بالإنجليزية . استطاعت نازنين أن تلتقط كلمات pyb و money . نخرت أمها ولوحت باتجاه الدكتور آزاد . ارتعش الدكتور . تكلم بضع كلمات حادة . ارتفعت كتفاه حول أذنيه . ترحزح شانو في كرسيه وسعل . كانت الفتاة تمضغ علكا بينما تعبت بالحلية التي في أنفها مثل بثرة على وشك أن تعصرها . شعرها كان ملطخا بالمادة الصدئة نفسها التي خططت رأس أمها . كررت مطالها . بدأ شانو يهمهم . أصبح ظاهر عنق نازنين دافئا . أنشأ الدكتور يتحدث غير أن زوجته أشاحت بيديها . جاهدت للنهوض من الكرسي ذي الذراعين وأحضرت حقيبة يد .

أخذت الفتاة النقود . نظرت إلى نازنين والرضيع . نظرت إلى شانو . كان الدكتور يتمسك بكرسيه . قدماه والركبتان مضمومة كل منهما للأخرى . شعره الذي يشبه الخوذة مطبوع بدائرة ضوء . لم يكن ليتخلى عن ذلك الكرسي . لقد كان الشيء الوحيد الذي يجعله منتصبا . دست الفتاة النقود في جيب قميصها وقالت «سلام عليكم» . ثم خرجت .

أطفأت مدام آزاد التلفزيون . فكرت نازنين ، فلنذهب . حاولت أن تغمز لشانو بعينها لكنه ابتسم لها بغموض في المقابل . «هذه هي مأساة حياتنا . كونك مهاجرا يعني أن تعيش مأساة» .

شرعت المضيفة برأسها . حكّت أنفها المنتفخ . «عم تتحدث؟»

«الصدام الخاص بالثقافات».

«أستميحك عذرا؟»

أردف شانو «والخاص بالأجيال».

«ما هي المأساة؟»

«ليس المهاجرون وحدهم. لقد كتب شكسبير عن ذلك». تتنح
وراح يستعد كي يستشهد بجملة المقتبسة «اخلع معطفك. إنه
يمتطي فوق أعصابي. ماذا تكون؟ أستاذ جامعي؟».

نشر شانو يديه. «أحمل شهادة في الأدب الإنجليزي من جامعة
دكا. درست في جامعة بريطانية - الفلسفة، علم الاجتماع،
التاريخ، الاقتصاد. لا أدعي أنني من النبلاء المتعلمين. لكنني
أستطيع أن أقول لك على نحو مؤكد يا مدام أنني دائما أتعلم».

«فماذا تكون إذن؟ طالب؟» لم تبد متأثرة. عيناها الصغيرتان
التأججتان بشدة كانتا تبدوان قاسيتين ومبتذلتين مثل الفحم.
«أنا وزوجك طالبان، بمعنى أن تلك هي الطريقة التي حدث
أن عرف أحدهنا الآخر بها، من خلال حب مشترك للكتب، حب
التعلم».

تثاءبت مدام آزاد «أوه، حقا إن زوجي رجل مثقف جدا. إنه
يضع أنفه في كتاب لأن رائحة الحياة الحقيقية تضايقه. لكنه
قطع طريقا طويلة. أليس كذلك يا حبيبي؟»

فكرت نازنين، كان يأتي إلى شقتنا كي يهرب منها.

قال الدكتور «نعم». بينما ابتلعت ياقته عنقه.

«عندما جئنا أول مرة - أخبرهم، هيا أخبرهم - كنا نعيش
في زريبة بحجرة واحدة. كنا نتعشى على الأرز والذال. أرز وodal.

في الفطور كنا نتناول أرزا ودالا . بالنسبة إلى الغداء كنا نشرب ماء كي نملاً بطوننا . هكذا وصل إلى كلية الطب . والآن، انظرا! بالطبع الدكتور مثقف جدا . أحيانا ينسى أنه من دون مساعدة أسرتي لم يكن ليحظى بكل هذه الحروف بعد اسمه» .

قال شانو «إنها قصة نجاح» بينما يمرن كتفيه «ولكن خلف كل قصة نجاح لمهاجر تكمن مأساة عميقة» .
«لطفاً وضح ذلك» .

«أتحدث عن الصدام بين القيم الغربية وقيمنا نحن . أتحدث عن الكفاح كي نستوعب والحاجة لحماية هوية المرء وتراثه . أتحدث عن الأطفال الذين لا يعرفون ما هي هويتهم . أتحدث عن مشاعر الاغتراب التي يحدثها مجتمع تسود فيه العنصرية . أتحدث عن الكفاح الرائع لحماية سلامة عقل المرء أثناء الجهاد لتحقيق أفضل ما يمكن لأسرته . أتحدث ...» .
«هراء» .

نظر شانو إلى الدكتور آزاد لكن صديقه كان يتفحص ظاهر يديه .

قالت زوجة الدكتور «لماذا تجعل الأمر معقدا على هذا النحو؟ هذا الاستيعاب وذلك الاغتراب! دعني أقل لك بضع حقائق بسيطة . حقيقة: نحن نعيش في مجتمع غربي . حقيقة: أطفالنا سوف يتصرفون أكثر وأكثر مثل الغربيين . حقيقة: هذا ليس شيئاً سيئاً . ابنتي حرة في الذهاب والمجيء . هل أتمنى لو كنت استمتعت بنفسى مثلها عندما كنت صغيرة؟ نعم!» .

جاهدت مدام آزاد للخروج من كرسيها . اعتقدت نازنين أنها

تذهب إلى الحانة هي الأخرى، وكان هذا يجعلها طائشة بعض الشيء. لكن مضيفتهم اتجهت نحو شعلة الغاز وانحنت من الوسط لتشعلها. حولت نازنين عينيها.

واصلت مدام آزاد «اسمع، عندما كنت في بنجلاديش كنت أرتدي الساري وأغطي رأسي وما إلى ذلك. لكنني هنا أذهب إلى العمل. أعمل مع بنات بيبضاوات ولست سوى واحدة منهن. إذا أردت العودة إلى المنزل وأكل الكري فذلك شأنني. بعض النساء يقضين عشر سنوات أو عشرين سنة هنا وهن يجلسن في المطبخ، بينما يطحن التوابل طوال اليوم ولا يتعلمن سوى كلمتين من الإنجليزية». نظرت إلى نازنين التي كانت مشغولة برقيب. «إنهن يسرن هنا وهناك مغطيات من الرأس إلى إصبع القدم في سجنهن الصغير المتحرك وعندما ينادي عليهن شخص ما في الشارع يضطرين. المجتمع عنصري. المجتمع برمته على خطأ. كل شيء يجب أن يتغير من أجلهن. بينما هن ليس عليهن أن يغيرن شيئاً واحداً». قالت وهي تطعن الهواء «تلك هي المأساة». كانت الحجرة هادئة والجو مشرق للغاية والضوء القوي لا يخفي شيئاً. راحت اللحظات وجاءت من دون شيء يسهل مرورها. قال شانو في النهاية «كل شخص لديه مأساته الخاصة» كانت شفته وحاجباه تعمل بانفعال بالغ في شأن خاص. اعتقد رقيب أن هذه الخاتمة غير مرضية فراح يحدق إلى أبيه بحدة تشبه حدة الكوبرا ثم بدأ في البكاء.

قالت مدام آزاد لنازنين «تعالى معي، لدي شيء ما للرضيع» في غرفة النوم نظرت إلى ظاهر خزانة ونزعت دمية دب لينة.

حاولت أن تهتم بالطفل لكن رقيب فرك عينيه واستدار لينام. غيرت نازنين مريته وألبسته بيجامته. لم يستيقظ. راحت مدام آزاد تدخن سيجارة. كانت تداعب رأس رقيب بيد وتدخن باليد الأخرى. أحست نازنين حينها وهي تراقبها بالشفقة لهذه المرأة، مقاتلة الشوارع ذات الأنف الضخم. وعرفت لماذا كان يأتي الدكتور. ليس من أجل الطعام، وليس كي يهرب من هذه المرأة ذات المخالب الأرجوانية، (على الرغم من أنه يمكن أن يكون من أجل هذه الأشياء أيضا)، وليس من أجل مشاركة حب التعلم، وليس من أجل استعارة الكتب أو مناقشة المكتبة المتنقلة أو الأدب أو السياسة أو الفن. لقد كان يأتي ليعاين نموذجا نادرا: تعاسة أكبر من تعاسته الخاصة.

استيقظت من حلم. حسينة في مصنع الملابس، تكوي ياقات تارة، تتضحك مع البنات. حسينة تتضحك مع البنات وهي تكوي يدها. حسينة تضحك على نفسها بينما تكوي وجهها. كان الطفل ساخنا. رأسه كان يتقد. حتى في الظلام كان بإمكانها أن تميز رقعتي خديه المتوردتين. اضطجعت لوهلة ويده المعقودة في يديها. راح ضياء القمر يقسم الستائر ويخطط الحوائط. شانو يتنفس من فمه ويرسل على أسرته نسيما مبتذلا. كان الدولار يجثم مثل خطيئة كبيرة وكريهة بجوار السرير. ثمة كرسيان إضافيان مفككان تم تخزينهما في أحشائه. أومض المنبه عينه الحمراء. نهضت نازنين وضمت رقيب إلى صدرها. قبلت موضع الليونة اللانهائية في ظاهر عنقه. أحست بجسده الخالي من العظام يتشكل بجسدها. كان هذا يمثل كل شيء.

كان هذا يحتل مكان جميع الأشياء ويستبعد التساؤلات.
كان الإدراك في حد ذاته يسرق منها اللحظات. رفعت الرضيع
وأمسكته أمامها متوقعة أن يستيقظ لكي تتمكن من هدهدته مرة
أخرى لينام مطمئنا.

تدلى رأس رقيب إلى الأمام. تسللت نازنين خارج السرير
وأخذته إلى الردهة. أضاءت المصباح. قالت «حبيبي، اصح».
دغدغته على خديه، وتحت الذقن وتحت ذراعيه. قالت بشدة
«اصح هيا».

لاح شانو وهو يهرش فيما بين ساقيه. شعره منتصب في
الأطراف وبطنه جاهد ليتحرر من قميص البيجامة. فتح الرضيع
عينيه وبدا مستعدا لبعض الاستجابات الملحة في الموقف. غير
أن النوم اختطفه فجأة وبدا أنه يصنع رهينة راغبة. ثمة ابتسامة
رعشت خديه.

قال شانو «ما الأمر؟»

«إنه مريض. لا أستطيع أن أوقظه».

«دعيني أحاول. هيا يا رقيب، حان الوقت للاستيقاظ. افتح
عينيك. روكو! روكو! ما الذي أصابه؟ رقيب! ماذا حدث؟
لا يصحو؟ لم لا يصحو؟».

الفصل السادس

أبيض

انقسمت المدينة. كل شيء كان محطما. عرفت ذلك على الفور، لمحتة من اللون الأبيض المؤلم لجدران عربة الإسعاف. إشارات النيون المسعورة. الأضواء الأمامية للعربة التي تطارد الظلام. مكتب استخدام طقطق بالضوء. هذه الشظايا للمدينة المهشمة.

أحست بالذعر في المستشفى. أبواب الردهة تصطك، المعاطف البيضاء تتدافع، النقالات المتحركة تققع، ماكينة القهوة تزمجر. هرولت مع ابنها وهي تحمله داخل ممرات طويلة بينما الجدران تتلاشى من أمامهم. وعندها أخذوه من يديها.

رقد رقيب في سرير نقال ذي جدار زجاجي كزهرة أمسكت في قبضة يد ثم أطلقت، لم تسحق غير أنها تجعدت. ذراعه كانتا متخالفتين، والبشرة من حول فمه مجمدة، والمنطقة تحت ضلعيه مجوفة. ضغطت نازنين بأصابعها على جهاز الحضانة. كان رقيب يمثل المركز. لقد أعاد العالم انتظامه حول هذا القلب الجديد. كان عليه أن يفعل ذلك. فمن دونه لم تكن الحياة ممكنة. كان في الداخل والجميع أيضا بدوا في الداخل. الممرضات والأطباء الذين كانوا يندفعون ويتهدون ويجتمعون هنا وهناك. مبنى المستشفى برائحته الخانقة وهدوئه المميت وقبععاته المزعجة. الأبراج الزجاجية ومقابر الطوب الأحمر. البنات مكشوفات الساقين يرتجن في موقف الحافلة. الكهول والنساء يومئ. الكلاب المغذاة جيدا والحمام المنتفخ. السيارات التي تزرق بجوار عربة الإسعاف محفزة إياها بالاستمرار، تتفرق في أمواج.

والمدينة نفسها لم تكن سوى وهج على الأرض المعتمة، تحت السماء التي انحنت كي تلامس المحيطات المضطربة، وكان هو بجانبها غير أنه لم يعد خاصتها، والضوضاء التي ملأت رأسها وقلبها ورتبتها كانت كبيرة، لذا لو لم تفتح سوى فمها لن تستطيع الجدران والشبابيك أن تقاوم.

على مدار ثلاثة أيام لم يكن شانو يأكل سوى سندوتشات الجبن من الكانتين. في اليوم الرابع ذهب إلى البيت وطبخ طبق أرز وبطاطس وكري قرنبيط. أحضر الطعام إلى المستشفى في علب مستديرة مسطحة. وراحا يأكلان في الغرفة بينما جلسا بجوار العائلات اللاجئة. راحت الرائحة الدافئة المسكرة للتوابل تشمل الجو وتتزع الأنوف وتشرع الرؤوس. زوجان هزيلان كانا يمسكان أيديهما ويتهامسان طوال اليوم كأنما يقيمان معاهدة لا نهائية معقدة للانتحار، توقفوا عن خطتهما قليلا وراحا يحدثان في الملأ. ولد مراهق جاء ليكون برفقة أمه، حيث كان يناولها منديل ورق تلو منديل وقف منتصبا ليحظى برؤية جيدة. الرجل الملتحي ذو عين فار البنديكوت البيضاء المسطحة الذي جاء وحده ونام تحت الكراسي راح يلعب شفتيه على مهل.

أكلت نازنين. وأتت على العلب حتى مسحتها ووضعتها على الأرضية. قال شانو «يجب أن أحضر المزيد». أطبق يده حول رسغها.

«نعم. المرة المقبلة أحضر المزيد».

«هل تريد أن تعودى إلى البيت قليلا؟».

«كلا لا أريد».

«أحضرت لك بعض الأشياء. جوارب، صابون، ما استطعت أن أجده».

«بطانيته؟».

«لقد أحضرتها».

«هو في حاجة لبطانية خاصة؟».

فكرت نازنين في النهوض. ستتتظر ريثما يدعها شانو حتى لا تنتزع نفسها منه. لم ترد أن تنتزع نفسها منه.

قال شانو «لقد جاء خطاب من الوطن».

كانت ذقنه شيباء خشنة وشعره - من دون زيت جوز الهند - كان يخمد مثل كتل الفرو المتفرقة. لم يتحدث إلا قليلا وصوته كان أملس كالطمي.

«حسينة!».

«كلا، كلا. إنه خطاب من أقاربي. خطاب استجداء».

«خطاب آخر».

«لم أسمع عن هذا الرجل خلال ما يقرب من عشرين سنة. عندما رحلت كان شرطيا شابا بشارب ضخم، كان خائفا في كل مكان».

فتح طبيب الباب وتحدث إلى أم المراهق. تمخطت وناولت المنديل اللبل إلى الولد. عندما غادرت مع الطبيب أعادت النظر إلى الغرفة كأنها قد خانتها. نخر الولد. انزلق منخفضا بشدة في كرسيه حتى كان مهددا بالوقوع. أحكم شانو قبضته حول رسغ نازنين.

«كنت أسمع عنه من حين إلى آخر. لقد بنى لنفسه منزلا كبيرا بكل نقود الرشوة، وأخذ يرتقي بين الطبقات. كان لديه

خمسة خدامين وزوجته تقيم أفضل الحفلات. ليس هذا فقط. فقد استورد سيارة أمريكية، كرايسلر أو شيفروليه، شيئاً كهذا. كانت حديث كل المدينة».

ابتسمت نازنين لزوجها. من الآن لم يكن يتحدث سوى إليها. ليس ثمة شخص أعلى كتفها. لقد عاد جمهور المستمعين أخيراً إلى منازلهم. مررت يدها الطليقة باختصار على خده المستدير. اللمس على هذا النحو كان مسموحاً به هنا، بين المواطنين غير الشرعيين، حيث القواعد غير معروفة ومعطلة على أي حال.

«الآن يبدو أن نقود الرشوة قد نفذت. هو عجوز الآن على أن يستخدم عصاته،

أو أنه تم عزله بالمرة. أما الآن فليس لديه سوى خادم واحد وهو في حالة عوز».

تركها شانو. حك فخذيته «طلب مني باسم الله ألا أدع أسرته تعاني. إنه يطلب فقط من أجلهم وليس من أجل نفسه».

قالت نازنين «لا ترد عليه».

لقد قرأ هذه الخطابات مرارا وتكرارا. قضى فيها وقتنا أطول مما قضاه في دراساته، وفي الأغلب الأعم كان يتركها في الدرج.

«ارمها فقط».

«ليس لديه الآن سوى خادم واحد».

أحست نازنين بفقاعة قهقهة تبعث من بطنها. تركتها تخرج خلف يدها. قالت مدعمة «لا تدع أسرته تعاني».

عقد شانو حاجبيه الأشعثين ونظر إليها . لم تستطع أن تتوقف . ابتسم شانو . استشعرت أن الآخرين ينظرون إليهما ، الاثنان الأسمران اللذان كانا يتضحكان ويبتسمان . بطرف ساريها راحت تجفف دموعها .

ثمة قناع كان على وجه رقيب يزوده بالأوكسجين . لأنه كما شرح شانو كان في حاجة إلى شيء أنقى من الهواء . ثمة إبر كانت مغروزة في ذراعيه مثل رماح كبيرة وأسلاك وأنايب تنتشر حوله ، سميقة مثل حبل مفتول . فرد رقيب أطرافه الصغيرة عن آخرها . الطفح الجلدي الذي كان على وشك أن يقتله . هذه البذور الصغيرة الحمراء لم تعد مزرقة . فقد غيرت العلامات شكلها ولونها وراحت تتفرق تحت بشرته القشدية مثل توت مسحوق . امتدت ذراعه على السرير . وجهه استحال إلى كرة راسخة . تذكرت نازنين لعبة كانت تلعبها مع حسينة ، تنحيان في الرياح التي تعصف بالبحيرة وتمسكها في عناق مضطرب ، بينما ترفرف سراويلهما الفضفاضة وترفعان أذرعهما .

كان رقيب لايزال نائما . أحيانا كان يفتح عينيه إلا أنهما كانتا عينين غير مبصرتين . وضعت نازنين بطانيته الخاصة بجانب السرير . واستقرت على القالب البلاستيكي للكرسي . جلس شانو على الجانب الآخر ويداها مطويتان على صدره . كلما سارت ممرضة بالقرب كان يفردهما قليلا ويتطلع .

لم يسيئ أبأ الاختيار . فلم يكن هذا رجلا سيئا . ثمة كثير من الرجال السيئين في العالم غير أن هذا لم يكن واحدا منهم . في استطاعتها أن تحبه . ربما أحبته بالفعل . اعتقدت أنها أحبته .

وإذا لم تكن تحبه فعاجلا سوف تحبه لأنها الآن قد فهمت ما هو عليه، ولماذا. الحب سوف يأتي بعد الاستيعاب.

بعض الأشياء أصبحت واضحة في ليالي مصايح الهالوجين الطويلة والنهارات البطيئة المبددة. الضجيج الذي يدور محطما بداخلها مثل نحلة عملاقة في زجاجة انتهى. والهدوء الذي جاء في أعقابه كان عميقا. جلست نازنين وشاهدت ابنها وشاهدت زوجها يخشخش حول المكان: يحضر أشياء ويرجعها، يصطدم بالعربات والمرضات، يسأل الأطباء، يحدث عمال النظافة، يتأمل في الرسوم البيانية والمقالات، يسحب كراسي من خارج المكان ويعيدها ثانية، يذهب لإحضار القهوة، يذهب لإحضار الشاي، يجمع الفناجين غير المشروبة ويدلقها في طريقه إلى المصفاة.

إن سخطها مع زوجها بدلا من أن يكبر على نحو ثابت كما كان على مدار ثلاثة أعوام راح يهدم. للوهلة الأولى أحسنت أنه لم يكن جد مختلفا. ففي باطنه كان على شاكلتها نفسها. طوال الوقت عندما كانت نازنين تلجأ إلى صلواتها لتحاول أن تفرغ ذهنها وتتقبل كل شيء جديد برضا أو لامبالاة، كان شانو يعمل بطريقته الخاصة. كان يبحث عن الشيء الجوهري نفسه. غير أنه اعتقد أن بوسعه أن يجلبه من الخارج ويثبته على صدره مثل درع. الشهادات والترقية ومنزل دكا والمكتبة وأعمال تجديد الكراسي وخطط التصدير والاستيراد والقراءة المطولة. كانت هذه أدواته التي على طرازه هو. بوساطتها كان يحاول التقيب عن مكان خاص، حيث يمكنه أن يحظى براحة البال.

حيثما تتوجه نازنين إلى الداخل يتوجه هو إلى الخارج، وبينما كانت تجاهد كي ترضى كان يعقد العزم على الصراع، وعندما كانت تحاول أن تبلد ذهنها وتخدر أفكارها كان يجادل بصوت عال، عندما لم ترد أن تنظر إلى الماضي أو تتطلع إلى المستقبل كان يعيش فقط في كليهما. لقد أخذنا طرقا مختلفة غير أنهما قاما بالرحلة معا وفق ما أدركت.

قال شانو: «سوف يصبح الآن على ما يرام».
«أعرف».

«سوف نأخذه إلى المنزل عما قريب».
«بمجرد أن يكون مستعدا».
«اعتقدت أن ذلك كله انتهى».

قالت «أعرف». وعرفت أنها لم تكن لتسمح بذلك.
على الرغم من أنها قضت ساعات جالسة بجانب سرير الطفل فإنها لم تكن تجلس فقط. كانت يداها تستقران مطويتين في حجر ساريها المجدد، مفاصل سمراء داكنة على لون قرمزي فاتح. كانت ساكنة بلا حراك مثل نمس سلبت ليه أفعى. وأهدأ من سماء خالية من العواصف. ولكن أكثر حيوية من قبل. تمنت له أن يعيش وعاش. في سكونها أدركت أشياء كثيرة، معظمها مبهج بشكل كبير وعلى نحو يصعب فهمه.

أتت ناظمة وسوروبا ووضعت كل منهما عشر أصابع على جوانب سرير الطفل. قالت ناظمة «من فضل الله أن جعل كل أطفالنا أقوياء وأصحاء. كذلك الطفل الرابع، أشعر برجليه، قوية جدا». راحت تحك بطنها المستديرة.

نظرت نازنين إليها . طفل آخر كان في الطريق، غير أنه مع ناظمة لم يكن من السهل أن تقول ذلك . مرات الحمل كانت تجيء وتروح لكن الاستدارة تبقى دائماً .

قالت ناظمة « كذلك من فضل الله أن جعل أطفالي في أنسب وأصح خلقة» .

لامست ناظمة بأصابعها جبهة رقيب . حدقت إلى سوروبا .
ما الذي أصابك؟ هل جئت للتألمي وتتفاخري عند فراش المرض؟

قضمت سوروبا شففتها ونظرت بعيدا .

جاءت جورينا وهى في طريقها إلى العمل ولم تستطع أن تمكث سوى بضع لحظات . قالت «أستطيع أن أجلس معه ليلا وأتركك تستريحين . ففي هذه الأيام لا أنام جيدا . فلن يكون هناك إزعاج» .

في غرفة المعيشة ضمت راضية نازنين إلى صدرها القاسي « أعلم أنك في معاناة . الطفل الثالث لأختي، سلام على روحه، مات بعد مرض طويل . كان المرض هو أسوأ جزء . عندما يرحلون فهم يرحلون، ولكن عندما يكونون مرضى فأنت تعانين معهم» .
«إنني أرثى لأختك . لكنني بخير» .

نظرت راضية بطرف عينها إلى الاثنتين العجوزين اللتين تواجه كل منهما الأخرى وتمسكان بأيديهما . هذه المرأة هي أشجع امرأة سوف ترينها دائماً . ففي شبابها كانت تصارع التماسيح . نظرت إلى نازنين . هل أخبرهما بالإنجليزية الآن؟
«إنني سعيدة بحضورك» .

«اسمعي لقد حصلت على شيء من أجله عندما يكبر قليلا.
هزهزت بدمية رجل من كيس بلاستيك». يمكنه أن يقتلع الرأس
من هذه الدمية كلية بنفسه.

«لن أسمح له. سوف أحتفظ بها إلى أن يعرف أكثر. بلغني
تحياتي إلى زوجك».

أنزلت راضية وشاحها. كزت على فكها القوي. الآن
وباعتبارها تلبس بنطالا كانت تجلس مثل رجل، الكاحل الأيمن
موضوع على الركبة اليمنى والحذاء الأسود الكبير يتردد إلى
أعلى وأسفل.

«لا أستطيع. فنحن لا نتكلم. إننا نتجادل. بيننا في واقع الأمر
نقاش، الذي بيننا غير معلن».

«إذن كيف لك أن تعرفي من الذي فاز؟».

«ذلك ابن ...».

«راضية»

«إنه يعمل طوال الليل والنهار ويجعلني محبوسة في
الداخل».

«إنك تخرجين. فلقد أتيت هنا، إلى المستشفى».

«لو حصلت على وظيفة سوف يقتلني. سوف يقتلني من
صميم قلبه. مجرد شق هنا. هذه نوعية الرجال التي هو عليها.
على مدار ساعات، على مدار أيام لا ينطق بشيء البتة، وعندما
يتحدث فتلك نوعية الكلام التي أحظى بها»، أمسكت قدمها بقوة
موقفة إياها عن مزيد من التردد.

«لكنك تخرجين. فأنت تذهبين إلى الكلية».

«الأطفال في المدرسة. ماذا يفترض أن أفعل طوال النهار؟
نميمة ثم مزيد من النوم. الأطفال يطلبون أشياء. كل شيء
يرونه يطلبونه. وليس لدي نقود. يمكن لجورينا أن تحصل
لي على وظيفة خياطة، غير أن زوجي سوف يأتي إلى المصنع
ويذبحني مثل كبش».

«تحدثي إليه».

لاحظت نازنين الباب يفتح. تمت أن يكون شانو بمزيد
من الطعام من البيت. دخلت ممرضة وربتت بخفة على كتف
العجوزين. تطلعتا إليها بوجهين مذنبين. لقد نسيتا وهما مطوقتان
بأحزانهما سبب مجيئهما هنا. أشارت راضية إلى الدمية. «ربما
أيضا أتحدث إليه». زوجي بخيل جدا فلن يضيع حتى الكلمات
علي. لديه الآن الوظيفة الليلية، يقود السيارة بأجساد الذبائح.
لو كان لديه أي شيء يقوله، يقوله لها. زفرت راضية بشدة من
أنفها الطويل مطلقة غضبها. فكت ساقها وعقدت أصابعها
معا. على أي حال لست في حاجة إلى سماع مشاكلي. فلديك ما
يكفي من المشكلات.

«رقيب يقوى الآن. يمكنني أن أشعر بذلك» من الممكن الآن أن
تتركه بمفرده برهة. لقد روضت الماكينات التي تقف حارسه له
بالتحدث إليها في رفق مثل فيال يهدي فيلا غاضبا. هذا ابني،
هذا ابني، خذي بالك منه جيدا. لم تعد الآلات تخيفها. في
الليل كانت تخرخر مثل قط السينور بينما أحشاؤها تومض مثل
اليراع. في النهار كانت تطن بنشاط والشاشات المسطحة تصنع
خطوطا ومنحنيات على هيئة أطياف خضراء بسيطة.

قالت راضية «المرّة المقبلة سوف يتسنى لي أن أحمله»،
ابتسمت غير أنها لم تستطع أن تعدل من مزاجها «لقد اكتشفت
أين تذهب النقود. هل أخبرك؟ إنها تذهب إلى الإمام. إنه بصدد
إنشاء مسجد جديد في القرية»
«سوف يباركك الله».

«لو كان يعرف ربنا لم أكن لأعرض. ولكن زوجي لا يعرف
ربنا. اسمعي، هل هذه هي الطريقة التي يتصرف بها رجل يعرف
ربنا؟».

كان زوجها وضعيا. كان الأمر يسوء. بعد الفقس الكثير
والتخزين في الأرفف والخزانات، كان ينعت زوجته بأنها ربة بيت
سيئة. كثير جدا من البرطمانات، كثير جدا من العبوات، كثير جدا
من المعلبات. كل الوفرة الصارخة، والرفاهية تبددت. لن يكون
هناك مزيد من النقود إلى أن يؤكل آخر شيء موجود على الأرفف.
هبط بهم الحال الآن إلى الزبيب وويت بيسكس من سينسبري.
على مدار ثلاثة أيام لم يتناول الأطفال سوى ويت بيسكس في
الماء وحفّات من الزبيب. يقول الزوج إن هذا سيعلمك. سيعلمك
أن تشتري الزبيب، العبوات الفاخرة، بنس يضيع هنا وبنس يضيع
هناك. طارق عاد من المدرسة. ماما، شيفالي تذهب إلى الحمام
تسع مرات كل يوم. إنها تستحيي أن ترفع يدها.
حدثته راضية بصراحة، تبني مساجد وتقتل أولادك فلذة
كبدك. أيها الرجل التقى.

لم يتراجع. ماذا تريدني أن أفعل؟ أقتل نفسي من العمل،
لأجلك كي تنفقيها جميعا بنسا هنا وبنسا هناك ولا شيء يظهر

في النهاية؟ إنني أعمل من أجل قوالب الطوب. عندما أوارى التراب ستكون القوالب قائمة.

قالت: ها، وعندما يجتازون طرقا، رجل قوالب الطوب!
قالت لشيغالي: اسألي أباك، اسأليه كم قالبا كسبه اليوم.
لفت شيغالي شعرها وسألته، أبا كم قالبا كسبته اليوم؟ وانبطحت على ظهرها وبكت بهدوء في حجر أمها.

قالت نازنين «أصلحي معي الأمر من أجل الأطفال» زرعت راضية عرض الحجرة. بدت مسحة من اللعنان فوق جوربها حيث انحسرت ساق بذلتها الرياضية. لن تسنح لشانو فرصة في شجار مع راضية. لكن زوج راضية كان ضخما، عريضا وقصير القامة، صدغاه مشحودان بالغضب. لم تره نازنين سوى بضع مرات. كان صامتا كما قالت راضية غير أنه صمت مشحون بالوعيد مما كان يجعل الأطفال ينسلون بعيدا حتى راضية.
لم ترد راضية. دارت وذرعت الجانب الممتد من الحائط. مسقطه بعض الورقات من على رف.

«هل حقا ستعملين مع جورينا؟ إنها تعاني مشكلات. الجميع يتحدثون. أطفالها يتورطون في مشكلات». كانت حسينة تعمل، غير أنها لم يكن لديها خيار. فلو كان لديها زوج أو أب...

قالت راضية إننا ننم بالطبع، كانت تقف بلا حراك ولوهلة عاود البريق القديم الظهور في عينيها الضيقتين. إننا نحب أن ننم. هذه هي التسلية البنغالية» أقبلت وجلست بجانب نازنين.
«اسمعي أطفال جورينا ليسوا أفضل ولا أسوأ من الآخرين. أيا كانت المشكلات التي هم فيها فهم ليسوا الوحيدين. عندما كنت

أسير في المجمع السكني اليوم رأيت عصابة من الأولاد - خمس عشرة وست عشرة سنة - كانوا يتشاجرون. صحت فيهم لكنهم صاحوا بالسباب لي. منذ بضع سنوات فقط ما كانوا يتحدثون أبدا علي هكذا إلا الأكبر منهم. هكذا تسير الأمور».

«وكانوا يديرون موسيقاهم عاليا جدا».

بدأت راضية تبتسم. «تعرفين، زوجي أرسل مذياعات لأولاد وبنات إخوته. عندما يعود إلى الوطن ربما يحظى بالأحجار بدلا من الثناء».

قالت نازنين «إذن فهو ليس بخيلا على طول الخط؟»، متلهفة لاستخراج بعض الخير من الرجل.

«إننا نحصل على ما لا يريده الآخرون فقط. ثمة رجل في مصنع الدمى يزورنا كل بضعة شهور بمزيد من النفايات وأتظاهر بالفرحة. عندما يأتي آخر بالفعل على ركبتي».

قالت نازنين «إنك توفرين عليه مشوارا إلى مستودع النفاية. إنه صنيعك الحسن ربما أبدأ في اتهامه بكل شحنة، انظري كم يحب ذلك؟».

«فكري فيما توفرين عليه من بنزين».

«سلم نقال آخر، علب طلاء، لوحان من الخشب. علي أن أبدأ العمل في طلاء المنازل».

«اشغلي نفسك» جاهدت نازنين نوبة ضحك. لم يكن هذا مكان الضحكات من البطن.

«أجعل زوجي يتعثر عندما يستيقظ في الظلام». أمسكت ركبتيها واستشقت بصوت عال. «بأمانة يا أختاه من جانبي

أنا لا أريد أي شيء. هل سمعتني أشكو من قبل؟ لكن الأطفال يعانون».

«ماذا ستفعلين؟».

بدت راضية جادة. نشرت يديها واختبرتهما كأنهما ربما كانتا تتطوعان بعفوية لما تنويان أن تفعلاه «أقول لك».

دخل شانو يحمل أكياسا ورائحة الوليمة الرفيعة. توقف عندما رأى راضية، ثم ألقى سلاما بدا يشملها هي فقط بالمصادفة.

قالت راضية «المرّة المقبلة» بينما راحت تلم أشياءها.

قالت نازنين «كلي معي»، وراحت تأخذ الأكياس من شانو وودت أن يبتعد.

تتحنح وبرسمية بالغة راح يسأل عن السيدة إسلام، صحتها بصفة عامة، والخط الدائم لأولادها. ردت راضية ردودا مختصرة ومهذبة غير أنها استرخت في كرسيها بطريقة لا تتماشى مع زوجة بنغالية. تعبت استفساراته، وقف شانو مسترخيا كأنه ينتظر دعوة إلى الجلوس.

قالت نازنين «رقيب»

أجفل شانو. بدا على وشك أن يعدو «ماذا؟».

قالت نازنين بوداعة «أذهب وتفقد حالته».

تحدث بارتياح «لِمَ لا أتفقد حالته؟» وانصرف مسرعا. يخبط أحد كعبيه في الآخر. كان بنطاله مجعدا من خلف الركبة حيث إن تأثير الكونسيرتينا كان إلى حد ما موضوعة. تبعته إلى الباب وهمست في أذنه.

كان الأرز رائعا، حبيبات بيضاء منفوشة، كل واحدة مستقلة عن جارتها. في موسم المطر هناك في الوطن في الوقت الذي استسلمت الأرض فيه للمياه وتشابكت أصابع الجواميس، عندما يتعود الدجاج على السطوح، عندما تترنح الماعز المتروكة على الجزر الصغيرة، عندما تبتل النساء على المشاية المرفوعة المؤدية إلى كوخ الطهي ويجدن أنه لم يعد باستطاعتهن أن يوقدن أقراص الروث ثم يتحولن إلى مخزونهن، عندما ينقر المطر بصوت أعلى من أجراس البقر، يكون الأرز هو الوسيط، مانح الحياة. مطبوخ من قبل، كان يتخثر ويجعل من نفسه غراء. أو يحول نفسه إلى جزلات قاسية لا تتفكك إلا في المعدة، أفضل طريقة لحشو البطن وجعل حتى الأطفال يهجعون ويتأوهون من الشبع. حتى ذلك الحين كان جيدا. هذا الأرز كان فائرا. الأرز فقط سيكون كافيا بالنسبة إليها. غير أن الكزيرة الطازجة تجعلها تعمي عن الدجاج. الباذنجان المغرورق في الزيت كان يوماً في إغراء. أرادت أن تغرس لسانها في الدال المخملي. كان شانو يستطيع الطهي. لم يخطر ببالها أنه لابد قد طبخ خلال كل تلك السنوات قبل أن يتزوج. وعلى الرغم من أنه كان يستند إلى الخزانة ويضع بطنه على أسطح المطبخ فقط بينما هي تخرط وتقلي وتجفف المكان من حوله. لم يضايقها أنه لم يكن يساعدها. شعرت بدلا من ذلك بمسحة من الذنب لكونه عديم الفائدة، لعدم انتسابه إلى هذه القدرة المدهشة.

قالت راضية « إنه جيد، أبقى بعضا منه لزوجك ». كانت نازنين تأكل مثل شخص متعصب. وضعت راضية طبقها وملعقتها.

«ثمة شيء لم أذكره لزوجك بخصوص السيدة إسلام».
«شيء آخر لا يعرفه».
«أنت لا تريد أن تنمي عنها».
«كلا»، أخفضت راضية رموشها الثقيلة. انحنت مقترية.
تشابكت الرموش في زاوية العين مثل سيقان حشرة واستقرت
الجفون على قمة القرchie التي لاحظت نازنين الآن أنها مشوبة
بالذهبي في أعماق السواد.
«ليست نائمة. إنها الحقيقة».
صمتت هنيهة، أفضل طريقة للاستيلاء على مستمعها.
«المرأة مرابية».
«تشا!».

«لقد تأكدت من حقائق. إنها الحقيقة. أمام الله. أقول ذلك
ثانية. السيدة تتعامل بالريا وسوف تكون نزيلة جهنم»
«كيف لك أن تقولي ذلك؟» اضطرت نازنين إلى وضع طبقها.
«اسمعيني، كانت لدي شكوكي. قلت لها شيئاً بخصوص أزمات
مالية وقامت بعرض قرض. ليس شيئاً محددًا. وعندها لم أكن
متأكدة. اعتقدت أنها تقدم قروضا بدافع طيبة قلبها. وربما
تحمل رزما من فئة الخمسة جنيهات في تلك الحقبة السوداء
الكبيرة، لا لشيء سوى لكي توزعها على الفقراء».
«توقفي».

«أنا لا أمزح. فأنت تعرفيني دائما أرغب في رؤية الجانب
الطيب». ابتسمت مثل ابن آوى. «لو كنت لا تصدقيني، أسألي
أمينة، أسأليها أي فائدة تدفعها. ثلاثة وثلاثون في المائة».

«راضية!».»

«يبدو أنك مصدومة قليلا. أنا لا أصنع فضائح. أنا أروي ما أرى فقط. لست أنا التي ستذهب إلى جهنم يوم الحساب». «إذا تابت سوف يغفر لها الله».

«تتوب؟ السيدة إسلام؟» غاصت راضية في حقيبتها وخرجت بمنديل ورق. دسته بين الإبهام والسبابة وموجته وهي تنثني إصبعها الصغير، في الهواء. «عندما كنت فتاة لم يكن أحد يجرؤ على الدفع بتلك الاتهامات! أفضل عائلة في تنجالي، ألا تعرفين أن الجميع ينحنون أمامنا؟».

لم تستطع نازنين أن تتكلم. كانت تحملق في صديقتها. راحت راضية تحدق بطرف عينيها حول الغرفة. ثم دب فيها النشاط. لم تستطع أمينة أن تدفع القسط الأخير. إذا لم تدفعه المرة المقبلة بجانب الفائدة الإضافية كعقوبة، سوف يكسر الأولاد ذراعها. أي نوع من التوبة سوف يتقبلها الله على هذا؟ «من يعرف بهذا؟».

هزت راضية كتفيها الكبيرتين. بعض الناس. ربما ناس كثير. إنهم جميعا منافقون. هذا هو الأمر الخاص بجالييتنا. الجميع يغرقون، يفرقون ويجرعون الماء.

عند سماع الكلمات الإنجليزية اشرب المرهق - الذي كان مرتخيا في كرسيه مثل بالون - إلى أعلى بعض الشيء وبدد نصف نظرة على راضية.

قالت راضية «إنك تسمعين كل أنواع الأشياء عن الأبناء، ولكن بالنسبة إلى كل ما أعرفه فإن تلك الأشياء ليست سوى إشاعة».

أدار الولد رأسه على ساق عنقه المليئة بالبثرات وأسند ظهره إلى الخلف. نظرت إليه أمه كأنما يمثل هذا القشة التي قصمت ظهر البعير وشرعت تبكي خلف ظاهري يدها. قالت راضية «حان الوقت لي للذهاب، ثمة شيء سوف أفعله قبل أن أجمع الأطفال».

«قبلهم لي. وبلغني سلامي لأهل المجمع السكني».

«حسنًا سوف أقوم بهذا».

«لغتك الإنجليزية تتحسن. بلغني سلامي إلى سيدة الوشم».

«شكرا، غير أن سيدة الوشم قد رحلت».

كان هذا يمكن تصديقه بصعوبة، حتى تتبع الأخبار غير المستساغة الخاصة بالسيدة إسلام، التي يجب أنها قد جعلت كل شيء يبدو ممكنا.

قالت راضية «ذهبت إلى مؤسسة»، «راحت تربت على صدغها». في نهاية الأمر كانت تجلس وحدها... أنت تعرفين. قالت نازنين «أوه».

«كان يجب أن يدركها شخص ما على الفور. فدائمًا كانت تجلس هناك في النافذة مثل تمثال مطلي. هل ثمة أحد لم يره؟».

أحضر شانو لها مسبحتها. أمسكت الكريات وراحت تمررها. قالت سبحان الله في سرها. سبحان الله. سبحان الله. سبحان الله. عندما تجاوزت الثلاثة والثلاثين تعثرت أصابعها في الخرزة الكبيرة الفاصلة. تنفست من أعماقها وانطلقت مجددا. الحمد لله. فكرت. حقا. ولكن ألم يكن يريدني أن أعود إلى ابني الآن؟ راحت أصابعها تتسابق إلى التاسعة والتسعين.

لم يكن ثمة فرصة كي تؤدي صلواتها بالطريقة المعتادة. لقد أبدت أعذارها الخاصة. الآن كانت تسدي الشكر. كان الله وحده هو الذي أنقذ الطفل. كان عمله هو، إرادته، ليست إرادتها هي. إن إرادتها على الرغم من أنها كانت ممثلة مثل نهر جامونا^(٢٧) وتتدفق مثل سد متفجر فإنها لم تمثل شيئاً بالنسبة إلى إرادته. بدأت الدورة من جديد، ضاغطة على الكرات الخشبية الملساء بثبات. سبحان الله. الحمد لله. الله أكبر. أسقطت المسبحة فتدحرجت تحت المدفأة بعيداً عن المتناول.

بوساطة غسالة أطباق ذات مقبض كبير استعاروها من ساحة المطبخ دفعت المسبحة إلى الخارج ونفضت عنها الغبار. ربما سيكون من الأفضل أن يأخذها شانو إلى البيت، حيث تكون آمنة. على أي حال فالتكرار برمته يجعلها تشعر بالخدر في الوقت الذي تحتاج أن تكون فيه يقظة. سيكون من الأفضل لو أعادها إلى البيت.

عندما تصلي من الآن فصاعداً سيكون بطريقة أخرى وأفضل. لقد أدركت ببعض الدهشة، بينما قد انحنت وفردت نفسها وتلت الكلمات أنها لم تكن قط مشغولة بها كلية. في الصلاة كانت تتشد أن تخدر نفسها مثل سكير بزجاجة، مثل ذبابة أمام مصباح. لم تكن هذه هي الطريقة الصحيحة للصلاة. لم تكن الطريقة الصحيحة لتلاوة السور. لم تكن الطريقة الصحيحة للعيش.

(٢٧) جامونا: الجزء الأدنى من نهر براهماپوترا المعروف بفيضاناته المدمرة - المترجم.

لقد أرادت أن تصنع فراغا قاحلا في داخلها. لتمنع الاستياء وآلام البطن والمطالب المتطرفة من التفاقم، لتمنعها من أن تقيم موطننا. كان الأمر يشبه علاج حالة دودة شريطية بالجوع. ممكن تماما ومهلك لا محالة.

في اليوم الثامن، في الخارج بالرواق. قامت بتصنيفاتها الصامتة. المريض. الآباء. أقارب غير مباشرين. صديق. طبيب. ممرضة. عامل. المرضى الراشدون كانوا سلسين. كانوا هم الأشخاص ذوي الشباشب والابتسامات المرتجلة غير المناسبة. كانوا بيتسمون ليظهروا انه ليس ثمة ما يقلقون بشأنه وأنهم أنفسهم ليسوا قلقين وأنهم كانوا يستمتعون بهذه الجولة المقوية الخاصة بممرات المرض. كانوا وهم يمرون في دهاليز عنابر الأطفال بيتسمون، لاسيما أنه يصعب تمييز معرفتهم إلى أي مدى كانوا محظوظين. الآباء كانوا أيضا محظوظين. كل تصور قائم قد خطر لهم، وعيونهم وشفاهم استولت عليها الصدمة. الأسوأ في هذا كم صارت تصوراتهم ضحلة. أما الآخرون من الأقارب والأصدقاء فكانوا أحيانا يصعب التمييز بينهم باستثناء أن الأقارب يسرون بخفة أكثر بينما الأصدقاء يتحملون عبء التهريج وجلب البهجة والدبايب الكبيرة واللعب المتحدثة. أما الأطباء فكانوا يرتدون سلطتهم على معاطفهم البيضاء في خطواتهم السريعة الناهية الحاسمة. أوقفني الآن، ولسوف تضع حياة شخص ما في خطر. الممرضات كن يوزعن إيماءات وابتسامات مشجعة ومختصرة تثير في الآباء نظرة من التوقع، كأنهن تذكرن شيئا ما يقلنه، كان على طرف ألسنتهن وراح

ثانية. أما عمال المستشفى فكانوا ثلة مغايرة. إنهم يتجهمون وينحنون إلى الأمام، ويهرعون مثل الأطباء، ويدندنون بنوع رائع من الموسيقى المضادة، يتصايحون بجمل غير كاملة ثم يهوون في الصمت فجأة.

كانت غرفة رقيب تتظف. انتظرت بالخارج وراحت تهتم بشانو. لقد ذهب شانو إلى العمل هذا الصباح. المرة الأولى خلال أسبوع. هنا كان يعدو قدما. منعطفا في زاوية قائمة كي يمرر نقالة ويتحرك من الجانب مثل أبو جلمبو كبير منزوع القشر. جاء بجانبها واستند إلى المدفأة. إذا كان هناك سطح صلب في مجال الرؤية سوف يستند إليه شانو. قال: الإجهاد العقلي، ذلك هو التمرين الحقيقي. ليس هناك أصعب من العمل العقلي.

أخبرته «إنهم ينظفون فقط، لن يستغرق الأمر كثيرا». قال «آه». ضغط على شفته السفلى. أطلقها وشرع يضغط بأسنانه على الشفة العليا.

انتظرت أن يتكلم من جديد وطفقت منزعجة عندما لم يفعل. لقد أصبحت معتادة أن يملأ لغوه الفراغ بينهما. بدأت هي «السيدة إسلام»، ثم سحبت نفسا. «يغرقون يغرقون ويشربون ماء». إذن لقد كان يعرف. «بعض الأشياء يجب أن تتوقف». «لو تابت بحق...».

«كفى يعني كفى» لف شانو نفسه إلى الأمام وواجهها مستقيما مثل شجرة مستوية.

«يجب أن أخبرهم».

«من؟».

«أقاربي. يجب عليهم أن يعرفوا. فلنكن واضحين. أوقفي

النفاق».

«أقاربك؟ لماذا يجب أن يعرفوا؟».

ابتسم شانو. صنع خداه الممثلان غمازتين. تنقلت عيناه هنا وهناك بحثا عن مسلك للهروب من هذا الوجه غير المناسب. راح يشرح كما لو كان لطفل. «كل هذا الوقت اعتقدوا أنني أصبحت غنيا. لماذا يجب عليّ أن أظل هنا في هذه الأرض الغريبة لو لم تكن تجعلني غنيا؟ تركتهم يعتقدون ذلك. كان يناسبهم ويناسبني. في واقع الأمر قلت لهم أشياء ليست حقيقية، ولم تكن قطة حقيقية. جعلت من نفسي رجلا كبيرا. وهأنذا لست سوى رجل ضئيل، لكن هناك... ..».. اختفت الابتسامة». يمكنني أن أكون رجلا. رجلا كبيرا. هكذا حدث الأمر. تنهد ووضع يده فوق بطنه. لذا عندما تأتي خطابات الاستجداء وألقي باللائمة يمنة ويسرة، ما يجب أن ألقي باللائمة عليه هو هذا، هنا «رفع يده فوق صدره ليبين كيف خانته قلبه وكبرياؤه».

يغرقون يغرقون ويشربون ماء. عندما كان كل شخص في القرية يصوم شهرا طويلا، عندما لا يكون هناك حنطة، ولا قطرة ماء تمر بين شفاه ظامئة لأي رجل أو امرأة أو طفل فوق العاشرة سليم، عندما كانت الشمس أسخن من قدر الطهي والغروب كان مجرد أمنية محمومة، كان المنافق يهبط إلى البحيرة ويغمر رأسه ليغوص ويغطس، ليشرب ثم يغوص إلى الأسفل قليلا.

قالت «كلا، ليست مسألة لوم».

«إذن مسألة فعل. انتهى الكلام. من الآن فصاعداً، سوف أفعل». تتحنج، إلى حد ما مثل شانو القديم المتكلم. «شيء آخر يجب أن أقوله لك. لقد استقلت اليوم». «استقلت. ماذا تعني؟».

«ماذا أعني؟ هل أنت ضد ذلك؟ ألم أحذرك مرارا وتكرارا من نيتي؟ حذرت دالولي وحذرتك أيضا». «فقد فعلتها إذن».

كان هناك بعض الوجوه المندهشة. يمكنني أن أقول لك. لكن وجهه هو بدا مباغتا ومهاجما من قبل الداكويتس^(٢٨). كل هذا الفعل كان له ضربيته. راح يعض ثانية على شفته وظهر شق وقد تلطخ بقليل من الأحمر». سوف أخلي مكتبي في الصباح». «يمكنهم أن يستثوك على الفور؟».

سعل وتحنج، وخشيت نازنين أن يبصق على الأرضية. بلع ريقه. «بالطبع لا. لكنني عندما أقرر أن أفعل شيئا فسوف أفعله. سأكون هكذا. من الآن فصاعداً».

هز رأسه ورمش على مهل ليظهر أنه ليس ثمة تراجع. «لو من تاب؟».

«ماذا تقولين؟».

«أنت قلت لو بحق تابت».

«لا أعتقد ذلك». جاء عامل يدفع دلوا مع ممسحة. راح يصفر بصوت عال ولكن ليس عاليا إلى درجة أن يغطي بؤسه.

(٢٨) داكويتس: عصابة من قاطعي الطرق المسلحين، ذاع صيتها بالماضي في شبه القارة الهندية - المترجم.

«أعتقد أنهم انتهوا من غرفته. فلنذهب». رفع عامل التنظيف أحد شدقي فمه بينما كانت تمر وصنع ضوضاء مفادها أنه حقا لا يعلم أي شيء أصبح عليه العالم عندما يكون هو الشخص الذي عليه أن يقف هناك بدلو وممسحة بينما كل الآخرين يستمتعون بأنفسهم.

التفتت لترى شانو وهو يمشي خلفها، رأسه يدور، وعيناه تتفحصان عبثا، الأقدام تتخبط في الدلو، وعامل التنظيف - مدعوما بممسحته - كان يهز رأسه بالطريقة المبجلة لرجل حقه مهضوم.

كان رقيب مستيقظا. قال «باه» ما يكفي من هذا اللغو. رفع يديه أمام وجهه ونظر إليهما بعبوس. صنع منهما كماشة، اختبرهما من أجل القوة والمرونة وكان راضيا. ثم أطلقهما. أدار رأسه جانبا. راحت نازنين تهدل بينما كان ينظر إليها. دغدغت ظاهر عنقه حيث تشابك الشعر، ناعما مثل الكشمير. بإصبع صغيرة راحت تحك في لثته المنتفخة، كانت تسعد بأن تعضها أسنانه الصغيرة اللؤلؤية. قريبا سوف يعودون إلى البيت وسوف يتهادى حول غرفة الجلوس كما لو كانت سطح سفينة متشبثا بها، كأن الرياح الخفية نقلته من الأريكة إلى الكرسي إلى الطاولة وأعادته إليها ثانية.

«سوف أشتري موسوعة لأجلك» انحنى شانو على ابنه ولمس رجله «سوف أشتريها لنفسي قبل أن تبدأ تسأل أسئلة صعبة كثيرة».

«سوف أذهب إلى البيت غدا. أعد كل شيء».

«يا له من ذكي للغاية. هذا الولد. شاهدي هذا في حجم الرأس».

«الموسوعة غالية».

«ليست غالية جدا على هذا الولد. دعينا نسمه استثمارا. كل الكتب عبارة عن استثمارات. ألا يمكنك أن تري أي طالب نجيب سوف يصبح؟» شرع يدندن ثم بدأ فجأة في أغنية.

«نحن القدرة، نحن القوة

فرقة الطلبة التي نمثلها

تحت الليل شديد الحلكة ندور في الخارج

حفاة عبر الطريق

ذي العوائق المنتشرة. الأرض القاسية

نشكل الحمرة بدمنا القرمزي...»

توقف، «حسنا حسنا. ليست هناك حاجة للتجهم. كنا نتغنى بذلك في جامعة دكا. إنها أغنية محترمة». واصل الغناء مدننا هذه المرة. نام الطفل. توجهت نازنين بطاقتها نحوه وجلست ساكنة تماما. جلس شانو مع كتابه. فكرت نازنين أن تسأل ماذا سيفعلون من أجل النقود. أي وظيفة سوف يحصل عليها الآن. شاهدته يخلع حذاءه وجوربه. انحنى ليفحص الأجزاء المتصلبة في قدمه، معتصرا كل واحدة تباعا، وقال «اش» في سره. بضع لحظات استولى الكتاب على انتباهه من جديد، ثم راح يدندن لوهلة وينقر بأصابعه، جلس ناظرا إلى الهواء، ترك الحذاء والجورب ونسيهما.

وضعت يدها على جبهة رقيب لمجرد الإحساس به. لتمنحه القوة. على الرغم من أن الله وحده بالطبع هو الذي يمنح القوة.

مهما كان الذي فعلته فالله وحده قرر. الله يعلم كل شيء. يعرف عدد الشعرات في رأسك، لا تتس. قالت أما ذلك عندما كانوا يذهبون إلى المدرسة. كانت تصيح خلفهم بصوتها المخنوق. «الله يراك لا تتس. يعرف عدد الشعرات في رأسك». فكرت في ذلك. كلا، كل ذلك الذي فعلته من أجل رقيب لا يمثل شيئاً. لقد قرر الله. فكرت في حكاية كيف تركت لقدرك. انظري! ليس ثمة فرق. لم تفعل أما شيئاً لإنقاذها... وقد عاشت. كان الأمر في يد الله. صدر رقيب يعلو ويهبط. تحرك ومرر رياحا أثرت فيها بشدة.

في لحظة كانت حانقة. أما لم تقم بشيء لإنقاذ ابنها! لو لم تحضر نازنين (لم تأخذ دور زوجها في الاعتبار) الرضيع إلى المستشفى على الفور، كان سيموت. قال الأطباء هذا. لم يكن كذبا. هل راحت تهيم بلا جدوى في المنزل تولول وتفرك يديها؟ هل لفتت الانتباه إلى ورطتها بتهديدات طويلة وبكاء مخبأ بتيها؟ هل دعت الله في ورع أن يأخذ ما سيأخذه ويتركها خاوية الوفاض؟ هل تصرفت باختصار مثل أمها؟

شيء آخر كانت أما مخطئة فيه. ولادة طفل تشبهه عسر الهضم! حقا، لو يعض الثعبان مثل النملة. فهو بالضبط الشيء نفسه. ليس ثمة شيء مغاير. لا عجب، اعتقدت ذلك وصدمت نفسها به، لا عجب أن أبا خرج لمدة أيام. تدفقت الدموع منه. جعلته غاضبا. حتى في الجنازة كان غاضبا. عندما أنزلها، الأرجل أولاً، تلطخت ملاءة الكفن البيضاء بالفعل بالطين، بينما تسارع المطر ليملأ الحفرة. تركها تمضي بسرعة. تماسك خالي

وأوقفها من التدرج على ظهرها . ضرب آبا كفا بكف . ضوء
أزرق شق السماء الحجرية عندما بدأت الصلاة، أخذ الرعد
الكلمات من شفتي الإمام، وراح المطر يملأ الأسماع والأبصار
والأفواه .

قالت ممتاز « اذهب والعبا، سوف أدخلكما لثرياها عندما
أنتهي». فرت حسينة ولكن نازنين بقيت . قالت نازنين «حسنا
اجعلي من نفسك نافعة . أنت امرأة الآن، على أي حال». أعطت
نازنين الطبق النحاسي لتمسكه، بينما غمرت قماشة وعصرتها .
أنزلت القماشة وراحت تغسل وجه أما، الجبهة، الخدين
الخافقين، الذقن، فوق الجفون، داخل الأذن، داخل فتحتي
الأنف . خبطت يدها على شفتها العليا والشفة ظلت مجمدة
ومرتفعة كاشفة إلى الأبد عن اثنتين من الأسنان التي تشبه
بذور البطيخ والتي كانت أما شديدة الحرص طوال حياتها أن
تخفيها . ارتفعت الملاءة . استدارت إلى ابنة أخيها «لا أدري ماذا
كانت أمك ستقول بخصوص هذا» .

قالت نازنين «القدر» وراح ظاهر عنقها يوخزها .

نظرت ممتاز إليها «بخصوص وجودك هنا» .

«أوه» أصبح ظاهر عنقها يتحرق .

«على أي حال أنت امرأة الآن». تحت الملاءة بدأت تغسل
الجزء العلوي من الجسد . أخرجت الذراع ومررت القماشة
عليها . لا يجب أن تحسبي أنها ماتت بمفردها .
أيتها الملائكة، تمت لو وجدت مجالا للدموع . بدا الأمر خطأ .
لم يكن أحد يبكي . لقد فقدت القرية أفضل نواحة فيها .

«الملائكة كانت معها والله. بالطبع قد تلف الساري. أفضل ساري لديها. الباقي يمكنك أن تقتسميه مع حسينة». راحت تغسل الجذع. عندما ارتفعت الملاءة، رأت نازنين ثدي أمها يندلع على إبطها. ثمة خرقة بنية بها دماء كانت تسد الثقب الذي إلى اليسار تماما.

عندما غمرت ممتاز القماشة في الوعاء طفت قليل من القشور الدموية وتجمعت حول الحواف.

ذهبت نازنين لتغيير الماء. عندما دلقت الوعاء لم يكن بوسعها سوى التفكير في أنه عار أن تدلق جزءا من أمها.

تذكرت ممتاز «كانت دائما تقول إن كل شيء يمكن أن يتغير هكذا». طرقت أصابعها. لقد وضع الله خطه. قلت لها، أختاه، ولكن إلى أن يبينها يمكننا أن نستمر بأنفسنا، حسنا... مصممت شفاهها. الآن أصبحت الخطئة واضحة. لقد أتت وذهبت. بفا!

كانت مستاءة من شيء ما. وقفت نازنين منتصبة، آملة أن تبدو مهيبة كما كانت تحاول أن تشعر. في الحقيقة، أحست بالضجر ساعتها والغثيان لدى رؤيتها الجثة.

انتهت ممتاز بالقدم اليسرى (كم هي صفراء الأظافر!) وبدأت في التكفين. كشفت النصف الأسفل لآما، ورغما عن نفسها نظرت نازنين إلى هذا العري غير المسبوق. التف مئزر حول فخذيها من أعلى وردفيها. قماشة أخرى ربطت أولا الوسط. مئزر آخر كان بمنزلة شورت، ولباس مستو والتالي أصبح نقابا. قالت ممتاز «أوه، الشعر». أزاحت النقاب وبدأت

تلف شعرها، جالسة القرفصاء خلف التشوكي ومخرجة لسانها في تركيز. عندها بدأ المطر. أنذر خلال الأسابيع القليلة الماضية بسماء مكهربة وهواء ساخن جدا كان يومض بعيدا عن المتناول ويلفح أنوف هؤلاء الشجعان بما يكفي لكي يتنفسوا، كان المطر يقابل بالبهجة. كان ينقر على سطح الصفيح، يطرق الأرض ويتواثب في ابتهاج، ويقذف بكتل كبيرة في الداخل. بينما تحمل الوعاء، شاهدت نازنين الأطفال عندما كانوا يهرعون إلى الخارج للاستحمام. راحوا يصرخون ويرفرفون بقمصانهم المبللة ويدعون شعرهم. الكبار كانوا يسيرون الهوينى متظاهرين بقلّة الاهتمام، كأن الساعة المخصصة لجولتهم العادية حول المجمع قد حانت. سار آبا عبر الساحة فتفرق الأطفال، ساحبين بعضهم بعضا إلى الوراء أمام هذه الطلعة الجبارة المتقلبة. مد يده وربت على رأس ميلول لطفل صغير. ابتسم وبدأ الأطفال في الحركة من جديد. وجدت نازنين أخيرا دموعها وصبتها على ملاءة التكفين الشاملة التي كان مقدرًا لآما أن ترتديها.

سارت برقبة متخشبة. كان المستشفى هادئا. الغرفة مظلمة اللهم إلا من وميض الآلات. شانو لم يكن في كرسيه ورضية كانت تقف على الجانب الآخر من سرير الطفل؟ شعرها منكوش، والعينان ثقبان ضيقان. يداها الهزيلتان إلى وجهها، تعض على نواجذها.

صاحت نازنين «ما الأمر؟».

وضعت راضية إصبعها على شفيتها. «شش، لا توقظيه».

«ما الأمر؟» في همسة هذه المرة.

قالت راضية بينما تتحني على السرير «جميل جدا، أفضل بكثير عند هذه السن، عندما لا يردون بوقاحة. طفلاي في حاجة إلى لسع جيد بالسياط». صوتها كان متكسرا، لكن عينيها البعيدتين قدر المستطاع ظلتا جافتين.
«هل تريدني شايا».

«شاي؟ لن أشرب مزيدا من الشاي. طوال اليوم كان هناك شرب شاي». هزت نفسها لتتخلص من الفكرة.
«تعالني واجلسي معي».

توجهت راضية وجلست. ضغطت على صدرها وحكت أنفها الطويل. ارتطمت فردتا حذائها معا. قالت في النهاية « لقد مات».

قالت نازنين بحماقة «ماذا تقصدين؟».

«زوجي مات. العمل قتله».

اعتقدت نازنين أن الاهتياج هو الذي قتله.

«في السلخانة. كانوا بصدد شحن السيارة، لكن كانت هناك حادثة».

حاولت نازنين أن تجد الكلمات.

«قتل بالذبايح الهاوية. كان فقط وحده بضع لحظات وعندما عادوا إلى الداخل كان تحت البقر. سبع عشرة بقرة مجمدة. جميعها فوقه». نظرت إلى نازنين. التوى فمها. «هكذا انتهى الأمر». وأردفت «والمسجد حتى لم يبن».
«الأطفال...».

«عند السيدة إسلام». هزت كتفيها بعض الشيء. «قدم ناس. صنعوا شايًا، أحدثوا نحيبًا وأشياء من هذا القبيل. قلت لهم أريد أن أكون بمفردي. ولكن عندما انصرفوا، لم أرد أن أكون بمفردي مع... أنت تعرفين. ظللت أفكر في هذه البقر. لذا جئت إلى هنا». أمسكت نازنين يدها وراحت تدلكها بوصة بوصة لتزيل قليلاً من الألم، لتمتص شيئاً لنفسها. راحت الآلات تتزجر برضا والشاشات تستنفد رقصها اللانهائي. في مكان ما خلف الجدران ثمة امرأة تصيح في توجع غامض. الأرضية المعقمة كانت تبدو رتيبة من تحت أقدامهما وتبعث رائحة الأسى المحايد». تأوهت راضية «يمكنني أن أحصل على تلك الوظيفة الآن. ليس ثمة جزار ليذبحني الآن».

سارت إلى غرفة المعتوه. علامات الجنون في كل مكان. الأثاث المحطم تكوم عالياً، تناثر، اختلط. الأوراق والكتب تبعثرت في حرية - بطريقة ماجنة - فوق عتبة النافذة، الطاومات، الأرضية. الأبسطة المزعجة من كل لون، صممت بطريقة غير مباشرة لتريك العين وتوقف القلب. خزانة الزاوية وخزانة العرض المطلية بالحلويات. ورق الحائط الأصفر المصفوف من أعلى ومن أسفل بمربعات ودوائر. خليط الإطارات التي تجاهد بحثاً عن فراغ على الحوائط. ثمة شخص مهتاج شد أطباقاً بسلك إلى هذه الحوائط نفسها؛ لذا كان يبدو أن الخزف يحاول الهروب.

كم أصبحت بسرعة معتادة على المستشفى. أدركت مع تهيدة، كم ستصبح معتادة على هذه الغرفة من جديد. اختبرت أقرب كرسي. لم تتذكر هذا. لكي تصل إلى النهاية البعيدة للحجرة

كان عليها أن تعبر فوق الطاولة المنخفضة ذات السطح الزجاجي والأرجل البرتقالية. الكرسي الخيزران قد أزيلت قاعدته. ثمة خيطا شعر مفردان انسحبا محلولين عبر الهوة.

إلى الجانب تقرر كرة من الخيط الملفوف وكماشة. إذن لقد بدأ العمل الخاص بتجديد الكراسي. رفعت الكماشة معتقدة أنه من الخطر أن تترك في المكان مع عودة رقيب عاجلا. رفعت ثلاثة أقلام ودفتر ملاحظات وكوبا صينيا، ثم أنزلتها ثانية لتلتقط حفاظة شاردة ونصف بسكويتة وعلبة كوكا فارغة استخدمها رقيب مثل طبلية. فلنكن منظمين، فكرت في ذلك، ووضعت كل شيء على الأرضية. تأخذ حماما أولا ثم تخلي مكانا في أدراج المكتب. ثم ترتب أشياء على الفور. لو عجلت سوف يكون هناك وقت لتمر على راضية. قال شانو هذه هي المأساة. الرجل يعمل كالحمار. لكنه لا يقوم قط بانطلاقه. ففي قلبه لا يغادر قريته قط. هنا، بدا شانو يبرز صوته. ماذا يمكنك أن تفعل؟ رجل غير متعلم كهذا. هذه هي مأساة المهاجر.

جاءت هانوفا على الباب قبل أن تذهب نازنين إلى الحمام. قالت «كنت أشاهدك، لقد أحضرت بعض الطعام». أخذت نازنين الأوعية. زوجي كان يطهو. قالت هانوفا «أعرف، لكنني لا أعرف ماذا أحضر غير ذلك».

غسلت نازنين نفسها بقطعة من صابون البيرز وغسلت شعرها بالفيري ليكويد وعندما انتهت رشت بين أصابع القدم بودرة التلك. في غرفة النوم، وقفت في تنورتها التحتية والتشولي^(٢٩).

(٢٩) تشولي: بلوزة تلبس تحت الساري - المترجم.

وتطلعت إلى سارياتها . ضلّفات الدولاب تلامس جانب السرير، صانعة غرفة أخرى بجدران سوداء داخل حجرة . بنطال لشانو ملقى في أرضية الدولاب . بنطلون آخر يتدلى على كرسي مدسوس تحت الملابس المعلقة . رفعته، خلعت تنورتها، ولبسته . وحتى ترى نفسها كان عليها أن تقف على السرير وتنظر إلى مرآة التسريحة ذات الحواف المجعدة . عندئذ لم تستطع أن ترى سوى ساقها، وتقوست وانثت لتحاول أن تحظى بانطباع عن كل ذلك . خلعت البنطال ولبست من جديد تنورتها وسحبته إلى أعلى لكي تتوقف عند الركبتين . تخيلت نفسها وهي تسير فوق ملاءة السرير تهز حقيبة يد مثل البنات البيضاء . سحبته التنورة إلى أعلى وتأمّلت ساقها في المرآة . سارت باتجاه مقدمة السرير وهي تدير جذعها لتلتقط رؤية خلفية . لمحة من بنطال . بالقرب من الحائط وعيناها إلى المرآة، رفعت إحدى ساقها عاليا على قدر استطاعتها . أغمضت عينيها وانزلت . هراء . تذبذبت ساقها . فتحت عينيها وأعجبت بساقها السمراء المشوكة . ببطء سحبته الساق اليسرى إلى أعلى ووضعته الكعب على باطن فخذهما الأيسر . حاولت أن تدور لكنها تشابكت في مفرش السرير، ثم وقعت على الملاءة تقهقهة .

في هذا الوقت راحت تفكر، أين الضرر؟ تدرجت لتلف نفسها في مفارش السرير وقررت أن تطفو طليقة لوهلة . لم يخطر شيء على بالها . راحت تحرق في السقف . تذكرت أن تجهز قبعته . سوف يحتاج إلى ذلك من أجل الرحلة إلى الوطن . ثم لا شيء . الثلاجة تحتاج إلى تنظيف . مزيد من ورق الحمام .

صنعت السرير. تكتب إلى حسينة. ذلك أفضل. تغسل بعض الملابس قبل أن تزداد كومة الملابس. كلا، كلا، كلا. شدت الأغطية فوق رأسها. قالت بصوت عال « ice e-skating تورفيل ودين^(٣٠)». ما زال ليس هناك شيء. تركت السرير ولبست بسرعة. ثم وجدت قلما وورقة وكتابا لتسند عليه وجلست على حافة الفراش.

أختي العزيزة، بدأت ولاكت طرف القلم.

أنا بخير وزوجي كذلك. كان رقيب مريضا ولكنه أفضل الآن. لاكت طرف القلم أكثر. كانت فكرة الكتابة مبهجة على الدوام، غير أن العملية كانت مؤلمة. مهما كانت الأشياء الكثيرة التي تفكر فيها كي تقولها، مهما كانت الكلمات التي تنساب في رأسها بينما تقوم بواجباتها المنزلية، وعلى الرغم من العاطفة التي تتزايد وتعتلج بينما تتشكل حبكة الرواية فإن البوح لا مناص كان مختصرا وواضحا، شيء متواضع محبط مثل محصول قد أخفق. راحت تكتب:

أخذناه إلى المستشفى، كنت حزينة جدا، ثم فجأة أصبحت سعيدة، حتى قبل أن يتحسن. في القريب أحضره إلى المنزل. أعادت قراءته ثم كمشت الورقة. راحت تكتب في ورقة جديدة:

أختي العزيزة، أتمنى أن تكوني بخير. شكرا على خطابك. رقيب كان مريضا لكن أحسن الآن. أخذناه إلى المستشفى. شيء غريب حدث. جلست بجانبه وأحسست بالسعادة. لست سعيدة

(٣٠) المقصود الثنائي جين تروفيل وشريكها كريستوفر دين وهما من رموز التزلج على الجليد في إنجلترا، حيث فازا في الأولمبياد الشتوية بالميدالية الذهبية سنة ١٩٨٤ والفضية سنة ١٩٩٤ - المترجم.

من أجل كونه مريضا. ولكن سعيدة بخصوص شيء ما في أعماقي. لقد ترك شانو وظيفته. هو بخير. أتمنى أن تكوني بخير. راجعت أسلوب الكتابة ثم حذف الجملة الأخيرة حيث كررت نفسها. غيرت جملة «ولكن أحسن الآن» إلى «ولكنه الآن أحسن». ثم حذف الجزء الخاص بكونها سعيدة. راحت تلوك طرف القلم.

سيكون عليها أن تفسر باهتمام أكثر. حاولت أن تأخذ ذلك في الاعتبار. ما الذي جعلها سعيدة هكذا؟ رسمت وجهها وجعلته يبتسم. لقد كافحت من أجله. أضفت جسدا كعود الثقاب. غير متقبلة. محارية. رسمت زهرة وأعطتها ساقا طويلة. القدر! مسألة قدر. طائر. حاولت رسم طائر ولكنه بدا أكثر مثل مشجب معطف. أحرك قلبي. بهذه الطريقة. وتلك. بدأت في رسم فيل وحولت الأرجل الخلفية إلى حصان. ليس من أحد آخر هنا. ليس من أحد آخر يحرك هذا القلم. الآن راحت تكتب من جديد.

أختي العزيزة. أتمنى أن يكون كل شيء على ما يرام معك. الطفل كان مريضا، ولكننا نتوقع أن نحضره إلى البيت قريبا. لقد ترك شانو وظيفته. لست قلقة، وعليك ألا تقلقي. عندما يعود الطفل إلى البيت سوف أكتب لك ثانية. خطاب طويل في المرة المقبلة. أدعو الله أن تكوني بأمان.

رتبت الشقة وحاولت أن تصنع بعض الفراغ في حجرة الاستقبال بتكديس الأثاث. حالما انتهت من التكديس استحثت الركاب وشاهدته يتأرجح. لذا بدأت تخفف من التكديس. عملت

بسرعة وتدرجت بصوت عال طالبة من كمساري الحافلة تذكرة. فجأة خطرت على بالها، فكرت أنها قتلت زوج راضية. كان رقيب هو المقصود أن يموت. ولكنها أجبرت الموت على الابتعاد. اضطر الموت أن يختار من جديد. صاحت «ابتعد عني! ابتعد عني! ارجع إلى الجحيم، حيث تنتمي». بهذه الكلمات أبعدت الجني الذي رقص رقصة موجزة ومغليظة داخل الحجرة وداخل رأسها.

في الوقت الذي وصلت فيه إلى الساحة نسيت أمر الجني. كانت الشمس في الخارج ومألوفة الآن غير أنها مازالت من دون اسم، أظهرت الشجرة في الركن براعم خضراء شاحبة. العشب، شامخا على الرغم من المتاعب، كان يحاول نموا جديدا. ورائحة روث كلب تتطلق بخفة على الحصى المقطرنة للأسفلت الأسود. والخرسانة قد غطيت والحصى المقطرنة لها رائحة المطاط ورائحة عادم السيارات، فبدد رائحة فضلات الكلب، حتى عندما اجتازت نازنين الفوضى. شعرت بالشمس على وجهها وكان شعورا طيبا، كانت تود أن تشعر بها على ساقها. عندما مرت بمجموعة من الشباب البنغال في الممر، تفرقوا وانحنوا في رسمية ساخرة. أحدهم ظل منتصبا، رأت نظرتة، متحديا أو ناكرا. صبي آخر خر على ركبتيه. أوه، أوه. إنني أحتضر. إنها تحطم قلبي! سحبت نازنين شالها على وجهها لتخفي شفيتها اللتين انتفضتا إلى أعلى عند الزوايا وانفرجتا ثم انتفضتا من جديد.

مستشفى، مستشفى، مستشفى. أصبحت لديها كلمة إنجليزية جديدة. داعبتها على طول الطريق إلى أسفل الممر. لم يسمعها شانو وهي تدخل، أو أنه سمعها ولكن لم يلتفت. وضعت يدها

على كتفه، واندeshشت كعادتها، كم كانت كتفه نحيلة. ثمة بقعة صغيرة كانت أعلى رأسه، نقطة صغيرة غاضبة بين الحشيشة النحيلة للشعر. لم يتطلع. عندها رأّت سرير الطفل الخالي. رقيب أخذه لمزيد من الاختبارات. قالت نازنين «مات» قال شانو «لقد مات» ثم تطلع إليها. برزت بطنه إلى الأمام تحت قميصه. «لا تقلقي. لن يستغرقوا كثيرا. سوف يعيدونه إلينا على الفور».

رمش شانو. بدت عيناه محاصرتين أكثر من أي وقت.
«هل ستغسلينه؟ لا أعتقد أنني أستطيع أن أغسله».
«كنت دائما أمنحه حماماته». ذهبت نازنين لتجلس.

كانت الغرفة أكثر هدوءا من المعتاد. هدوء ارتفع بطريقة ما فوق الصخب الخافت للمستشفى. أطفئت الآلات، ذلك ما كان.
قالت نازنين « حمام بالليفة، ذلك ما كنت أفعله».

تدلى رأس شانو إلى الأمام. لم يتكلم. رجل الأفعال لم يكن يتكلم. ولم يكن أيضا يفعل. شاهدت نازنين الأكواب البلاستيكية بجوار الحوض، المناشف والملابس تشير الفوضى على السرير المطوي حيث كانت وشانو يتبادلان النوم. وثبت نازنين. «يجب أن تنصب هذا».

تأوه شانو «يا إلهي يا إلهي، اتركه».

قالت «رجل الأفعال» وتذكرت بقشعريرة كلمات راضية: رجل
قوالب الطوب

«إنه حتى لم يبرد بعد! ابنك لم يبرد بعد. اللعنة لا ترتبي
المكان».

«ابني؟» الآن، وحتى الآن كانت ترفض.

راح شانو يعصر عينيه، وانحدر بعض الماء على خديه لذا كان يبدو أنه ينتزع الدموع.

«يجب أن نمضي ونتسلمه. إنهم لا يعيدونه هنا.»

إنهم لا يعيدونه هنا. كانت لاتزال تحمل الأكواب البلاستيك.

التقطت آخر ووضعتة في أشياءها في كومتها.

«قالوا إنهم سوف يحررون الجثة بسرعة. قالوا إنهم يعرفون أننا مسلمون. يعرفون، قالوا إنهم يعرفون أننا نحب أن ندفن موتانا بسرعة.»

كم نحب أن ندفن موتانا بسرعة. شرعت تطوي الملابس. شدت خيطا ضالا من قميص داخلي، نزعت وبرا من معطف. وصل شانو إليها وأمسك ذراعيها. خلص أصابعها عن معطف رقيب. وحتى يجعلها تجلس اضطر أن يدفعها إلى السرير. تركته يأخذ يدها في يده.

أجل سوف تقوم بتغسيه. لقد جاءت به إلى العالم ولسوف تخرجه. لقد رأت رضعا يدفنون. في القرية. كثيرا ما كان الرضع يدفنون. يمكنها أن تتذكر الجنازات، جنازة أو اثنتين لأولاد العم الذين جاءوا إلى العالم وغادروه ثانية على الفور كأنهم تجولوا في حجرة سبيل بالخطأ، اعتذروا وعادوا. رزم صغيرة بيضاء طقطقت في حفرة وغطت بالأوراق أو العلب، حتى لا توسخهم التربة، وهكذا يخرجون نظيفين كما دخلوا. تذكرت عملية الدفن، أما عن المدفون فلم تتذكر شيئا.

الفصل السابع

أبيض

دكا، بنجلاديش

مايو ١٩٨٨

وهبك الله الراحة يا أختاه في ساعاتك المظلمة. إنني أدعو
بدعاء النور لك:

اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا وفي سمعي نورا
وعن يميني نورا وعن شمالي نورا ومن أمامي نورا ومن ورائي نورا
ومن فوقي نورا ومن تحتي نورا. اللهم يا عالم خفايا الصدور
أخرجني من الظلمات إلى النور. أدعو لك ولزوجك الحبيب^(٣١).

حسينة

سبتمبر ١٩٨٨

أختاه لدي شيء كثير لأخبرك به. لدي عنوان جديد في
نارايانانانج^(٣٢)، وظيفة في مصنع جديد إنني عاملة ماكينة،
وظيفة امرأة بحق الآن.

قال السيد شودهري أن أحزم حقائبي ولا أقلق. قال «عمارة
بوكا، غرفة أكبر». هو يحضر في سيارة تويوتا لاند كروزر تكييف
هواء راديو مطفاة للسجائر وكل شيء. هو بمنزلة أب بالنسبة
إليّ. دائما يقول «أي شيء تحتاجينه. أي وقت تواجهين مشاكل.
تعالى إليّ». هذه نوعية رجل.

عندما أتينا ثمة مشكلة بسيطة إلى حد ما. السكان السابقون لم
يعزّلوا. المرأة تقوم ببعض السباب أمام الأطفال، تلفظ كلمات بذيئة.

(٣١) خطابات حسينة كلها ذات إنجليزية ركيكة استوجب معها ظهور مستوى آخر من اللغة في
الترجمة العربية.

(٣٢) نارايانانانج: مدينة في وسط بنجلاديش بالقرب من دكا - المترجم.

رجال السيد شوهري ساعدوا من أجل أن يرحلوا . ساعتها أنظف
الحجرة. هؤلاء الناس سكان سيئون لم يدفعوا أبدا بنسا واحدا.
الإيجار يكلف مزيدا من التاكات لكنه غرفة أكبر ومنطقة محترمة.
بناية مثل تلك تكون ببلكون طويل وواطئ في الأمام وآخر في
الخلف. وراءنا أسرة ولدان وثلاث فتيات. عندهم اثنين حجرة. صلاة
الفجر الثانية أخذ السجادة أسمعههم يبدأون الجدل السعيد. الأب
يمر بي معظم الأيام في الطريق إلى العمل. علبة تيفن^(٣٣) مربوطة
على ظهره والابن الصغير يجلس على مقود الدراجة يبدو أنيقا
مثل أي شيء في أزياء المدرسة ويدق الجرس طوال الطريق. الأب
موظف في محكمة المقاطعة. تلك هي نوعية الجيرة. لدينا أرضية
خرسانية ناعمة جدا والجدران سوف تغطى بالجبس من الداخل
قريبا. حجرتي بها جدار واحد شبه مغطى بالجبس بالفعل.

كل الحجرة الأخرى على امتداد المؤخرة مملوءة من رجال
مصنع الخيش. ثلاثة أربعة في غرفة واحدة. إنهم يطبخون معا
في النهاية البعيدة للبلكون وأحتفظ بمنطقة خاصة. يقول
السيد شوهري إذا ضايقوك تعالي إلي. سوف أكسر أيادي
وأرجلا. لا يضايقني أحد. أربعة خمسة رجال في كل حجرة
ولكن لا يوجد فوضى على الإطلاق. نصف البلكون له سور.
النصف الآخر سرق. السيد شوهري أخبرني سرا أنه يعتقد أن
السكان السابقين أحرقوه من أجل الوقود. عمال الخيش يضعون
الغسيل في الأعلى. كله نظيف جدا. المآزر، القمصان الداخلية،
بيجامة، بنطال برجل واحدة وقميص تحفظ معا.

(٣٣) تيفن: وجبة غداء خفيفة - المترجم.

خطوط السكة الحديد تمر بالبناية. كم هو سهل بالنسبة إلى السفر. عمال الخيش يسمعون القطارات قادمة يقفزون من البلكون ويهرولون بموازة أشجار جوز الهند وينزلون إلى الضفة منزلقين ويلقون بأجسادهم داخل القطار. دائماً يعلقون في مكان ما بمقبض نتوء باب السلم شيئاً ما. هذه هي الطريقة التي يذهبون بها إلى الطاحونة.

اليوم ثمة إضراب من جديد. بعض الرجال هنا يتأرجحون في أرجوحات شبكية يمضغون القدر ويبصقون. الأغلبية يذهبون إلى التجمهر. يقول السيد شودهري إن كل هؤلاء المضربين كسالى جداً ولا يصنعون سوى الإجازات. غير أن كل الأشياء تغلق أبوابها في يوم الإضراب لذا أكتب كل شيء يأتي على بالي. لديه الكثير يقوله عن المضربين السيد شودهري. لكنه رجل عادل. يقول إن القادة جميعهم سيئون على الشاكلة نفسها. المديرون القضاة، الساسة، اتحادات تجارة، القوات المسلحة الجميع أصبحوا سيئين. عندما يحصل على عقد حكومي لا بد أن يضيف السيد شودهري نسبة خمسة وعشرين بالمائة لتغطية نفقات الدفع للوزير والخدمة المدنية. لقد أمد أجزاء كهربية لشبكة القوى. كذلك يصنع حمامات السيراميك والحوض. فقط تخيلي! لو يضع الكهرباء والحوض في هذه البناية! ربما عندما تنتهي الحوائط من تغطيتها بالجبس.

ليس ثمة نهاية للفساد. إن هذا يجعله حزينا كلية في الواقع الحقيقي. تعرفين أن لديه وحمة فوق العين اليسرى والخافق. إنها تغدو حمراء مثل جرح جديد عندما يتحدث

عن تلك الأشياء . كذلك تدفعه لحكها . عندها يبدأ في لف عصاه الفعل الوحيد عندما يكون منزعجا . لديه الآن عصا جديدة . العاج في طرفها ومقبض يشبه مخلب طائر ، ومم هي مصنوعة ؟ المقبض إذا كان باستطاعتك أن تصدقي أو لم يكن باستطاعتك من الذهب . يبدو رجلا نبيلًا بهذه العصا .

القصة التي قالها هي أن أحد الأصدقاء رشا محصل ضرائب لتسلم استمارة ضرائب . من دون رشوة سوف يسجن . كيف تدفع ضرائب من غير استمارة أولاً ؟ السيد شودهري نفسه يرشو شركة التلفزيونات للحصول على الفاتورة . ليس كافيا أن تدفع للتلفونات ، هذه الاستمارة تمثل تكلفة إضافية . حتى الرئيس يبدو أنه سقط في الأساليب الملتوية . صورته إنها فوق الحائط في حجرتي . أعتقد أن أحتفظ بتلك الصورة فوق حائط ، إلى حد ما تضي جمالا . غير أن السيد شودهري صاح مثل أي شيء «إرشاد^(٣٤) ! أنت جوندا^(٣٥)!» ثم وضعها على الأرض وداس عليها وكسر زجاجها .

احتفظت بالإطار ربما أستخدمه فيما بعد .

الجامعة أيضا تقوم بإضراب . جميع الطلاب يتظاهرون . إنهم يتجمهرون من أجل حق الغش . في قلبي أدمهم . البعض الذين يتحملون الدفع للأساتذة لدروس خصوصية يشترتون ورقة الامتحان . من أجل العدالة يجب أن يقصد الجميع غشا مكافئا .

(٣٤) إرشاد : المقصود محمد إرشاد رئيس بنجلاديش من سنة ١٩٨٣ إلى ١٩٩٠ - المترجم .

(٣٥) جوندا : عامية شائعة في جنوب آسيا تعني : سفاح - المترجم .

إنني أنتظر خطاباتك. أمتلئ بالسعادة لوظيفة زوجك الجديدة. بالفعل إنه يتحدث عن الترقية. رجال كثيرين يستغرقون سنوات طويلة. أرسل هذا الحب، يصل العالم بأسره من أجلك. حفظك الله ووهبك مزيدا من الأولاد.

نوفمبر ١٩٨٨

أختي العزيزة يا لها من غرفة جميلة تعيشين فيها! أخيرا رأيتها بعد طلب كل السنوات العديدة. وضعت الصورة أعلى قفص بجوار صورة رقيب. عندما أحظى بزجاج أفكر أن أضعهما داخل البرواز. أنت لا تتحدثين قط عن دولاب العرض، خزانة الزاوية، ورق الحائط. إن جميعها عادي بالنسبة إليك الآن مثل أي شيء. كل يوم أفكر أن أختي أنا هناك بخزانة عرض وخزانة زاوية وكل شيء. ثمة قلق بسيط فقط، ذراعاك نحيلتان ووجهك أيضا. غير أن زينب تقول إنها موضوعة في لندن أن تكوني نحيلة. زينب أم تعيش وراءنا. إنها تقول «هذه البناية سوف تتهدم. انظري كم هي قريبة من خط السكة الحديد». تقول إن السيد شودهري يوبخ بالإيجار وبسرعة يرحلون. أقول لها إن عامل الجبس في الطريق غير أنها مصممت صانعة صوتا كالصغير. ليست امرأة ودودة هكذا. فقط الكلمات التي تلفظها عبارة عن شكوى. زوجها يعمل في محكمة المقاطعة، تعتقد أنها القاضي وهيئة المحلفين الآن. زينب تتحدث كما تشاء.

قلت لك عن مصنع الملابس. مجرد نصف ساعة مشيا من هنا وهو مكان جميل. الساعة الثامنة ميعاد البدء. لابد أن يأتي

الجميع قبل ذلك ببضع دقائق وفي الثامنة بالضبط يفتحون البوابة.

إذا حضرت متأخرة فهذه مشكلة لأنهم يغلقون البوابة بعد ذلك لتوفير الأمان. إن لها ثلاث غرف حول الساحة جميعها خرسانة صلبة جديدة. أحد الأماكن مخصص للماكنة. إنني أذهب هناك. مكان آخر مخصص للقص والتشطيب. الرجال يذهبون هناك. ثمة غرفة صغيرة مخصصة للمدير والعمل المكتبي وما إلى ذلك.

ماكينتي جديدة جدا قلما أجرؤ على لمسها وتلويثها بأصابعي. عندما أجلس وأشغلها تعرفني، بالنسبة إلى مبتدئ توخز الإبهام. إنها تقرقر مثل قط فقط بالنسبة إلي. شخص ما آخر يستخدمها عندها تبدي حالة وتدرك كل الملابس وتقطع الخيوط. تقول عليّة إذا كانت الأشجار لديها أرواح فلم لا تكون الماكنة. تقول شاهناز إن عليّة ريفية ساذجة وليس سلفا لأشجار وصخور العبادة. لا تقول ذلك أمام عليّة. طيبة جدا ولطيفة شاهناز هذه.

إنني عاملة ماكنة والأمور مختلفة الآن. عندما كنت مساعدة أتنقل بالخيوط والقماش كنت مجرد فتاة. حتى على الرغم من أنني أعتقد أنني امرأة قبل ذلك بفترة طويلة. نحن جميعا نتحدث معا في استراحة الغذاء. أربع في صفي نلتصق كأخت. عليّة وشاهناز ورينو وأنا. حدثتكن عنهن أخواتي الأخريات. عليّة لديها خمسة أطفال قادمة من نوخالي^(٣٦). طوال حياتنا نعتقد

(٣٦) نوخالي: مقاطعة في جنوب شرق بنجلاديش - المترجم.

أن النوخاليين لا يستحسون أبدا لذا يبدو أن لهم رائحة التوت لكنني أعطي وعدي بأن عليّة ليست لها رائحة. النقود التي تكتسبها ترسل بها أولادها إلى المدرسة. الزوج يثير لها المتاعب ولكن عليّة تفكر في الأولاد فقط وليس الزوج. الزوج يقول «لماذا يجب أن تعلمي؟ إذا عملت سيبدو الأمر سيئا. سيقول الناس إنه لا يستطيع أن يطعمها» ولكن عليّة تظل تسقط الأمنيات في الأرز. مزقة من ملح مزقة مما تريد وفي نهاية المطاف يستسلم. يشتري لها البركا وكل يوم يسير معها إلى المصنع. وفي المساء يكون في انتظارها عند البوابة.

شاهناز أكبر مني سنة أو سنتين واستمرت في المدرسة فترة طويلة. معظم اليوم تتحدث عن الزواج. الوالدان انتقيا سبعة أو ثمانية أولاد لكن شاهناز ترفضهم جميعا. وهي لا تقبل الهبة «لماذا نمنح هبة؟ إنني لست عبئا. أنا أكسب نقودا. إنني الهبة» لقد أصبحنا قريبين. إنها تبين لي كيف تستعمل مستحضرات تجميلها وتعلمني كيف تجعل الحاجبين أقل قبحا عن طريق إزالة الشعر. إنها تجرب بعض الروج على خدي لكنها تمسحه. إن لوني غير مناسب للروج. إنه يجعله يبدو رخيصا.

أكبرنا هي رينو أرملة زوجها عند الخامسة عشرة لرجل عجوز مات خلال ثلاثة شهور. رجعت إلى أبيها وفي وقت قصير طردها. لقد عملت طوال حياتها ولكنها الشخص الذي لا يرغب في هذا. وعلى الرغم من أنه ليس لديها إلا سنين فإنها تأكل كل شيء على الإطلاق. لثة قوية تقول «أستطيع أن أكسر صخورا بهذه اللثة». كل غداء تمضغ بذور التنبول. إنه ممنوع ولكن رينو لا

تلقي بالا. أسأل لو تتزوج ثانية». من سيتزوج هذه العظام «تشيح بيديها ولكن ليس ثمة عظام مظهرة الأساور من المعصم حتى الكوع». حياتي! حياتي! انتهت عند الخامسة عشرة. ربما أيضا أكون هندوسية. قبره كان كبيرا بما يكفي لاثنين. لماذا لم أقفز فيه؟ «إنها تبصق أيضا غير مبالية بأن البصق ممنوع. إنها تقول ليس ثمة أحد يحميني. علي أن أسير هنا وهناك دائما بمفردتي. أي شخص له أن يقول أي شيء يشاءه لأنني امرأة وحيدة. لقد وضعت هنا على الأرض لكي أعاني. هذا كل ما في الأمر. إنني جدا أتعاطف معها. ففي حياتها لم تحظ بحب. هذا خطأ كبير.

ولكن أحيانا تذكرني بآما وعندئذ لا بد أن أجد سببا للابتعاد عنها.

من المخجل أن وظيفة زوجك ليست كما يتوقع. رجل مهارة مثله يجد وظيفة أخرى بسرعة على الفور مطلقا.

يناير ١٩٨٩

أختاه كثيرا جدا ما أقرأ خطاباتك لقد بليت الورقة. كم هو قصير هذا الخطاب لقد حفظت معظمه عن ظهر قلب. الخطاب الأخير يبدأ بالكاد ثم ينتهي. إنك مغتمة. أشعر بذلك. أفكر وأفكر ماذا علي أن أفعل. تقولين إن الصديقة تحصل على عمل خياطة. لماذا لا تحصلين أنت الأخرى على هذه الخياطة؟ تنتظرين وقتا مناسباً لتطلبي من زوجك. بعدما يجد عملا لنفسه سيكون سعيدا أن تعمل الزوجة أيضا.

العمل يشبه العلاج. البعض يجدونه سبة أقصد رينو. ولكنني لا أجده. الخياطة نزجي اليوم وأنا أجلس مع الأصدقاء. باعتبارها حقيقة واقعية إنها تجلب أصدقاء حقيقيين وحباً حقيقياً. زواج الحب ربما يفضل أن نسميه شيئاً آخر غير الحب. في الزواج الفعلي ينمو رويدا رويدا. عادة. الجلوس معا. يعطون شيئاً هنا وشيئاً هناك. هذه هي الطريقة التي يأتي بها في العمل.

بعض الناس يثيرون المتاعب خارج المصنع. إنهم يصيحون لنا «هيا تعالين يا فتيات المشغل. اخترن الشخص الذي تحبونه». ثمّة ملا ينظم كل الأشياء برمتها. ليل نهار يذيعون رسالة دينية بمكبر الصوت. يقولون إنه شيء آثم للرجال والنساء أن يعملوا معا. لكنهم هم الأشخاص الأثمون يستغلون اسم الله للإلقاء الاتهامات إلينا ويقولون كذبا. زوج عليّة يصبح منزعجا مثل أي شيء. يريد أن تلبس عليّة البركا داخل المصنع. شاهناز تقول لم القلق لا أحد يريد أن ينظر إلى وجه القرد. إنها تتضايق فقط وحريرة ألا تدع عليّة تسمع.

الرجال والنساء يظلون منفصلين هنا. ليس ثمّة رجال يعملون بالماكينّة. الرجال لا يستطيعون أن يجلسوا هادئين طويلا. يجب أن يتلملوا ويتكلموا ويتمشوا هنا وهناك وهم يدخلون. إنهم يصنعون الموديلات ويقصون القماش، هذا عمل صعب. إنهم أيضا يقومون بالكيّ. ذلك عمل صعب للغاية بالنسبة إلى امرأة نحن لا نفهم الكهرباء. هكذا ترين طبيعة الأمر وإذا كان لا بد أن نتكلم فإنه كأخ وأخت... عبدول مقص دار دائما يناديني بأخت. كل يوم لديه قميص جديد.

شاهناز تقول إنني أرثدي لون ساري غير مناسب. أنا شاحبة جدا على أن ألبس الأحمر أو الأزرق أو القرنفلي. القرنفلي أكثر سوءا. البني أو الأخضر يناسب أكثر. إنه برمته يعتمد على درجة لون البشرة لأنه على شاهناز القرنفلي جميل جدا. إنني أقضي وقتا قليلا في اللبس. شاهناز تقول تعرفين كيف يتحدث الناس. إذا لبست لونا فاتحا يقولون إنك تطلبين منهم أن ينظروا.

زوجة القضاة تستكمل الأمر. بالأمس تقول «الأفضل أن تأخذني بالك. دعي عمال الخيش يكتشفون أن ثمة فتاة مشغل هنا وعندئذ سيكون هناك مشاكل». أسألها لماذا، أي نوع من المشاكل؟ «حسنا سوف يقولون إن فتاة تتنقل هكذا. وعندها يكتشفون أنها عاملة مشغل، هل تريدان أن آخذ عصا وأسحبها هنا في التراب لأجلك؟» لذا أخبرها أن النقاء في الذهن. اجعلي نفسك نقية في الذهن ولسوف يحميك الله. أطبق أصابعي وأصنع قبضة. أظل مطبقة أصابعي هكذا لا تستطيعين أن تفتحي يدي هل تستطيعين؟ قلت لها هذا. حتى لو حاولت سوف يستغرق الأمر كثيرا جدا ليس جديرا لأجلك. نفس الشيء حشمتي. إنني أحتفظ بالبردة في الذهن ليس ثمة أحد يستطيع أن يأخذها. ساعتها انتهت المحاكمة وزوجة القاضي وحدها كانت تبدو مذبذبة.

ثمة وقت إضافي الأسبوع القادم. طلبية كبيرة تأتي من اليابان. رينو فقدت الوقت الإضافي. فلقد اقتصرت أخطاء في هذا الأسبوع أتلفت بعض القمصان فوضعت الياقات بطريقة

خاطئة. شخص ما وشى بها بخصوص مضغ التببول أيضا. قالت عليّة إنها شاهناز ولكنها تنكر. شاهناز تقول ينتهي الأمر برينو إلى تكسير الصخور. «يفضل أن تزيد من قوة هذه اللثة وتستعد». شاهناز هذه الساخرة. كم نصح قريبين.

تكسير الصخور ترين هذا الأمر ليس دعابة. أحيانا أسلك الطريق المنخفض بجوار خط السكة الحديد للعمل. بضع دقائق هادئة، منزل جميل أشجار، جوز الهند، زهر المانوليا البري. ثم ترين مكسري الصخور. طوال اليوم يجلسون القرفصاء فوق صخور حمراء بمطرقة حجرية صغيرة. كومة هائلة جدا في انتظار هذه المطارق الصغيرة. مثلما تأخذين ملعقة صغيرة لإفراغ بحيرة. الأغلبية نساء ويبدون جائعات. الأطفال يساعدون. أطفال ذوو بطون ممتلئة وما زالوا يضحكون يدقون يكسرون يضحكون. معظم الأيام أسير في الطريق الخلفي إنه أطول ولا يوجد به أزهار لكنني أحبه أكثر.

مارس ١٩٨٩

لقد سمع الله الدعوات! ما هو تاريخ الولادة؟ الآن سوف يبذل الزوج قصارى جهده لإيجاد عمل وإن شاء الله يستمر في الدراسة أيضا.

الطقس حار مثل أي شيء، الأوراق تتساقط. حتى شجرة جوز الهند تبدو ساخنة. أفكر في جوربيور، إنها لم تكن حارة هكذا في القرية. لا يوجد هنا سوى شجر قليل، ليس ثمة ظل، الطرق تنصهر.

في لندن هل الطرق تنصهر؟ عليّة لها ابن عم لنندي. تقول لي إن الناس في لندن ليس لديهم إله. ألتزم الصمت عندما تقول. هي امرأة لطيفة غير أنها من ناخالي.

السيد شوهري يأتي ليجمع الإيجار يأخذ فقط ما بحوزتي ولا يضايقني من أجل البقية. إنه يحضر كرسيًا في خلفية سيارة التويوتا لاند كروزر. ثمّة ساكن آخر رحل. أصنع الشاي ويدخل هو الحجرة متفقدًا الحائط. يجلس على الكرسي، ثمّة بعض الألم يتسرب في وجهه وتصبح الوحمة بيضاء بيضاء. أسأله ماذا هنالك يا عمي؟ «ألست أبا بالنسبة إليك؟» أوافق على ذلك. «إذن لم لا تنادينني بأبي؟» هكذا يريدني أن أناديه. ثم يتحدث عن الأولاد. لقد سافروا للدراسة في أمريكا هذا يجعله في غاية الفخر. «لكنني لو حظيت بابنة جميلة مثلك تدلك قدمي سوف أكون رجلا سعيدا».

لقد تماثلت زوجة القاضي. إنها تتحدث واليدان تحلقان حولها في كل اتجاه. بالفعل تبدو ان مثل سرب بني من سبعة طيور.

تقول «كان هذا المكان عبارة عن مؤسسة محترمة والآن يملأه هذا الرجل بكل الحيوانات الوضيعة ويتهريون من الإيجار. أعرف لعبته. إنه يسعى إلى عمل إخطار بالإخلاء لنا لأننا سكان محترمون. وهو يريد مزيدا من الفراغ من أجل حيواته الوضيعة». إنها تصبح بالعل مهتاجة. «زوجي يعمل لدى محكمة المقاطعة. دعيه يحاول الإخطار

بالإخلاء. دعيه يحاول. سوف نقلب الإخطار عليه». تقول بعد كل هذا يرحلون بالإضافة إلى أن البنانية تتهدم. تقول خذي بالك سوف أعطيك نصيحة أم. اليوم أنا ابنة كل شخص.

إضافة إلى أنها ليست بالفعل زوجة قضاة. السيد شودهري على معرفة فعلا ببعض الرتب الكبيرة. أخبرك بشيء ما. الأسبوع الماضي كان الرئيس إرشاد في نادي الجولف مضطجعا بجوار حمام السباحة بصحبة صديقة له. الصديقة زوجة وزير! مضطجعين على هذا النحو وجاءت زوجة الرئيس وألقت نفسها على صديقتة وبدأت مشاجرة غيرة. الرئيس يحاول أن يفرق هاتين الاثنتين لكنه تلقى ضربة في رأسه. في الوقت الحالي الرئيس في المستشفى والصديقة في أرض أجنبية يحظيان بغرزة في الوجه معا والزوجة مازالت تشطاط غضبا وقامت بواجب للصديقة حصلت على عقد عمل هدية. كل هذه الأشياء في الواقع الفعلي الحقيقي. ليس ثمة أحد يناديهم في الشارع. كم من السهل أن تنادي فتاة مشغل. زينب تقول إن مائة وخمسين فتاة في مصنع واحد يحملن. هذا نوع الكلام الذي يتقوله الناس. ماذا سيمنعهم؟

يوليو ١٩٨٩

أختاه أتمنى أن تكوني بخير ومستقرة. نحن جميعا نطفو مثل البط، الوقت الوحيد الذي أصبح جافة فيه هو في المصنع. الماء ينفذ خلال السطح في المنزل. كذلك ينفذ من

خلال الجدران. عندما تنتهي التغطية بالجبس لن يتمكن المطر من النفاذ إلى الداخل. أشتري طاولة صغيرة أصنع طاقما بكرسي. إنها الآن جميعها يتشظى والشيء في كل مكان محطم. أضعه في البلكون للشمس لكنها تجعله فقط سيئا. حسين واحد من عمال الخيش يقول إنه يصلحه على الفور. هو أصفر مثل اللادو^(٣٧) والذراعان ترتعشان طوال الوقت لكنه رجل لطيف.

الوقت الإضافي ينتهي بالمصنع. أعتقد في هذا الشهر لدي ما يكفي للإيجار. ثمة تصميم جديد للعمل في الأسبوع القادم. عبدول يعرض الموديلات. شاهناز قلقة فهو ينظر إلى بطريقة مريبة. يبدو أنه كان ينظر إلى شاهناز لكنها بسرعة ذكاء أخزته. أعتقد أنه لا يقصد أي شيء سيئ. إنه يبدو بعض الشيء مضحكا، السبب يرجع فقط إلى النظارة التي تنزلق على أنفه وهو يلقي نظرة إلى أعلى. شاهناز تقول إن أي رجل يحمل عطرا كثيرا هكذا يحب النفس كثيرا أيضا. ولكن النبي (عليه السلام) علمنا أن ننظف ونهتم بالأجساد التي لدينا. شاهناز تقلق علي. هذا كل ما هنالك.

لكن اليوم التالي تنصح من جديد بمستحضرات التجميل. إنها ماهرة في مستحضرات التجميل. لقد لاحظت أن شفتي وريدتان بشدة وكبيرتان جدا. أناس الاحتجاج الديني خارج البوابات يفتشون عن كل المدنسين هكذا. وضع بودرة على الشفتين تجعلهما تختفيان قليلا.

(٣٧) لادو: نوع من الحلو يقلى ويشكل على هيئة كرات - المترجم.

النار الكبيرة التي يضرمها زوجها في الساحة تبدو جميلة،
كل أطفال القرية يتحلقون حولها. لماذا يشعل الكراسي؟ أليس
هناك خشب آخر؟

أغسطس ١٩٨٩

أفكر أحيانا في أما كثيرا أيضا. إنها لا تأتي في الأحلام
كما تأتي لك. لم هل تعتقدن أنها غاضبة؟ أحيانا أشعر
بالغضب منها. ليس لديها سبب يغضبها مني أو منك يا
أختاه. هل تتذكرين كيف اعتاد آبا أن يناديها؟ «وليّة» لقد
انحدرت من عائلة أولياء. لقد ذهب إلى امرأة أخرى. أراد
أن يتخذ زوجة أخرى لكنها هددت بأن تقتل نفسها. زوجي
أخبرني. الجميع يعرفون ذلك سوانا. الدموع سوف تأتي
لكنني أقول الحقيقة.

زوج عليّة أعطاه «علقة». الشهر الماضي كانت أفضل عاملة
في المصنع وتأخذ علاوة. إنهم يعطونها ساريا وبسبب هذا الساري
تأخذ «علقة». القدم كلها كبيرة مثل الكوسا ويضعه أصابع مكسورة.
الانشاء إلى بطنها يثير المتاعب. رينو تقول على الأقل لديك زوج
ليعطيك «علقة ساخنة»، على الأقل لست بمفردك. الزوج يقول
إنه سوف يضربها مرتين كل يوم حتى تنطق باسم الرجل.

الضم ماكينه عليّة وأقضي وقت الغداء أساعد للحاق. رينو
تدخل الجميع في الحديث المضطرب في المقعد. إنها تلف خيطا
حول سن وتشد لتكسرهما ولكن بالأمس تقتلع سنا، ليس ثمة
أحد يسب بصوت عال هكذا داخل البناية.

إننا نمنح عليّة حبنا أفضل شيء يمكن أن نهبه. تقول شاهناز: الزوج يغدو غيورا وهو يسمع كل القيل والقال عن فتيات المشغل. رينو تقول: إن بضع فتيات فقط يفسدن الجميع. إنه مروع بالنسبة إلى شاهناز فربما يفسد فرصة الزواج. هي تقول: «إنها لا تعلم أنني امرأة متزوجة. أقول لهم إنني أرملة، إنني يتيمة. أنا أيضا أحجل من أن أقول الحقيقة. ساعتها لن أعرف مثل أخت. كيف أستطيع أن أقول كل شيء الآن.

أختاه إنه شيء سيئ أكتبه عن أما. فقط كلام جاحد عن قتلها لنفسها. ليس ثمة حب لأمي ليس ثمة امرأة تعرف رينا تتحدث هكذا. أحرقني الخطاب وأبعديه عن رأسك.

اليوم ثمة إضراب آخر. أجلس بالداخل هنا، الرجال في البلكون. يضعون مالا معا ويشترون طاقم كراسي. ولكن ليس من أحد يوافق القواعد. ستة، سبعة يلعبون في ذات الوقت إنه يحدث شجارا بسيطا. ليس هناك شيء خطير. القطارات لا تسير اليوم من دون هذه الألعاب إنها هادئة جدا في الخارج. أسرة القضاة ذهبت من أجل حفل زفاف. هذه الأسرة تحدث جلبة أكثر من كل الحيوانات الوضيعة معا. وقت الصباح يبدأ الجدل. وقت المساء يكفون عن الجدل ويبدأون الحرب. كل أصيص وطبق مكسور. إنني أجمع أوراق الموز لهم.

يأتي السيد شوهري ثانية للإيجار. وثانية يأخذ بضع تاكات أقل بلا تبرم. إنه زاهد إضافة إلى كونه رجل أعمال أيضا. اكتشف أنه يسمح لي أن آخذ الغرفة رخيصة، يهتم بي. مهتم جدا بي. «هؤلاء الأولاد كالشمع بالقرب من النار. إنهم يقتربون

ويذوبون. كيف يمكنهم أن يقاوموا ذلك الشيء. إنه أنت الذي يجب أن تأخذ بالك». إنه يخربش في الوحمة. يبدو بالفعل كأنها تنزف. يقول إن الولد يمكن أن يفكر في فكرة سيئة وعندها يحلمون بفتاة وفي الحلم يرتكبون خطيئة والخطيئة تجعلهم غير نظيفين. يمسك العصا ويديرها للخلف للحائط، بضع شظايا عاجية تتطاير منها. انظري سوف أكسر عشرة آلاف عصا على هؤلاء الأولاد. قولي كلمة واحدة وسأفعل هذا. يده ترتعش ووضعتها على خدي لامسني مثل أب.

أغسل قدميه وأدلكهما ويهدأ فقط يتأوه من وقت إلى آخر بسبب أن لديه ولدين بعيدا. فكرت فيك يا أختاه وأفكر فيك الآن. الزيت أصبح الآن منخفضا ويجب أن أوفر للغد. أقبلك وأطفئ الللمبة.

يناير ١٩٩٠

ليت الابنة تكون جميلة مثل الأم. ليمنح الله القوة والجمال والشجاعة. عمتو تبعث كل الحب. سلامي إلى زوجك. بارك الله دراسته وجعلها تعطي ثمرة.

إنني خارج الاستحسان بالمصنع. من أسبوع مضى تجنّبوني. أذهب لأجلس مع الأخريات من أجل وقت الغداء فسكّتوا. جلست على مبعدة ولم أنظر سوى لشاباتي. يرفعن أيديهن ويتها مسن. إنني لا أنظر ما زلت أرى. أجلس بالقرب من الصنبور. كل شخص يستخدمه بعد الأكل ودائما موحلة لا تجري قط لتصريفها. أقرب من البركة وتتذبذب ببيض الحشرة. البيض يفقس لا

أحب أن أكل قريبة هكذا، غير أن كل شخص لديه مكانه الخاص في الساحة. لا أحد يتحدث إليّ سوى عبدول. قلت لعلية عندما جاءت لتغسل يدها «أختاه كيف أستطيع أن أدافع عن نفسي؟ فأنا لا أعرف التهمة». بالنسبة إلى الرد تضع يديها قريبتين جدا تحت الماء المتدفق وترش على كتفي.

أنا حزينه غير أن الأمر سوف يمر. مجرد سوء فهم يتنقل. مجرد بقعة سيئة صغيرة. الأيام تمر بطيئة بطيئة تجعلني أبدو متعبة قليلا.

أبريل ١٩٩٠

أتحدث مع شاهناز. بعض القيل والقال يدور بخصوصي. تقول: «إن كل شخص يعرف عن أمر المالك، إنك تحصلين على إيجار رخيص أو ماذا؟».

أخبرتها أن السيد شوهري بمنزلة أب بالنسبة إلي. شاهناز سوف تصحح الأمر بسرعة وبذكاء. النساء يصغين إليها. فقط الشهر الماضي كانت تقول حلقة الأنف تظهر بالفعل القروية الساذجة.

يونيو ١٩٩٠

أخي عبدول يسير معي إلى المنزل. الأناس المتظاهرون أصبحوا بلا خطر لكنه يقول: إنه من الأفضل أن يسير معي. خارج البوابة يضع نظارته في جيب القميص. من دونها يكون

مجرد طفل. إنه مرتب ونظيف وطيب. القميص لا يخفق قط خارج البنطلون.

شيء بسيط يحدث اليوم. طلبت من خالدة مقصا وناولته وطرهه الحاد مفتوح ويوخزني في يدي. صدر مني صوت صرخة مجرد اندهاشة، الجميع يرفعون أيديهم ويخفون ابتسامة. أخرج وأبكي بالفعل. تجيء رينو إليّ وتقول لا عليك فهؤلاء الفتيات يعتقدن أنهن فاكهة ناضجة. لا أريد أن تقتربي من واحدة سيئة لأنهن يعرفن كيف بسرعة يفسدن أنفسهن. تقصد أنني الفتاة السيئة. أشرح كل شيء لكنها تشد على سنتها فقط. «إننا ننتظر ونعاني. ذلك سبب وجودنا هنا».

أنا لا أنتظر هنا وهناك لأعاني باستمرار. دعيها تعاني لو أحببت ذلك.

لا داعي للقلق من أجلي. إنني أحتفل بنجاح زوجك في شهادة المحاسبة. تقولين إنه في وقت ما يريد أن يبني منزلا في دكا. أختي أنتظر هذا اليوم. كيف تحدث الخطة؟

لا يحدث شيء سيئ في المصنع. فقط بعض السكوت من حولي. هذا كل ما هنالك. لا أبالي بهذا. أعمل في أثناء استراحة الغداء وفي نهاية الشهر سوف أحصل على علاوة. عبدول يأخذ باله مني، إنه رجل ذو دراسة كبيرة مثل زوجك. يوما ما يأتي المصنع برمته في مشورته. لديه العقل اللازم لذلك وهو يستطرد في التفاصيل. أعطيك مثالا. كل يوم يتناظر الجورب والحزام. الجورب البني للحزام البني والجورب الأسود للحزام الأسود. لو أردت أن تبرزني في الإدارة يجب أن تستطردني في التفاصيل

هكذا . هكذا يقول لي . قميص نظيف في كل يوم بالإضافة إلى ذلك أيضا .

هو يوصلني إلى البيت ونتحدث في أشياء كثيرة . إنه يعتني بي . السيد شودهري أيضا يعتني .

عبدول في الواقع الحقيقي يحبني . لو كان ممكنا لتزوجنا . غير أن عائلته تبحث عن فتاة بينما أنا لذي زوج في حولنا . لا أعرف . ربما يطلقني زوجي بعد وقت ما . هل ممكن أن تحسلي على الطلاق ولا أحد يحدثك عنه ؟

ثمة مزيد من المشاجرة اليوم في البيت . حسين أصبح لديه عنزتان وهما تاكلان وتغسلان . غسيل زينب فقط يحبانه . أي شيء تنقله تاكلانه . زوجة القاضي في حالة عصبية قديمة . تأتي وتصرخ في وجهه بالأمس . إنها تعطيه إنذارا ولكن حسين يضحك فقط ويفرد يديه محلقتين في المكان . يقول «هاتان العنزتان لديهما ذوق حسن لماذا تتدمرين ؟ كل هذا بسببنا إنهما لا تهينان غسيل شخص آخر جيد بما يكفي» . أفكر في تربية بعض الدجاج بنفسني .

يناير ١٩٩١

شيء ما حدث . حدث منذ شهر مضى ولكن أحيانا أفكر في ألا أخبرك .

لقد حاولت شاهناز بالفعل وحذرت . كنا ننتظر أن تفتح البوابة وتقول «هل تتذكرون ما قلته لك عن عبدول ؟» قلت نعم ولكنه مثل أخ بالنسبة إلي الآن . تبدو حزينة وتخبرني . «إنني

خائبة الرجاء. كل العون الذي قدمته لك. ولكنك قذفته إلى وجهي في المقابل». أحاول أن أتحدث إليها ولكنها تشيح بوجهها عني. أختاه أنا لا أريد أن أقذف بأي شيء. وكانت هذه كلماتي الأخيرة لها. لم أرها بعد ذلك.

على الفور مباشرة استدعيت إلى مكتب المدير. ثمة سببان لا ثالث لهما للذهاب إلى هناك الجراب وحالة الموت في الأسرة. الأسبوع الماضي استدعيت خالدة. ثمة حريق كان في منزلها. ثلاثة أولاد وبنت ماتوا. كل الأولاد والحماة أيضا. اضطروا أن يحملوا خالدة خارج المبنى.

أرى بضع مرات المدير يمشى هنا حول المكان. ثلاثة أو أربعة أطفال مع المدير يسيرون في الخلف يكتبون على الألواح. البشرة على الخدين جافة مثل أي شيء. شاهناز تسميها قشور السمك. «الجسد برمته يتعفن من تحت هذه البزة، بسرعة أمسكي أنفك». يشتم منه رائحة كاري رؤوس السمك. إنه لا يفاجئنا قط ولا يضبطنا نتحدث في المقعد. فشخص ما على الدوام يشتمه مسبقا.

دخلت المكتب بينما يقرأ. وقفت هناك أنتظر، يبدو الأمر أنه ساعة وساعة. ثم دخل عبدول وقف هناك ينظف النظارة أعتقد أنه جاء من أجل إنقاذ عملي. يضع المدير أوراقه ويقول «تعلمان سبب وجودكما هنا». قال عبدول نعم. قلت نعم بدوري. أعلم أنني هنا من أجل الجراب.

«لقد تصرفتما بطريقة فاسقة. لم تبتدئا أي اعتبار لسمعة المصنع. أنا لا أدير بيت دعارة. هل أبدا لكما مثل قائم على بيت

دعارة؟» كان ينظر إليّ. قلت كلا. لست قائما على بيت دعارة. عندئذ وقف. اخرجنا. لقد انتهيتما في شغل الملابس. كنت أقف وأشم الكريم على شعر عبدول والعطر الذي يضعه على خده وأعتقد أنني سأغيب عن الوعي. قال هيا. اخرجي. ولكن يجب أن أسأل ما الذي اقترفته؟ يقول «الفتى اعترف للجميع لا تقولي لي كذبتك الوقح. اذهبي قبل أن أضرب العار لك». أنظر إلى عبدول ولكنه لا ينظر إليّ. قميصه ملتصق بصدره أتذكر أنني لم أراه يعرق من قبل. لا يقول شيئا ثم خرجت. أنتظره خارج الباب ليأخذ جرابه أيضا ويمشي معي للبيت. سمعت المدير. «فتاة جميلة إيه؟ أنتم أيها الصبيان! يجب أن تحظوا ببعض التدريب قبل الزواج إيه؟» كان يضحك فقط هو يضحك وليس عبدول.

تتسلمين هذا الخطاب في هذا الوقت أحصل على وظيفة أخرى. السيد شوهري يعتني بي. لديه أشغال كثيرة. أرسل لك الحب كدأبي.

أوه الطفل يمشي! كم أحب أن أرى هذا، أرسلني صورة إذا كان لديك. زوجك محق السيد شوهري يعتني بي. أنا تحت حمايته لا ترسلي نقودا. إذا سمح لك الزوج بأن تفعلي ذلك فالتسوق بها جيد. يمكنك أن تخرجي. ولكن لا تخفي حسابات وترسلي نقودا إليّ. لديك زوج طيب. هذا يجعلني أكثر سعادة من أي شيء وأنا لست في حاجة.

منذ يومين مضيا جاء السيد شوهري هنا. طلب أن أمشط شعره. فعلت ذلك ودلكت الأقدام. ثمة توتر كثير في الأقدام ولكن

معي يقول إنه يستطيع أن يستريح. يقول لي إنه طوال اليوم الناس يتسلقون حوئي ينتظرون خارج المكتب يهرولون للحاق به يسرون خلفه وأمامه ويلوحون بأوراق. لا يستطيع أن يكون بمفرده لأنه طوال اليوم الناس يريدون شيئاً ما. وعلى الرغم من ذلك يشعر بالوحدة. إنه في الواقع الحقيقي وحيد بشدة. إنه لا يثق في أحد. الجميع يغشون. الزوجة ماتت منذ وقت طويل. الأولاد رحلوا. نصف النقود تضيع على الرشوة. حكومة جديدة قادمة، أناس جديدون يصطفون للرشوة.

هو يقول لي «أنت ابنتي. أحب أن أحضرك إلى منزلي. ولكن ماذا سيقول الناس؟ نحن لسنا مرتبطين. وأنا ليس لدي زوجة». ساعتها يتنهد وأدلك قدميه وعندما أنظر لأعلى ثمة دموع في عينيه. «لو جاءت فتاة إلى منزل رجل باعتبارها خادمة فليس هناك مشكلة. لا بد أن تأتي باعتبارها خادمة. أو زوجة. وعندئذ كله جيد».

أختاه هل يمكن للسيد شوهري أن يقصد أن يتخذني زوجة؟ إن الأمر يظل يدور في عقلي ولكنه شيء أحقق. هل هذا شيء أحقق؟ إنه غني ورجل ذو نفوذ، هو على معرفة بأناس ذوي رتب كبيرة. وأنا كابنة بالنسبة إليه. أقول لك؟ إنه يربي شاربه. إنه يبدو ملائماً مع عصاه. يبدو مثل سيد نبيل. ولاثق جداً بالنسبة إلى رجل في مثل سنه. إنه يؤمن بالتمارين. أحياناً يترك التويوتا لاند كروزر عند المنزل ويتمشى ولا يبالي هذا لا يحدث في دائرة الرتب الكبيرة. إنه ليس ذلك الرجل العجوز ربما في مثل سن زوجك.

كما ترين طبيعة الحال. السيد شودهري لا يسأل حتى عن الإيجار وأتكسب بعض النقود مقابل الطهي لعمال الخيش. أعد الفطور والعشاء ويعطونني حصة من أجل وجبتي وقليلًا من النقود أيضا.

ابتعت دجاجات وقد بدأت تبيض. عشر أو إحدى عشرة بيضة تحت البلكون كل صباح. في النهار الجو هادئ وأنا أتحدث إلى العنزتين. إنهما مربوطتان الآن والغسيل في مأمن. أشاهد القطارات تمر وأفكر في القطار الذي أقلني من حولنا. أفكر في الناس بهذه القطارات أين يذهبون ومن أين هم.

أحيانا أسمع جوقة الدراويش وأهرع للواجهة لكي أصغي إليهم وهم يغنون عن الحب أو أتحدث إلى زينب لقد أصبحت ودودة معي.

ابنها الأصغر قد رسب في الامتحان. الأب لم يجلبه كما ينبغي وإلا لكان تعلم. هي تقول «أي نوع من الآباء ذلك؟ كم مرة قلت له أن يجلبه كما ينبغي. إنني أبذل ما في وسعي ولكنني لست سوى امرأة». ثم قالت «قلت له أن يدفع أكثر للدروس الخصوصية. لم يصغ إلي. والآن لقد رسب الولد». عندئذ كان لديها فكرة. إنها تأتي إلي ويدها ترفرفان. تبدو مثل قطة فضزت في عش طائر. «المدرسون على خطأ ليس الآباء فقط. هؤلاء المدرسون يجب أن يكونوا مسؤولين. الطريقة الوحيدة لجعلهم مسؤولين هي أن نأخذ الصفقة برمتها إلى المحكمة. غدا أقدم بلاغا». المحكمة مزدحمة مثل أي شيء.

كل مرة أطهو الوجبة وأقدمها. أجلس على مبعدة قليلا وأكل. أصغي إلى الرجال وهم يتحدثون ويمزحون وأشاهد السماء. أنظر إلى القمر وأفكر في أنك يا أختاه تنظرين إلى القمر نفسه. ليس في وسعنا أن يري أحدهنا الآخر لكننا نراه وهكذا نرتبط.

عمال الخيش جميعهم يوفرون النقود. معظم الليل عبارة عن حساب للنقود. الكثير يرجع إلى القرية. إنهم يوفرون من أجل الزوجة والأطفال والوالدين.

القليل فقط يدخرونه لأنفسهم. لبداية عمل أو بناء منزل؟ أو اتخاذ زوجة. هؤلاء الأشخاص يدخرون بصرامة. الآخرون يشترون زيتا للشعر أو حلوى أو تذكرة للسينما. إنهم يدخنون كثيرا ويتناولون أوراق التبغ كثيرا. أيا كان ما يدخرونه فليس كافيا لذا ينفقون قليلا لينسوا قليلا. الشباب منهم لم يتعلموا وهم يدخرون بصعوبة أكثر.

ما زالوا يلعبون الشطرنج ولكن بعض القطع مفقودة، لن يكون هناك كثير من الشجار الآن. كذلك يروون القصص وكل شخص يحاول أن يقول الأفضل. بعضهم كان مزارع جيش قبل أن يفقد الأرض. هل تتذكرون عندما أخذنا آبا ذات مرة في قارب لنشاهد جني الخيش؟ الرجال يظلون أسفل طويلا، لا نستطيع أن نحبس أنفاسنا حتى يعودوا للسطح.

هؤلاء الأشخاص يقولون أضخم القصص. أحدهم قال لقد نزلت إحدى عشرة قدما لأقطع نبات الخيش والنزول التالي كان خمس عشرة قدما. الثالث لابد أن يغوص دائما خمسا وعشرين

قدما والرابع يهبط إلى ثلاثين ويصارع الديناصورات. أجلس على مبعدة وأصغي.

أحيانا يأتي حسين ويتحدث معي. إنه شديد الصفرة كأنه نفسه تحول إلى خيش. أخبره بما حدث في المصنع. قلت كل شيء. أخبرت السيد شودهري بأني قد فصلت بسبب أنه من السهل أن يغضب.

يقول حسين «أحيانا عندما يرى الناس شيئا جميلا يريدون أن يدمرونه. فالشيء يجعل الواحد منهم يبدو قبيحا لذا يتصرف على نحو قبيح». إنه يقصدني مقابل الشيء الجميل. ثم قال «أنا أيضا قبيح على أي حال. أي شيء جميل يأتي في طريقي يجعلني أضحك. ها! تعتقدين أن ذلك يجعلني أبدو سيئا؟ أنا بالفعل قبيح».

مايو ١٩٩١

كيف لي أن أكتب؟ ماذا أقول. أخته لقد جلبت العار إلى نفسي. أخفي هذا الخطاب عن زوجك.

أخبرك بما يحدث. إذا كتبت إلي حتى رغم أنك تعرفين ما اقترفته فليس ذلك لأنني أهدك حتى تعتقدي أنني شخص جيد.

مساء الثلاثاء جاء السيد شودهري إلى هنا. لا أتوقع أنه أتى الأسبوع الماضي. كنت أنام على سجادتي في ملابس داخلية وسمعت طرقة على الباب، صحت ورد ثم دق بعصاه. قلت له دقيقة حتى ألبس. لكنه ركل الباب وكسر المزلاج.

زقق بشدة «أشعلي الللمبة اللعينة» نهضت من السرير ولم ألبس بعد. «دعيني أرهنا دعيني أر العاهرة». لا أستطيع أن أشعلها، يدي مرعوبة، أخذ الللمبة وأشعلها. وعندها رأيت كيف يبدو وجهه.

كان يمشي جيئةً وذهاباً بعصاه. مبتعدة عن الطريق. أحاول أن أتناول في الظلام. عصاه تجدني. ساقاي خائفتان. يصرخ من جديد. «ماذا فعلت لي؟ أنت تضاجعين كل ابن عاهرة في المصنع! هل وضعوا سقفاً فوق رأسك؟ هل يعاملونك مثل ابنة؟ ماذا أعطوك؟ ماذا أخذت أنا؟

كل ما أفكر فيه أن الجميع كان باستطاعتهم أن يسمعوا. مازال يستمر «إنني أحرق». كان يصيح بذلك فعلاً. يسألني أن أدلك قدميه وأفعل ذلك. يقول لي ألا أبكي وأنا أتوقف. سألني إذا كان هو الذي يعتني بي وأنا أقول نعم إنه هو.

هذا ما يحدث وبعد ذلك أبكي. طوال الوقت وأنا أفكر أن حياتي تلتطخت. الله منحني الحياة ولكنه أفسدها. وضع الصخور في طريقي والأشواك تحت قدمي والحيات فوق رأسي. أي درب أتجه إليه يصبح مظلماً بأي طريقة. إنه لا ينوره مطلقاً. لو أشرب ماء يتحول إلى طين عندما أكل طعاماً فهو يسممني. أمد يدي تحترق وهي بجانبني تشل. هذا ما خططه لأجلي. هكذا أفكر. أقول لك كل شيء لذا فأنت الآن تعرفين أي نوع من الأشخاص أنا.

شيئاً فشيئاً أقوى. أدعو الله أن يغفر لي. أنا معتلة إذن في عقلي. كل شيء حدث هو بسببي. أتخذ زوجي وأتركه. أذهب إلى

المصنع. أترك عبدول يسير معي. أنا الشخص الذي يعيش هنا
من دون أن يدفع.

هذا كل ما أريد أن أقوله ويجب أن أقول كل شيء.

أغسطس ١٩٩١

أين يمكنني أن أذهب يا أختاه؟ أهرب لزوجي وأهرب منه
أيضا... الآن أنا خائفة أن أهرب ثانية.

تريدين أن تحضريني إلى لندن. أحب أن أجيء. ولكن من
جديد هذه المرة زوجك محق وأنت لا بد أن تصغي. وفري نقودا
لأن مولودا جديدا في الطريق. زوجك يبدأ عملا جديدا. إنه
في حاجة إلى نقود لذلك أيضا. الدروس الخصوصية فكرة
جيدة للغاية. هنا لا أحد يستطيع أن يجتاز امتحانا من
غير دروس خصوصية.

زينب في مشكلة. أتحدث إليها وأنسى مشكلتي أنا. ذات
يوم كان زوجها يركب دراجته إلى محكمة المقاطعة وارتطم
برجل يركب سيارة سوزوكي اسكوتر. تعتقدان أن زوج زينب
أصبح مكسورا ولكن لم يحدث ذلك على هذا النحو. صاحب
السوزوكي وقع على رأسه والآن الذراعان والساقان لا تعمل.
وضعت الشرطة زوج زينب في مركز الشرطة وهي تأخذ
مدخراتها هناك لتطلق سراح زوجها. بينما تقدم زوجة رجل
السوزوكي بلاغا في زوج زينب. إنهم يريدون نقودا ولكن زينب
لم يعد لديها نقود. فعلت كل شيء ولكن بلا جدوى. تقول لي
«ذهبت إلى المنزل. انظري. هكذا أخر على ركبتني وهكذا أشد

شعري وهكذا أشق ملابسي وأصرخ. الزوجة تنظر إليّ مثل خرقه قدرة. لماذا تعتقد أن هذه الخرقه القدرة لديها نقود؟ ثم تبدأ تولول وتضرب على الصدر. «أوه لماذا لا يستطيع زوجي أن يكسر رأسه. عندئذ نكون نحن الأشخاص الذين يقدمون بلاغا». لقد أخذ الولد من المدرسة. كان يرتدي زيه الرسمي ولكنه لم يعد جميلا كما كان. كان يحب أن يتناول عصا ويشاكس العنزتين. أعتقد أنه يأخذ البيض ولكنني أنتظر أن أضبطه. أصبح المنزل أكثر هدوءا الآن. عائلة زينب حزينة جدا على أن تتجادل.

هو يأتي كل أسبوع. أحيانا يأتي مرتين.

باركني الله. بنت أخت أخرى! إنني أفكر فيها. أفكر في شاهانة. أرسلني صورة لهما.

ما زال يأتي إلي. مجرد زيارة خاطفة. لقد اعتاد بالفعل أن يقول «الأسبوع القادم سوف آخذك إلى منزلي. إنني في حاجة إلى خادمة أخرى». أما الآن فلا يقول شيئا. إنه لا يأتي سوى مرة واحدة في الأسبوع وأحيانا لا يأتي بالمرة. لو توقف عن الزيارة فكم من الوقت قبل أن يطردني؟

أذهب إلى كل مصنع كساء في دكا. ليس من أحد لديه وظيفة ماكينة. هذا كل التدريب الذي لدي. أفكر في صنع بعض الأشياء بالبيت وأحاول بيعها. أصنع صفارات من البامبو وأخذها إلى الخارج وأجلس بها. ليس من أحد يريد أن يشتري. يراني حسين ويضحك. «ضعي قليلا من أشعة الشمس في كيس وبيعي ذلك أيضا». هكذا يقول. أذهب إلى

سوق من أجل قصاصة الملابس وأصنع عرائس. ثم أذهب إلى موتيجيل وأجلس على الرصيف. ركلت الشرطة الصندوق وقاموا بالتهديد. حسين يقول لي «ألا تعرفين أن الرصيف للإيجار؟ الرصيف لا يخصك. كل شيء للإيجار».

إنه يعطيني بعض لبن العنزة. وقام بعمل خزانة صغيرة لي. أحفظ بالصابون والمشط والقلم فيها. ذراعاه تخفقان وتتخبطان. رياح قليلة تجعلهما تهتران. ولكنه طيب. إنه يجعلني أضحك. يمكنه أن يقلب جفونه إلى الخارج ويقوم بتحريك أذنيه دون أن يقلق عضلة واحدة في وجهه. إنه يقول «الله يبارك في كل واحدة. لكم هو يحبني أن منحني تلك المواهب». ثم يقول «أما بالنسبة إليك فقد منحك هبة الجمال كم يبدي حبه فيك!» لوقت طويل أبكي إذن. في الليل يأتي إلى غرفتي. لا أصرفه.

أكتوبر ١٩٩٢

زينب رحلت. العائلة برمتها رحلت. ليس من كلمة لي، اختفوا هكذا فقط.

كل شيء ظل على الوتيرة نفسها. أعطاني حسين ساريا وبعض الشرائط وصندوقا جميلا بغطاء لؤلئي. صديقه علي أيضا يعطي الهدايا.

إنك تطلبين أن أكتب ولكنني لا أستطيع أن أفكر ماذا أقول. ليس ثمة الكثير لأقوله. الله وحده يرى ما بداخل قلبي. ادعي لي يا أختاه

لا أقصد أن أجعلك خائفة. بضع مرات في هذه السنة الأخيرة أخذ قلمي وأجلس. مرة مرتين أبدأ الخطاب ولكن الكلمات لا تأتي. مع أنني لا أكتب فأنا أفكر فيك.

بعد وقت طويل أبدأ في التفكير في المصنع من جديد. أذهب هناك وأنتظر في الخارج عبر الطريق. أفكر في التحدث إلى أصدقائي. أرى شاهناز تخرج فأشد وشاحي حول وجهي. إنها تنتظر طفلا. هذا يجعلني أشعر بعاري. لن يهب الله لي طفلا. أعتقد أنني أرى عليّة ولكن بركا تشبهه أخرى. ليس ثمة زوج يأتي لها. أما رينو فلم أرها.

ثلاث مرات أذهب إلى هناك وأشاهد وطوال الوقت أسأل نفسي إذا كان ثمة حب بيننا يوما ما وأي نوع من الحب سهل الكسر هكذا. شاهناز تضع كثيرا من مساحيق التجميل. لم أرها بمساحيق تجميل كثيرة من قبل هكذا.

أسير بالقرب من بوابات المصنع قريبا من الجدران. لو كان ممكنا أن أكسر الأحجار لكسرتها. لقد دمرني هذا المصنع. أسر كثيرة الآن تعيش حول المكان. قبل أن يأتي حراس الأمن وينظفوا مثل الأوراق ولكن الآن يوجد كل أنواع الأكواخ من الخيام وأوراق الكرتون. ثمة أسرة تعيش في ماسورة كبيرة الغرض منها توصيل المياه. أسير بالقرب منها.

أفكر طوال اليوم في هذا الشيء الوحيد. لقد طردوني من المصنع لسبب غير حقيقي ونتيجة لأنهم طردوني أتى السبب الآن كحقيقة فعلية. هكذا كنت أفكر.

مازال حسين يعتني بي. إنه الشخص الذي يدعم حصولي على النقود. إذا لم يعد يهتم أخذ ما يحبون ولا أدفع. لم يعد المالك يأتي. إنني أدفع الإيجار الآن.

منذ ثمانية عشر شهرا مضت توقف حسين عن العمل بطاحونة الخيش. لديه فتاة أخرى بالقرب من بوروبازار وفتاتان أخريان تنتقلان للعمل. هؤلاء يسميهن الفتيات الطافيات. مكتب الحكومة مناسب للفتاة الطافية. الفنادق الكبيرة أيضا مناسبة ولكن لا بد أن تكون الفتاة أصغر. لم يعد حسين أصغر الآن. الآن أصبح برتقاليا كأزهار الأذريون. يقول لي اعلمي بكذ قبل أن تتركي العمل ببضع سنوات. أفضل سعر للفتيات «إحدى عشرة اثنتي عشرة». إنه يأخذ باله جيدا. شخص ما لا يريد أن يدفع، يتعامل معهم. الذراعان تخفقان وتخبطان لكنهما قويتان.

يوليو ١٩٩٤

لدي الآن صورة الفتيات وأضعها مع الآخرين. لدي برواز. ثلاث صور تشغله جيدا. سوف أشتري زجاجا وأضعه على الحائط.

زوجك ماهر جدا في إيجاد الوظائف. ما هو مركز الترفيه؟ هل هو عمل حكومي؟

أعطيك وعدا كما تطلبين بإرسال مزيد من الخطابات. مع أنني ليس لدي من شيء أقوله فذلك ما أكتبه وأرسله إليك. شيء واحد فقط هنا ينزل المطر. تبدو غرفتي أكثر بللا من بحيرة.

حسين يصنع لي سريرا مرتفعا على أرجل. سهل بالنسبة إلي العمل بسرير مرتفع. أحيانا أشعر بالاستياء أجلس معه. طوال الوقت يمزح. إنه يقول «يجب أن تنظري إلى الجانب الحسن. كل شيء له جانب حسن. ما رأيك لو نثرنا بعض الأرز هناك نحصل على حقل أرز ذاتي؟» هل هناك مواهب أخرى بجانب تحريك الأذن وقلب جفون العين.

أستيقظ من وقت إلى آخر وأعتقد أنني عدت إلى الوطن ولكن لا يأتي سوى رائحة العنزة تنغو خارج الباب. المدينة لها رائحة مختلفة، رائحة الرجال والسيارات. أحب أن أشم القرية من جديد.

أوه لم يعد هنا سوى عنزة واحدة. الأخرى سارت إلى شريط السكة الحديد وأكلناها برمتها. الدجاجات هي الأخرى صامت. إنها تتوقف عن البيض.

خطرت رينو على بالي. هل مازالت تعاني، مازالت تنتظر. ثم أفكر في ممتاز وفي أما. لا أجرؤ بما يكفي للتفكير في أما. مرة أفكر في زوجته الثانية كم جاءت بسرعة بعد الحداد. كم رحلت بسرعة من جديد. لو تعلم أما كم سترحل بسرعة. هكذا الحال مع الرجال. لماذا لم تكن تعرف هذا؟

مارس ١٩٩٥

لا تغضبي من أنني لم أف بوعدي لكنني أكتب الآن وأنت يجب أن تغفري. لقد حدث شيء غريب. لن تستطيعي أن تخمينيه. لقد تلقيت طلبا للزواج. لقد أتى أول مرة منذ أسبوعين. في

اليوم التالي يعود. ليس غريبا جدا. لكن في اليوم الثالث يأتي ويشرب شايا معي وتحدثنا. وعلى الرغم من ذلك فهو يدفع كل التكاليف.

لقد كان يأتي كل يوم للحديث فقط. اسمه أحمد. طويل. على الأقل خمس أقدام وثمانية أو تسع بوصات. وهو أمهق. بسبب ذلك تشبه بشرته فتاة وطرف أنفه محمص مثل بذرة. عندما تمسه الشمس يبدو كأن حمضا في الوجه. حتى في المساءات يلبس نظارة معتمة. يذهب من عندي إلى مصنع الأحذية. إنه مشرف بالنسبة إلى دوام الليل.

إنه رجل هادئ. عندما نتحدث يظل فمه معظم الوقت مغلقا. معظم الوقت نجلس. حاولت أن أحفزه على الكلام. لا أريد أن يمضي النفس بلا مقابل. إنه يقلب يدي مرارا كأنه لم يريد أ أخرى. عمال الخيش يهنئونه ويصيحون. «إيه يا بابو»^(٣٨) هل تغمز لأختنا؟».

ولكن أحمد لا ينزعج. إنه رجل جاد. شعره بلون الطمي. عنده وظيفة مشرف منذ ست سنوات. في اليوم الخامس خلع نظارته وسبب لي ذلك رعبا كأى شيء. عيناه تبدوان مثل عيون القطط داخل رأس. زرقاوان وشمعيتان. لن تري قط عينين مثل هاتين. لكنهما كذلك لأنه أمهق. في واقع الأمر ليس من شيء معيب بهما.

إنه يحضر لي باكو وخبيزة. جميلة على الرغم من أنها لا تستمر سوى يوم واحد. يا له من أمر مؤسف أنني لا أستطيع أن أتزوج.

(٣٨) بابو: تعني «أب» بالهندية. المترجم.

قبلي لي بنات أختي وسلمي لي على زوجك. أمل أن يتحسن
سريعا سريعا. الجوهل^(٣٩) والغول أيضا مفيدان لقرحة المعدة.

مارس ١٩٩٥

لست أعرف ماذا أفعل. يصر على الزواج. إنه لا يصغي إلى أي
شيء. حسين يأتي ويتحدث إليّ. هو يقول «هذا الرجل شاذ مثل
حمار بخمس أرجل. الطبيعة تلفظ تلك الأشياء. أي فرصة
لديه؟ أنت تفسدين بعد الإصلاح. أي فرصة لديك أنت الأخرى؟»
هكذا يشرح. وهو يقول لي «لقد انتهى أمر كبدي لن أبقى وقتا
طويلا. من سوف يحميك إذا لم يكن هو؟ سوف أتركك تذهبين.
هذه الحياة تنتهي. ابدئي حياة أخرى».

أتحدث إلى أحمد ثانية. وثانية يصر هو. أخبرته بهذا أنني
امرأة وضيعة. أنا لا شيء. ليس لدي شيء. إنني أمثل كل ما
أملك. ليس في وسعي أن أمنحك شيئا.
مازال يصر. لا أعرف ماذا أفعل.

أبريل ١٩٩٥

أولي الشكر لله كما هو مكتوب في السورة «ولا تياس من رحمة
الله إن الله يغفر الذنوب جميعا. إنه هو الرحمن الرحيم».
إنني هنا بصحبة زوجي. ليس بعيدا جدا عن جولشام التي
تعد أفضل مقاطعة في دكا برمتها. ثلاثة أسابيع الآن دون
أن أترك الشقة. زوجي يخرج في المساء ويعود من المصنع في

(٣٩) جوهل: لبن رائب. المترجم.

الصباح. عندئذ نتناول وجبة كبيرة ثم نذهب للنوم. بعد الظهر نكون معا. دائما يشاهدني بحب. لو أتحرك يتحرك. لو ذهبت لأغتسل يتبعني. يضع يده عليّ. كأنه يعتقد أنني سأختفي لو امتنع عن اللمس. هذا يعد نوعا من الوله. عندما يخرج في المساء أبدأ شغل البيت. كل شيء يجب أن يكون في نظام جيد. ذلك هو الشيء الوحيد الذي يطلبه زوجي. النظام الجيد. كل البرطمانات والمعلبات تحفظ في المكان. الأطول منها في الأمام ثم التالي في الطول ثم الأقصر قليلا وهكذا يستمر حتى الأصغر المخصص للزعفران. جميعها يجب أن يمسخ كل يوم حتى لا يصبح لزجا. هذا يجعل كل شيء سهلا عند البحث عنه. زوجي يلف سجائره كل مساء ويتركها على الرف وأنت لم تري قط ذلك الخط المستقيم. نظام جيد للبيت معناه نظام جيد للذهن. وهو لديه ثلاثة أزواج من الحذاء الصالح وواحد وعشرون زوجا من الرباط. إنها في حاجة إلى أن تحفظ مثل أي شيء.

أبدأ شغل البيت في المساء حتى يأخذ كل العناية وأحيانا «أروح» بالفعل في النوم. عندها من الصعب أن أنام عندما يأتي الزوج ويصبح دوري أن أقوم بالمشاهدة.

أختاه أعرف كم تستمتعين أن تتركي الشقة. لكنني أصبح لدي شيء في الداخل. كم أحب أن تبقيني الجدران هنا.

أبريل ١٩٩٥

لقد ذهب زوجي إلى السوق. أصعد إلى السطح مع زوجات أخريات أزرع الخردل في أصيص والفلفل الأحمر في أصيص

آخر. أتحدث مع الزوجات وهن يتبرمن من الأزواج. يجب أن أتبرم أنا الأخرى وإلا سوف ينظرن إليّ باستغراب. أحقد في الشارع بالأمس. النساء معهن جاروف كبير وفأس بيد طويلة. البعض يحملن سلال الأحجار على الكتف. جميعهن نحيفات كالعصي. يمضين مكشوفات الرأس. والشمس حمراء كالجحيم وكبيرة مثل أي شيء.

ثم ينتهين من العمل ويصطففن للأجر. يدفعون لهن بالقمح، يأتي دائما من أمريكا. هذا ما تقله الزوجات لي. هكذا يحصلن على الأجر... كيف تعيشين على القمح؟

طوال اليوم أفكر في هؤلاء النسوة اللواتي لسن ربات منزل مثلي ومثلك يا أختاه. أفكر ماذا أفعل لو كنت واحدة منهن. أي طريق أتجه إليه؟ كيف أفكر للخروج من تحت الأحجار؟

زوجي يأتي سريعا ويتهيا للعمل. العاصفة تهب. ولكن مازال الوقت مبكرا على المطر. الآن نحن نتوق إلى المطر. العاصفة تظل في السماء. أضواء حمراء وبيضاء. لكم هو الطقس حار اليوم. جريزما تستمر أطول في المدينة تبدو. قبل أن يأتي المطر يأخذني زوجي إلى قريته. الأم لم تعد على قيد الحياة غير أن لديه أبا وأخوين لم يتزوجا بعد. أذهب لأقابل عائلتي الجديدة. أحيانا أقلق من أن يكتشفوا أمري. يمكنني أن أقول للزوج. لو أتحدث بهذه الطريقة أتذكر ما ورائي.

إنه يدلك رأسي. إنه رجل هادئ. أحيانا أعتقد أنه يروح في النوم ولكنه مجرد هادئ. إنه رجل جاد. لو أن شخصا قال بضع كلمات لأخذت كل كلمة وزنا أكثر.

كيف تحب شاهانة المدرسة؟ هل طبيعي للأُم أن تبكي عندما يبدأ الطفل يكبر بعيدا ولكن إذا نصحك صديق بزيارة طبيب فذهبي. زوري الطبيب ولسوف يخبرك كيف أن أختك تقرأ ما في قلبك.

مايو ١٩٩٥

طوال حياته كان الناس يحملقون في زوجي. أفكر كيف يصبح جادا هكذا. كذلك كيف يستوعب الأمور الخاصة بالنساء مثلي. ليس ثمة رجال كثير يحدق إليهم الناس في حياتهم. لديه بعض البثور على خديه والأنف مزمهر مثل الباكورة. وعلى الرغم من ذلك فهو وسيم في الواقع الحقيقي. الآن أنا أعتاد على العيون الزرقاء والعيون الزرقاء جميلة جدا أيضا.

الوقت ليل الآن وأحاول أن أظل مستيقظة. هذا المساء أصعد إلى السطح. أتحدث مع الزوجات. إنهن يدخلن سجائر سرية. ينظفن الأطفال ويرضعن الصغار. الجميع يمثل سلطة كبيرة في هذا الشيء أو ذاك. إحدهن تعرف كل شيء عن الرياح. لو تجشأ شخص ما بطريقة معينة فهذا يعني أنهم يأكلون بسرعة جدا. نوع آخر من التجشؤ يعني توابل مضرطة. التجشؤ العميق علامة لقناة البطن الملتوية. والرياح من نهاية أخرى يمكن أن تقرأ بطرق عديدة. بعض الرياح المحظوظة إشارة إلى مجيء نقود. أسميها الزوجة العاصفة. ثم إن هناك كارثة عظمى. لو ارتطم شخص ما في إصبع

قدمه تقول «أنت محظوظ. في اليوم الآخر أسحق إصبعين في الباب.» شخص آخر لديه بنت مريضة». يمكنك أن تعد النعم. في الأسبوع التالي أسرعرت ابنتي إلى المستشفى. «زوجة أخرى أخذت علقه». احمدي رينا على أن ضلعا واحدا انكسر. فعندما يضرب زوجي يتأكد من أن يكسر كل العظام. «والسلطة الأكبر لجميعهن امرأة على دراية بالرجال». آهااه ه إذا أردت أن يكون زوجك مخلصا لك يجب أن تخفي عنه فرشاة الأسنان في الصباح. «إنها بالفعل دائما تقول آهااه ه قبل أي شيء». فالرجل لا يذهب إلى امرأة أخرى بنفس كريبه. إنني أعرف الرجال! «أهااه ه شيء آخر». إذا أردت أن توقفه عن الشخير يجب أن تشعلي بخورا في الحجرة ودائما تديرينه على الجانب الأيمن. إنني أعرف الرجال! «أهااه ه يمكنني أن أخبرك بشيء. أعطي حماتك أفضل قطعة من اللحم وفي اليوم التالي سوف يحضر لك مجوهرات». إنها تعرف الرجال!

إحدى الزوجات الصغيرات ليس في وسعها أن تحظى بطفل. لقد قصت شعرها على نحو قصير وهي تصلي. ليس حتى الشعر القصير يمكنه أن يجلب طفلا لي الآن. لقد أخبرت زوجي وهو يوافق على هذا.

قبل أن يأتي المطر نذهب إلى قريته. لا بد أنه وشيك. أحيانا أتطلع من السطح وأعتقد أنني أرى زوجي الأول. أراه بقميص مفكوك الأزرار من على الصدر. أراه راكبا دراجة بخارية. أراه يتحدث في هاتف محمول. أرى رجلا يمشي ويده على ردفه

تماما كما اعتاد أن يفعل. وهذا عندما يكون خوفي هاربا. في وقت آخر أرى رجلا يأتي إلي كثيرا في نارايانا جانج. هذه المرة أشعر بالخوف على ظهري.

مايو ١٩٩٥

إنني أزجي الليل بالكتابة لك يا أختاه. الشقة نظيفة، كل شيء في نظام جيد. ماذا يتسنى لي أن أقول؟ زوجي سعيد معي. مدبرة منزل جيدة. لأنني لا أخلط الأربطة قط والأربطة مهمة لحذاء الرجل.

هل تعرفين أن زوجي أخبرني بهذا. أول لحظة رأني فيها هي اللحظة الفائقة في مجمل حياته برمتها. هكذا يقول. في مجمل حياته برمتها. إنه يحب أن يعيشها من جديد ويخطط من أجل أن يجعلها تحدث ثانية كواقع فعلي. إنني لديه أجلس في السرير وأضع شعري بطريقة معينة على كتف واحد. الملاءة مستوية عند طرف ومجعدة عند الطرف الآخر. يجب أن أميل وجهي هكذا أو هكذا. ولكن الضوء ليس مناسباً قط. أحمل رأسا معصوبا بشدة أو محلول الشعر بشدة. من الصعب له أن يغضب إنه يحاول أن يجعل شيئا ما على أكمل وجه. أحيانا يقول إن وجهي تغير وعلي أن أستعيده لكنني أهدأ ويصبح هو هادئا من جديد.

المطريات الآن ونحن لن نذهب إلى القرية لبعض الوقت. لو أعطاك طبيب أقرصا لابد أن تتناولها حتى على الرغم من أنني لا أعرف أي نوع من القرص يمكن أن يعالج مرض

الحزن. عندما تعاديين أن تكون شاهانة خارج المنزل تشعرين
بنفسك السابقة من جديد.

يونيو ١٩٩٥

تمر جنازة حسين اليوم. شخص ما يحمل إلي الكلمة وأذهب
لأقول وداعا. أقف بعيدة عن البقية. حفنة من عمال الخيش ولا
أحد غيرهم. أعطيت نفسي لكنهم يعرفون من يقف في الخلف.
إنهم لا يتحدثون معي وأنا حسبته احتراماً.

جوانب القبر تتهاوى مع المطر وأنا أبكي على أما.

زوجي يعمل لساعات طويلة طويلة. يقول إنني غيرت وجهي
لكنني لا أعرف ماذا يقصد. أضع مسحوق تجميل زيادة، مسحوق
تجميل أقل غير أنه لا يستطيع أن يرى ما رآه فيما مضى. أعتقد
أنه في حاجة إلى مزيد من الراحة لكنه لا يستطيع أن يظل
ساكناً ويخرج. هل هذا ما يسمى البقعة السيئة للزواج؟

يونيو ١٩٩٥

إنه يقول إن الأشياء لم تعد في تنظيم جيد على الرغم من
أنني أحاول دائماً أن أجعله مرتباً جيداً. هو يقول إنني أضع
عليه لعنة وهذا سبب أننا نتزوج. يقول كيف تتخذ عائلته زوجة
مثلي لابن لها؟

أقول له هذه هي البقعة السيئة للزواج. كل زواج له بقعة
سيئة. حتى أختي أحياناً لديها بقعة سيئة وهي محترمة للغاية
تعيش في لندن وكل شيء.

أختي العزيزة الحبيبة دائماً أحلم بك وأنت ترسلين خطابك
وتنتظرين. ليس لدي عنوان لك لكي يصل إلي. عندما أستقر
في مكان ما سوف تسمعين مني.
لا تقلقي عندما أحصل على عمل أرسل إليك.

يناير ٢٠٠١

أتمنى أن يصل هذا إليك. أتمنى أن تكوني في العنوان نفسه.
في وقت ما بالماضي كنت أعيش هنا وهناك. في وقت ما بالماضي
بعض الطعام يكفي ليوم واليوم التالي. كل شيء أخرجته من
رأسي الآن. لقد آوونني وأنا خادمة في منزل جيد. الجميع
طيبون. الأطفال جميلة. حجرتي بجدران صلبة. مكان نظيف.
ليس ثمة شيء يجعلني خائفة منه. سيدة المنزل طيبة. السيد
طيب. إنهم يمنحون قدراً وافراً من الطعام. لو كنت في العنوان
نفسه اكتبني لي الآن ثانية.

الفصل الثامن

أيض

تاورهامليتس، لندن، ٢٠٠١

وقفت الفتيات أمام أبيهن وثنين أصابع أقدامهن إلى السجادة. كان شانو يجلس القرفصاء على الأرضية. منحنيا إلى الأمام، بطنه يملأ الإطار الذي صنعه الفخذ مع بطن الساق. الكراسي كانت كريهة. لقد أصبح الآن رجل أرض.

قال: «تعالوا، ابدأوا». ضرب يديه معا. لكزت شاهانة بيبي بكوعها. رسمت بيبي دوائر بإصبع قدمها الكبير. كانت ضفائرها تتدلى حول وجهها. حبل يصعد إلى سطح رأسها. راحت نازنين تجذب الملابس من حمالة الغسيل الخشبية وبدأت حملة شرسة من الطي والتصنيف. كان المطلوب نشاطا عاديا اوبيتيا ومسليا. كانت الملابس مازالت منداة.

قالت نازنين «إنها تعرفها. بالأمس فقط استمعت لتمرينها». تريث شانو وفتح يده. كانت هذه إيماءة بالسلام أو بتهديد ليبيبي. في النهاية بدأت:

«أو أمار شونار بانجلا، أمي توماي بهيلوباشي على الدوام سماواتك وهوأوك يجعلان قلبي في انسجام...».

تنهد شانو وحك بطنه. كان ينفشها مثل سادة. القبضتان تعملان في حركة دائرية. منذ خمسة أيام كان يعلم ابنته تسميع قصيدة «بنغالي الذهبية». هذا المساء كان عليهم أن يؤدوا القصيدة بكاملها. كان شانو يعيد أسرته إلى الوطن وكان طاغور هو الخطوة الأولى للرحلة. واصلت بيبي:

«... كأنها ناي.

في الربيع، أيا أمي، الأريج القادم من بساتين المانجو لديك يجعلني عاصفا بالمرح - أه يا لها من رجفة». لم يعط صوتها إشارة على فرح أو رجفة. بل راح يسير قدما متثاقلا في قلق خائفا أن اندفاع تنغيم مفاجئ يخرج قطارا الاسترجاع عن الخط.

أوقف شانو تدليكه. قال: «آه» بصوت عال، وراح يبحث في الحجرة. أي رجفة! لفت ببني رأسها لتتظر إلى الخلف ثم نظرت إلى أبيها. كان جمهوره الخفي بالنسبة إليها حقيقة مربكة ومع ذلك ملموسة. كانت تشعر بالحضور على الرغم من أنه لم يكن في وسعها أن تراه كما يراه. راح يحثها «حاولي هذا ثانية». نقل اهتمامه إلى القدم اليسرى، متلمسا وربما جديدا بأصابع رقيقة.

«آها. يا لها من رجفة». ضمت ببني ضفيرتها تحت ذقنها كأنما تمنع فمها من أن يفتح مرة ثانية. انتظرت إذنا رسميا. أمال شانو رأسه جانبا وظل رابط الجأش. «ألا يمكن أن تتوقعي أن تحمل شجرة الأمرا مانجو».

راحت الآن تتسارع

«في الخريف، أيا أمي

في حقول الأرز المتفتحة،

رأيت ابتسامات حلوة منتشرة في كل مكان

آه، يا له من جمال، يا لها من ظلال، يا لها من محبة

ويا لها من رقة».

هناك توقفت، قبل جرف مياغت من الارتياب. نظر شانو إلى شاهانة. لقد طوت ذراعيها إلى صدرها وزمت شفرتها العليا إلى السفلى. راحت نازنين تتجول في الحجرة، بينما تختلق أعمالاً منزلية مزعجة وتصدر الضوضاء اليومية. هذا الأداء لم يكن ملائماً وقد أصبح طقساً مستمراً. إن لها تأثيرها العكسي على كل فرد من الأسرة ولكن معظمه على شانو. إنه لا مناص من أن شاهانة هي التي كانت تستحث غضبه وأن شاهانة هي التي يبدو أنها تعاني أقل.

«أخبري صاحبة الجلالة الصغيرة أنني سوف أكسر كل عظمة في جسدها».

لم يوجه شانو قط تهديداته على نحو مباشر إلى ابنته الكبرى. كانت نازنين الوسيط المفضل أو في حالة إذا تم ابتكار تهديد رهيب جديد فإنه سيتم اختيار بيبي. «سوف أغمر رأسها في دهن يغلي وسوف أرميها من تلك النافذة. اذهبي واخبري السيدة البيضاء. اذهبي وأخبري صاحبة الجلالة أختك». كان يمكن أن يعتمد على بيبي في نقل الرسالة من أجل الإحاطة على الرغم من أن شاهانة كانت بالكاد على بعد قدمين. في هذا الصدد أثبتت أنها وسيط يعتمد عليه أكثر من أمها التي كانت تهمس فقط لتخفف من الغضب الواقع على الفتاتين.

لم تكن شاهانة تريد أن تستمع إلى الموسيقى البنغالية الكلاسيكية. بنغاليته المكتوبة كانت مفاجئة. أرادت أن ترتدي الجينز. كانت تكره الكاميز^(٤٠) الخاص بها وأتلفت دولابها برمته

(٤٠) كاميز: رداء نسائي طويل يشد بحزام إلى الوسط - المترجم.

بدلق الطلاء عليه. لو تسنى لها أن تختار بين البقول المطهوه والبدال فليس ثمة منافسة. إذا ذكرت بنغلاديش تتجهم. فلم تعرف ولم تتعلم أن طاغور كان أكثر من شاعر وحائز جائزة نوبل، وليس أقل من أب حقيقي لأمته. شاهانة لم تكن تعباً. ولم تكن شاهانة تريد أن تعود إلى الوطن.

سماها شانو صاحبة الجلالة الصغيرة. وكان ينهك نفسه بالتهديدات قبل أن يبدأ الضرب بأي شيء متاح. جريدة، مسطرة، كراسة، أو شيشب رث وذات مرة وعلى نحو مفرج قشرة موزة. لم يتعلم قط أن يختار أدواته ولم يفكر قط في استعمال يده. إن الضرب بلا أداة يمثل زلة للواجب الأبوي. كان يضرب متحمسا ولكن بلا مهارة. كانت طاقته تدخل في النية - القيام بما ينوي - وهنا كان متقدما ومحكما، ولكن الموافاة كانت تخذله. مازال مشغولا بألقاب تعذيبه. كان يخفق برأسه عندما تجري شاهانة وتتملص وتنزل تحت الأثاث أو خلف ساقى أمها. وبببي تحضن نفسها وتتغطى في ألم، ويد تصل إلى بطن نازنين وتبدأ في شد الأحشاء إلى أعلى حلقومها، وشانو يتوقف عن الصياح والإخفاق برأسه ويبدأ برجفة تسري من حاجبيه إلى أصابعه، وشاهانة تتقبل مزاجه وتصرخ بالانتهاء، الذي يعرفه الجميع.

«لم أطلب أن أولد هنا».

قال شانو. «سوف تواصل أختك»، موجها نفسه إلى بببي. فتحت بببي فمها، كما لو كانت تظهر أنها على أهبة الاستعداد.

حررت شاهانة شفيتها، ودحرجت عينها إلى أعلى نحو
السقف، وراحت تتلو بنبرة مستوية:
«أي لحاف بسطتيه عند أقدام
شجرة التين وعلى امتداد ضفاف الأنهار!
أوه يا أمي، الكلمات المنبعثة من شفيتك
مثل الرحيق الإلهي إلى أذني!
لو أن الحزن يا أمي ألقى بالكآبة على وجهك،
سوف تتدفق عيناى بالدموع....».

أغمض شانو عينيه عندما فاضتا. بطنه تدحرجت إلى الأمام
قليلا في وكر الفخذ. بدأ يدندن واتخذ المقطع الشعري في
أغنية. نظر الأطفال إلى نازنين، وهي وافقت برمشة عين بطيئة
مفادها أن الأمر انتهى. نشرت ذراعيها باتساع وراحت تلملمهم
بعيدا إلى حجرتهم.

في المساء المتأخر، وعلى إيقاع الجدران التي تدندن بصلواتها
الأبدية للمواسير والمياه والكهرباء، راحت نازنين تقتلع الشعر
من ثقب أنف زوجها. كان السكون يجعل نازنين منتبهة طوال
النهار وفي المساء كانت منتبهة للحياة من حولها، مثل مصباح
شاحب ترك في ركن الحجرة. لقد اعتادت هذه النشاطات،
المعلبة والمحكمة جيدا أن تزعجها. عندما قدمت تعلمت في
بادئ الأمر عن الوحدة، ثم عن الخصوصية، ثم في النهاية
عرفت نوعا جديدا من الجالية. الزوجة في الطابق الأعلى التي
اعتادت المرحاض ليلا. هي ونازنين قد تتبادلان الدعابات فقط
لكن نازنين كانت تعرفها بمثانتها. منه بائع الحليب الذي يخبر

نازنين بالساعات المجهدة التي يجب أن تحتفظ بها جارتها. المرأة على الجانب الآخر التي يلكز سريرها الجدار عندما يتصل بها الأصدقاء. هؤلاء أصدقاء نازنين الحميمين غير المعروفين.

فوق في مكان ما، ثمة رجل يكتم ضحكة تنزلق إلى سعال والسعال يصبح ساكنا مع وقع أقدام. من الخلف ثمة دولاب، وتلفاز ينعب كالبوم ويهلهل. استراحت نازنين. لقد قصت شعرة سميكة من ثقب الأنف الأيسر وشاهدتها تهبط على أغصان صدر شانو. قالت: «انتهيت» ركعت على الأرض عند طرف السرير وبدأت في الأجزاء المتصلبة.

قال شانو: «كما ترين، إنها مجرد طفلة». كان صوته متجهما. لقد كان الصوت الذي يمكن لطبيب أن يستخدمه لإبلاغ أخبار سيئة.

راحت نازنين تقطع البشرة الشمعية. لم تكن شاهانة سوى نصف طفلة. أو بالأحرى أحيانا تكون طفلة مكتملة، وأحيانا شيئا آخر. أكثر الأشياء المروعة: شخص آخر. «ليست سوى مجرد طفلة والفساد بالفعل يبدأ الآن.. لذلك لا بد أن نرحل».

عملت نازنين حول الجزء المتصلب. ثمة وقت كان يصيبها بالاشمئزاز، هذه القشارة والقشاطة، ولكنها الآن لا تمثل شيئا. كان الوقت يمثل كل ما تستنفده. تطلعت إلى صورة رقيب على الطاولة القريبة. يحتاج الزجاج إلى إزالة الغبار عنه.

قال شانو: «التخطيط والاستعداد، الفتيات لا بد أن نجعلهن مستعدات. من حسن حظهن أنني موجود بالمنزل».. بدا فمه

الذي ينسحب في اتجاهات مختلفة متشككا . التقط كتابه واستلقى على ظهره في السرير .

للمت نازنين قشارتها . لو مضين إلى دكا يمكنهن أن يكن مع حسينة . كل نهاية عصب تلتوي نحوها كأن محصن الرغبة الحسية يمكن أن تتقلها . غير أن الأطفال سيكونون تعساء . ربما تتماثل بيبي بسرعة . شاهانة لن تغفر لها قط .

في الصورة بدا رقيب يشبه شانو بعض الشيء . أو ربما كل الأطفال ذوي الحدود الممتلئة يشبهون إلى حد ما شانو . سوف يذهبون . أو يمكثون . الله وحده سوف يقيهم أو يرسلهم . عرفت نازنين دورها ، تعلمته منذ وقت طويل ، ودحرجت البشرة الميتة في كفها وجلست في هدوء ، منتظرة أن تنقضي المشاعر .

عندما ضلت حسينة ووجدت ثم ضلت من جديد وعادت إليها مرة أخرى ، مضت نازنين إلى زوجها «أختي أود أن أحضرها هنا» .

أشاح شانو بذراعيه النحيلتين . «أحضرها هنا . أحضرهم كلهم . كوني قرية صغيرة هنا» . هز شانو كتفيه النحيلتين في استعراض للضحك . «أحضري صندوقا وابذري أرزا . اصنعي حقل أرز على عتبة النافذة . كل شخص يجب أن يشعر بأنه في بيته» .

شعرت نازنين بالخطاب داخل التشولي^(٤١) الذي ترتديه . «لقد واجهت مشكلة ما ، ليس لدي سوى أخت واحدة» .

(٤١) تشولي: سترة نصفية تغطي الصدر تلبسها النساء تحت الساري - المترجم .

صنع جانب رأسه وراح يتوسل للجدران. «مشكلة ما! كان هناك مشكلة ما! كيف يسمح بذلك؟ هل ثمة أي شخص هنا يمر بأي مشكلة؟ بالطبع لا! أي شيء نستطيع أن نفعله لإيقاف هذه المشكلة يجب أن يفعل على الفور». صوته على الرغم من أنه استحال إلى صرير فإنه لم يفقد درجته. لم تستطع أن تشرح. كانت حسينة لاتزال تعمل في المصنع. كان هذا كل ما يعرفه شانو. كانت ترفرف لساعي البريد، تخفي الخطابات، تلفق تصريحات تافهة لحوادث ثانوية محبوكة. كل ما يمكنها أن تفعله لأختها هو تخليصها من مزيد من العار وكان هذا كل ما فعلته. ابتعدت نازنين وسارت إلى الباب. نادى عليها «زوجتي، ألا تتسين شيئاً ما الآن؟ توقفت.

«سوف نذهب إلى هناك. لقد قررت. وعندما أقرر شيئاً فهو في عداد الحاصل».

لكن ليس لديهم نقود. والنقود لازمة من أجل التذاكر. ومن أجل حقائب السفر ولشحن الأثاث ولشراء مكان في دكا. قالت نازنين: «بعض النساء يقمن بالخياطة في المنزل، يمكن لرضية أن تحصل لي على عمل»

قال شانو. «را - ض - ية، دائماً راضية هذه. كم مرة قلت لك أن تخالطي أشخاصاً من النوع المحترم؟» استلقى على الأريكة بينما يرتدي مئزرا وقميصاً داخلياً. لم يعد يرتدي البيجاما، إشارة إلى العودة الوشيكة إلى الوطن، وغالبا يقضي النهار مضطجعا على الأريكة من دون أن يلبس، أو ملتصقا

بالأرضية تحت كتبه . لوهلة راح يجتر ويكتشف طيات بطنه .
«بعض من هؤلاء الأشخاص غير المتعلمين يقولون: لو كانت
الزوجة تعمل فليس هذا سوى لأن الزوج لا يستطيع أن يطعمهم .
من حسن حظك أنني رجل متعلم» . انتظرت المزيد ، غير أنه راح
في حلم يقظة عميق ولم يقل شيئاً إضافة إلى ذلك .
في هذه الأيام ومع وجود الأطفال بالمدرسة وشانو يبعثر حجرة
الجلوس تتسحب نازنين غالباً إلى المطبخ أو تجلس في حجرة النوم
حتى يدفعها الدولار إلى الخارج لتطوف الشقة بخارقة مبللة ، تمسح
وترتب . لم يبد إشارة للحصول على عمل . مدخراتهم تضاءلت إلى
التراب . في شوط أخير للنشاط ارتدى بزة وخرج ليؤثر في المجلس
من أجل الانتداب . الشقة الجديدة في مجمع روزميد السكني على
مبعدة دور واحد من السطح ، ودورين فوق راضية وبها حجرة نوم
ثانية . قال شانو . ممارسة لعبة التواصل القديمة ، حقا لقد تقافزوا
بحدة مفرطة عندما رأوني . دالواي القديم صافح يدي .
يأسف لأنه فقد رجلاً جيداً . ذلك ما قاله . المرحاض كان
ينسد في إصرار والجبس تقشر في الردهة . قال شانو . «يجب
أن أقوم باتصالاتي» غير أنه لم يقم بحركة واحدة .
جلست نازنين وراحت تنظر إلى يديها . شانو يقرأ كتابه . لم
يعد يأخذ دورات تعليمية . لقد استقر عدد شهاداته ، التي تنتظر
في قعر الدولار حتى يكون لدى شخص ما طاقة لتعليقها . الآن
كان يُعلم أكثر مما كان يتعلم . والمستفيد الرئيس كانت الفتيات .
نازنين بدورها استفادت .
قال شانو بينما لم يزل مستلقياً على ظهره وممسكاً كتابه

فوق وجهه «كما ترين كل الناس هنا الذين يحتقروننا بوصفنا فلاحين لا يعرفون شيئاً عن التاريخ». نهض قليلاً وتحنح «في القرن السادس عشر كانت بنغال تسمى جنة الأمم. هذه هي جذورنا. هل يدرسون هذه الأشياء في المدرسة هنا؟ هل تعرف شاهانة شيئاً عن جنة الأمم؟ كل ما تعرفه هو الفيضان والمجاعة. الشعب اللعين برمته ليس سوى شعب قعيد بالنسبة إليها». تأمل نصح أكثر وأحدث قليلاً من التحسين وأصوات مقرقرة.

«إذا كان لديك تاريخ كما ترين فأنت لديك كبرياء. العالم بأسره كان يذهب إلى البنغال لمزاولة التجارة. القرن السادس عشر والقرن السابع عشر. كانت دكا موطن المنسوجات. من الذي ابتكر الشاش والدمقس وكل شيء رفيع؟ إنه نحن. كل ألمانيا والبرتغال وفرنسا وبريطانيا كانوا يصطفون لكي يشتروا».

نهض الآن وأعاد ربط مئزره. شاهدته نازنين يخطو مسرعا حول الأريكة وعرفت أنه كان يحضر لدرس المساء مع فتياته. سوف تجلس بيبي على حجره وتحاول من خلال هدوئها أن تؤكد له أن الدرس كان يتم تعلمه. شاهانة بالتناوب سوف تتواثب وتتسكع في عبوس عبر كرسي ذي مسند. بمجرد أن يتوقف عن الكلام سوف تسرع إلى التلفزيون وتشغله، وهو سوف يبتسم تسامحاً أو يضخ تياراً من القذع يرسل كلا الفتاتين إلى الجانب الآمن لسريهما.

قال: «الإحساس بالتاريخ، ذلك ما ينقصهما. ولا تنسي - البنغلاديشيون الذين يختلطون بهم هم سيلهيتيون^(*)، ليس أكثر ولا أقل. وهؤلاء لم يروا الوجه الأفضل لأمتنا».

قالت نازنين في هدوء. «العقيد عثمانى^(٤٢)، والشاه جلال^(٤٣)».

قال شانو «ماذا؟ ماذا؟»

«بطلنا القومي و..»

«أعرف من يكونون!»

اعتذرت نازنين بابتسامة، ثم أردفت «وأن كليهما من سيلهيت».

«ولكن تلك هي النقطة التي أريد أن أثيرها. فهؤلاء الناس هنا ببساطة لا يظهرون أمتنا في وهجها الحقيقي». انقض على الكتاب وبدأ يفر الصفحات. «هل تعرفين ماذا يقول وارين هاستينجز^(٤٤) عن قومننا؟» قرقر ومرن وجهه بينما يستعد للاستشهاد. «إنهم لطفاء، محسنون...، كثير جدا من الطبائع الحسنة وجدها. إنه باختصار نجدنا خالين من أسوأ خواص العاطفة البشرية مثل أي ناس على وجه الأرض».

لوح بالكتاب في انتصار: «هل تعتقدون إنهم يعلمون هذا في المدارس الإنجليز».

قالت نازنين: «لا أعلم، هل هذا كتاب إنجليزي؟» تساءلت من عساه يكون وارين هاستينجز هذا.

(*) سيلهيتيون: من سيلهيت، مدينة في بنغلاديش.

(٤٢) عقيد عثمانى: هو محمد أتول جاني عثمانى القائد الأعلى للقوات المسلحة البنغلاديشية أثناء حرب التحرير. المترجم.

(٤٣) شاه جلال: من أهم الرموز الدينية في مدينة سيلهيت بنغلاديش، ويعتبر بطلا قوميا - المترجم.

(٤٤) وارين هاستينجز: أول حاكم عام للهند البريطانية، من ١٧٧٣ إلى ١٧٨٥. اتهم بالخيانة سنة ١٧٨٧ وتمت تبرئته سنة ١٧٩٥ - المترجم.

تجاهلها شانو وراح يؤثر في الجمهور: «كلا. هذا ليس ما يعلمونه. جميعه طوفان هنا ومجاعة هناك والتجمع في مجموعة علب الصفيح». استخدم الكتاب ليهersh داخل أذنه.

فكرت نازنين في شاهانة، كيف أن وجهها الطويل النحيل كان يجمع كل ملامحه الصغيرة كأنما يحاول أن يجعلها تختفي، مصفيا حسابه. كانت لها طريقتها في وضع غشاوة على ما بدا مكتملا، النضج وراء سنواتها. أنا داخلة الآن، كانت تقول ذلك، وربما لا أخرج ثانية. ولكن عندما ينتهي ذلك فليس سوى العبوس، والعبوس يبدو واضحا في نوبة الغضب التي تعقب ذلك. عندها يصبح فمها ثقبا غاضبا مستديرا وتبدأ في الركل. تركل الأثاث، تركل أختها وفي الأغلب تركل أمها.

«أربعة شعوب أوروبية تحاربت على المكان. وعندما أحكمت بريطانيا السيطرة، هذا ما منحهم القوة ليستولوا على الهند كلها». ثمة عرق كان على جبينه على الرغم من أن الحجرة لم تكن دافئة جدا. مسحها بساعده. «إبان القرن الثامن عشر». - نظر تحت من خلف الأريكة إلى الجودة الناعمة التي تركتها مؤخرته على الوسادة. - «كان هذا الجزء من البلد غنيا. كان مستقرا. كان متعلما. كان يمد - نحن كنا نمد - بثالث دخول إمبراطورية الهند البريطانية». انزلق الكتاب من يده وانثى ليتناوله. حك طرف الوسادة ونظر إلى الحائط البعيد، إلى حيث علقت شهاداته في الشقة القديمة. ابتسم وارتفع خداه إلى عينيه.

قال متحدثا إلى الحائط: «إن خسارة الكبرياء تعد شيئا

مؤسفا».

استيقظت نازنين ليلا وذهبت إلى المطبخ أخذت وعاء لحفظ الطعام من الثلجة وراحت تَأكل الكاري باردا، واقفة أمام الحوض. لو حصلت على عمل سوف تستطيع أن توفر نقودا. وإذا وفرت فسوف يكون معهم ما يكفي من النقود للذهاب إلى دكا. أو إذا لم يذهبوا إلى دكا فسوف توفر ما يكفي لإرسال نقود إلى حسينة. لن يعرف شانوكم عدد البطانات التي أخاطتها أو كم عدد السترات التي حبكت عرواتها. لن يعرف قدر النقود التي يجب أن تكون هناك، وسوف تكون قادرة أن تدخر بعضا منها.

كان القمر حائرا الليلة. متقربا، كان يقبع خلف سحابة بلون الحبر الأرجواني ويحاول أن يغمر نفسه في سماء ضحلة للغاية. كتبت حسينة ذات مرة أنها شاهدت القمر وفكرت فيها، وهي تشاهد القمر نفسه. ولكن السماء هنا منخفضة جدا وواهنة جدا، لذا من الصعب تصديق أنها السماء المرتفعة نفسها التي كانت تحلق فوق حسينة، والقمر لن يكون ظاهرا في دكا، وربما كان في نهاية الأمر قمرا مختلفا.

وضعت وجهها تحت الصنبور وفتحت الماء البارد.

«آما»

كانت يببي تقف عند الباب. كانت تشاهد بينما تجفف نازنين وجهها بمنشفة المطبخ. جبينها خلق عريضا ليتسع لكل قلقها.

قالت نازنين. «جوعانة؟»

أومأت بببي. أقبلت وشببت على الحوض وراحت ترتجف. وصلت نازنين إلى علبة البسكويت ولكن بببي أشارت إلى وعاء

الحفظ. راحت تَأْكَل بملعقة نازنين، ولكن حصلت على لقمة فقط. قضت هذا الوقت معا ولم تضيعاه بالحديث. كانتا تشاهد إحداهما الأخرى، وتظاهرت نازنين بأنها تنتظر إلى خارج النافذة بينما يببي التي كانت قصيرة على أن تنتظر إلى الخارج تظاهرت بأنها تنتظر إلى الطوب المكسر خلف الصنبور.

ضغطت راضية كفيها على الجزء الأصغر من ظهرها. «تعرفين ماذا يقولون في القرية - المرأة تصبح عجوزا في العشرين - حسنا، إنك تتظرين إلى عجوز، امرأة عجوز الآن».

شعرها كان كثيفا مشوبا بالرمادي. كانت ترتدي نظارة بإطارات سوداء واسعة قصرت أنفها غير أنها كبرت الخطوط الداكنة حول عينيها. منذ حصولها على جواز السفر البريطاني نالت كنزة فضفاضة مطبوعا عليها من الأمام العلم الوطني البريطاني، وفي تشكيل محبب قرنته بينطال بني ذي خصر مطاطي. البنطال كان له درزة أسفل المقدمة، صممت لتبدو مثل ثنية حادة. بسطت يديها لنازنين. «شاهدي المفاصل؟ التهاب». أعادت يديها لتضغط عليها في مواجهة الألم. «وظهري يقتلني من الألم. خياطة كل يوم وكل يوم. الأطفال يأخذون النقود، وأصاب بالتهاب المفاصل».

قالت نازنين. «الجميع يصابون ببعض الصرير في عظامهم»، طوقت كتفيها لتظهر أنها لم تكن مستثناة. «إنك لست عجوزا هكذا».

قالت راضية: «إه- هررم». متظاهرة بأنها تتنحج. «إه- إه- هررم» هزت رأسها وزمت شفتيها وكورتها. «عزرائيل بالباب. كيف يمكنك أن تتكري ذلك؟ هذه المرأة عجوز. هذه امرأة عجوز».

ضحكت نازنين لنفسها. «دائماً معك الحق يا زوجي». ضحكت راضية ضحكتها المعدنية. لا يهم كم سمعتها مرارا، فالصليل المفاجئ دائماً يفزع نازنين. تطلعت الآن لتري إذا كان الباب مغلقا. الفتيات كن في حجرة نومهن منكبات على الواجب، وهي لم ترد أن يسمعن راضية وهي تسخر من أبيهن.

«شيء خطير، على الرغم من ذلك، مسألة الشغل بالماكينه. إنه يتلف اليدين والظهر والعينين». «هزت راضية كتفيها. تجعد العلم الوطني. لا أعبأ بأي سبب آخر خلق له هذا الجسد؟ إنني فقط أستهلكه الآن من أجل أطفالتي. شيء واحد يعنيني وهو أنه ليس عليهم أن يعملوا هذا الشيء نفسه مثلي. إقامة منزل أيضا. كراسي جديدة، أريكة جديدة، لا مزيد من فرشاة الأسنان المستعملة لأطفالي هذا ما أعمل لأجله».

«هل يستمتع طارق بالآي تي (*).

قالت راضية بالإنجليزية: «إنه أوكيه - مام، كل شيء طوال الوقت أوكيه - مام. الولد يعتقد أنني أدعى أوكيه - مام».

«كم من الوقت عليه أن يدرس؟»

«سنتان، ثلاث سنين أخرى. ماذا أعرف؟ اسألني زوجك كم من الوقت على الولد أن يدرس. إنه يعتمد على كم يبلغ طول الحائط وكم يبلغ حجم الشهادة».

قهقهت نازنين. تساءلت هنيهة أثناء قهقهاتها، إذا كان يجب بالفعل أن تسمح لراضية أن تكون على حريتها هكذا فيما يتعلق

(* أي تي (IT): تكنولوجيا المعلومات.

بزوجها . وعندئذ صعدت القهقهة إلى أنفها ونخرت وخبطت ساقها وتهاوت على جانبها فوق الأريكة قبالة صديقتها .
قالت راضية: «حقا، إذا لم تملأ الشهادات الحائط سوف تجلد مؤخرته».

قالت نازنين: «كفاية»، وهي تمسح عينيها . قامت بتعديل نفسها .
«أمل فقط أن يملأه بسرعة شديدة لأن كلا منها يكلف أذرا وسيقانا . أيا كانت كمية النقود التي أعطيها له فدائما يحتاج إلى المزيد» . هل لي بعشرين جنيها للكتب المدرسية، يا ماما؟
«لقد أعطيته عشرين جنيها للتو في اليوم السابق . أخبرته، في القرية - كتاب مدرسي واحد يدور فيما بين خمسة أطفال» .
أوكيه - مام هل لي بعشرين جنيها؟
«إنهم يحتاجون إلى الكتب للمذاكرة . ماذا يمكنك أن تفعليه؟» .

«ليس الكتب فقط . هذا الشيء وذاك من أجل الكمبيوتر . قرص ومشغل وورق إلى آخره» . وضعت راضية كاحلا على ركبتيها وراحت تتشبث بالحذاء الضخم . أصبحت هادئة، وللحظة توقفت نازنين عن رؤية صديقتها وراحت تنظر إلى المرأة المنهارة المصابة بالتهاب في مفاصل اليد والوجه المهمل .
قالت نازنين . «إنه ولد طيب» .

«أوه، حقا . ولد طيب . يحب أوكيه مام . ولكن أحيانا أقلق من أنه يذاكر باجتهاد مفرط . وهو هادئ جدا . دائما في حجرته . أقول له أن يخرج ويزور أصدقاءه . يقول لي أوكيه - مام ثم يعود إلى حجرته» .

«شيفالي لديها امتحان في القريب؟».

مالت راضية إلى الخلف بشدة وراحت تنقب في جيوب بنطالها. أخرجت علبة سجائر سيلك كت وقداحة متاحة. كان هذا شيئاً جديداً وتأكيداً نهائياً لشانو أن راضية جذع أعوج على نحو غير قابل للتقويم. بدأت نازنين تفكر في مرطب الهواء وهل سيعود شانو قبل أن تتصرف صديقتها. أشعلت راضية سيجارة، وراحت ذبول الرمادي الخفيفة المنبعثة من أنفها تمتزج بألياف الرمادي في شعرها.

«نعم. إنها تريد سنة تقاعد». كانت تنطق الكلمات كأنها قطعاً

روث تتدليان من طرف عصا.

سألت نازنين: «ما هذا؟ سنة تقاعد؟»

«قبل أن تذهب إلى الجامعة، إنها تريد أن تقضي سنة تعمل

لا شيء».

ولكن سنة تقاعد لها وقع رسمي وعرفت نازنين أنها لم تفهم

بعد «أي نوع من اللاشيء؟»

وضعت راضية سيجارتها على الطاولة ذات الأرجل البرتقالية

والسطح الزجاجي وبسطت كفين مستويين: «شاهدي اليد اليسرى

هذه - لا شيء فيها. شاهدي اليد اليمنى هذه - لا شيء فيها.

أخبريني الآن كيف أن لا شيء يختلف عن لا شيء آخر؟».

قالت نازنين: «أوه، السيجارة». لقد تدرجت على الطاولة

وكانت تحترق على البساط ذي اللون الأخضر والأرجواني.

«اللعة. إن بساطك تالف».

قالت نازنين. «لا أعرف، لو أن بساطاً بحق أخضر وأرجوانياً

فمن الصعب جدا أن تقولي إنه تالف».

كانت الفتيات يفسلن أسنانهن بالفرشاة عندما وصل شانو إلى البيت. ترنح تحت المدخل وأسقط صندوق كرتون كبيراً عند قدميه. تملص من سيور الحقيبة القماش التي كانت تتدلى بين كتفيه وأرجحها إلى أسفل. لقد أزال قطعاً جبس أخرى كبيرة من الحائط. استقر الغبار على شعر شانو.

ضرب يدا بيد بضغمرات، بالطريقة التي يستطيعها رجل عندما يكمل مهماته وينتظر الثناء. قال: «ها هي»، بينما لا يزال يحاول أن يلتقط أنفاسه. «ألسنت أفعل دائماً ما تطلبينه؟ لقد أحضرتها». افتر ثغره لنانزين. أطلت الفتيات برؤوسهن من الحمام. نادى عليهن: «تعالين، انظرن ماذا أحضرت لأمكن».

خرجت الفتيات في ملابس نومهن ووقفن بجانب نازنين. كانت تفوح منهن رائحة معجون الأسنان ومسحوق الصابون ورائحة الأجساد الصغيرة النظيفة. لم تفكر نازنين في أي عذر لتتزعجن الآن وتقبل رؤوسهن المتلاثلة.

«تعلمن، أنني لما تزوجت اعتقدت أنني أحظى بفتاة بسيطة من الريف وأنها لن تسبب لي أي متاعب». كان يمثل دور الأحمق لهن. مدحرجا عينيه وناقشا خديه: «ولكنها الآن المرأة القائدة. أي شيء تقوله يهرع أبوكن ويفعله. انظرن. انظرن في الصندوق».

تقدمت الفتاتان معا. بدأت بيبي تشد في الشريط البني. دفعتها شاهانة جانبا وتولت المهمة. فجأة كانت الفتاتان تمزقان

في الكرتون، تفوصان بالأذرع داخله وتتصايحان.
«آه، انتظرا. ادعوا أمكما لتري».
اقتربت نازنين وجثمت بجانب الصندوق. بداخله ثمة ماكينة
خياطة ولفة خيط.
قال شانو. «هدية عيد الميلاد». لم يكن عيد ميلادها.
«هدية عيد ميلاد مبكرة».
«إنها ما كنت أريده».
لم يحتفلا قط بعيد ميلادهما هما، الفتاتان فقط.
قالت بيبي: «دعونا نجربها»
انحنى شانو وحل زمامة الحقيبة القماش الكبيرة. كانت
تحوي حاسوبا.
سألت بيبي. «هل هذه هدية عيد ميلادك؟».
«تلك هي». كان مسرورا. «هي كذلك».
وضعوا الحاسوب على طاولة الطعام وماكينة الخياطة بجانبه.
عثروا على خيط وقطع قماش. كسرت نازنين إبرة. أعد شانو
أخرى وراحت تخط منشفة أطباق بقماشة كانت تستعملها في
مسح الأرضية. قال شانو للأطفال: «من حسن حظ أمكما أنني
رجل متعلم».
خاطت شاهانة طرف قماشة على كيس وسادة. كان لبيبي
دور ولكنها لم تستطع أن تتحكم في الدواسة مع الإبرة في الوقت
نفسه. لقد ثبتت القماشة بينما أخذت شاهانة دورا آخر. اكتشف
شانو الضبط الخاص بتعرج الغرز وعمل نموذجا على سروال
قديم. مسحت نازنين الغلاف الأخضر الباهت على الرغم من أن

العلامات الوحيدة عليه كانت خريشات داخلية بالية من الممكن ألا تزول. صارت الماكينة دافئة بعض الشيء من الإجهاد وأحست أنها بحاجة إلى الراحة.

صاحت بيبي: «الحاسوب».

قال شانو: «دعوني أفعل هذا» عندما احتشدت الفتاتان أمام الشاشة. كانت هناك توصيلات كثيرة وإعادة توصيل وضرب أزرار قبل أن تبدأ الشاشة في الددمة والتحول ببطء من الأسود إلى الرمادي إلى الأزرق. طوال الوقت كان شانو يواظب على تعليق معلوماتي. كما تروا. هذا ما يسمى. هذا السلك يسير في ال. لا بد ألا تلمسوا أي. سوف أبين لكم كيف ال. قوست شاهانة ذراعيتها إلى أعلى في القماش الفضفاض لثياب نومها. أرادت أن تقول لأبيها أن يخلع معطفه. منعته نازنين بنظرة اعتراض. فالحالات المبهجة هذه كانت تأتي نادرا بما يكفي.

أصغت بيبي لأبيها بتركيز كأنها ستختبر فيما بعد. كانت الجمل الناقصة عبارة عن اختبارات للمعلومات وربما يطلب من بيبي أن تكمل الكلمات الناقصة.

جلس شانو وبدأ يكتب. كان يتفحص لوحة المفاتيح عن كذب قبل كل طرقة، مخفضا وجهه لصق الحروف كأن شيئا ثميناً انزلق بين الفراغات. بعد دقيقة أكمل جملة. تدافعت الفتاتان تلقيان نظرة. لقد مر وقت طويل على ميعاد النوم.

قرأتها بيبي بصوت مسموع: «سيدي المحترم، إنني أكتب لكي أحيطكم علما».

قال شانو بالإنجليزية: «كل ذلك سنكتسبه سريعا جدا» كان خداه متوردين بالسرور .

بدأت نازنين تتساءل عن النقود . من أين حصل على النقود؟ قررت ألا تفكر في هذا .

انصرفت شاهانة وتبعتهما نازنين إلى غرفة نوم الفتيات . شاهانة كانت تجلس إلى مكتبها . لقد أقام شانو لكل واحدة مكتبا من قطعة سطح مطبخ وجدها ملقاة في الشارع . لقد وضع أرففا فوق أسرتهم لتحمل كتب المدرسة، ولكن ليس ثمة قدر من المسامير أو الغراء أو السباب يمكن أن تحفظها على الحوائط، وفي نهاية المطاف رفضت الفتاتان بشيء قليل من الحكمة وشيء أكثر بقليل من الرضوخ أن تناما تحتها . استقر الخشب على الأرض وتكومت الكتب فوقها .

وقفت نازنين خلف ابنتها وراحت تخلل أصابعها في شعرها . قالت شاهانة، متجاوزة حدود الصوت العالي: «ليس مسموحا لنا أن نتحدث بالإنجليزية في هذا البيت» .

كان بينهم على الدوام هذا التوتر . لم يستطيعوا قط أن يتغلبوا على خيبات أملهم . لو أن شاهانة كانت ولدا هل كان الأمر يختلف؟ لقد كان يلاحظ بيبي بالكاد . كان يتحدث إليها، ولكن كم سيكون مندهشا لو بدأت بالرد عليه .

قالت نازنين: «ونحن على الدوام ملتزمون بالقوانين؟»

«ولكنها قوانين غبية في المقام الأول» .

قالت نازنين: «أعرف» .

عندما يخرج شانو مرارا كثيرا ما تبدل الفتيات اللغات . كانت

نازنين تترك هذا يمر. وربما حتى كانت تشجعه.
منذ سنوات وقبل حتى أن يولد رقيب حاولت راضية أن تتقل
نتاج فصول التعليم في مجتمعها إلى نازنين. لكنها كانت مفردات
هشة سهلة الخدش «إنني أريد أن أتمكن من ملء استمارة». كانت
تتدرب على هذا نحو مائة مرة كل يوم. وإلى حد بعيد لم
تجد جدوى منها.

على مدار العقد والنصف الماضي كانت تلتقط مفردات من
هنا وهناك. التلفزيون، التعاملات البسيطة في المحال غير
البنغالية القليلة التي دخلتها، طبيب الأسنان، الطبيب، المدرسين
في مدرسة الفتيات. ولكن البنات هن اللواتي علمنها. من دون
دروس أو كتب مدرسية أو عبارات راضية الأساسية. كانت
طريقتهن بسيطة: كن يطلبن أن يستوعبن.

عادت نازنين إلى اللغة البنغالية. «عندما تزوجت للوهلة
الأولى، أردت أن أذهب إلى الكلية لتعلم الإنجليزية. ولكن أباكم
قال إنه ليس هناك حاجة إلى ذلك».

نفضت شاهانة يد أمها بعيدا عن شعرها. عندما تنهدت
وارتفع صدرها أمام القماش الموبر لثياب نومها، رأت نازنين أن
نهديتها كانا يشرعان في الظهور. «ولقد كان محقا. فأنا أعرف
بما فيه الكفاية». يدها كانت تحوم فوق كتف ابنتها. ولكن لما كنت
أصغر كنت على الدوام أقلق على كل شيء. «استدارت شاهانة.
زمت شففتها وعينيها وأنفها». وماذا أيضا؟ عم تتحدثين؟ ماذا
يعنيني؟ إنني أكرهه. أكرهه». توثبت وشبكت يديها معا وكزت
على أسنانها ورفضت ساقى أمها بقدميها اللينتين الصغيرتين.

أسبوعان كانا كافيين لتعلم كل المميزات. تعلمت غرزة الخياطة المؤقتة، رفو الأطراف، عمل العرى والتجميع. كانت راضية تجيء كي تشرف وتصحح الواجب. أدخلت نازنين الزمامات وسارت على خطوط الغرز. قامت برفو طرف قميص شانو الداخلي المملوط. وقامت بعمل نماذج للغرز المتسلسلة على ثياب الدمى. لم يعد إبر مكسورة. ولا فوط أطباق مشبكة. لقد خيطة كل قطعة قماش فائضة في المنزل معا وانتزعت وقرنت بأخرى. للتمرين على قطعة طويلة حلت الستائر وخيطةها على شكل أنابيب.

كانت ملقاة فوق طاولة الطعام مثل أشرعة مفرغة. ثمة بكرات من الخيط الملون وضعت على كتب شانو، أعلام مشرقة توضح الطريق إلى المعرفة. انكبت نازنين على مهمتها بينما شانو يقرأ وينقر على لوحة المفاتيح، يغني ويتزحزح، ويتذكر كراهيته للكراسي فيهبط إلى الأرض، يتذكر ركبتيه المتخشبتين فيقوم، يدندن ويقرأ، ينقر ويتحدث.

اليوم ذهب ليشتري طعاما. طلبت شاهانة وهي ذاهبة إلى المدرسة هامبورجر بيردز آي. أما شانو فقد كان ينوي كاري رأس السمكة وسمك هلشا مجففا إذا لم يكن هناك سمك طازج. بحافظات قماش مستهلكة راحت نازنين تفك شريط حاشية تنورة داخلية ومعتقدة أنها سوف تحظى بإبرة أدق عندما حدث طرق على الباب.

شاهدت السيدة إسلام في الصالة المشتركة، وفي يديها سبراي رالجيكس هيت. حملت نازنين لها الحقيبة السوداء ذات

المسامات ووضعت ذراعا تحت كوع السيدة إسلام عندما كانتا تدخلان. السيدة إسلام كان لها كوعان حادان بنحو مفاجئ. نظفت نازنين الأريكة واستلقت الزائرة. سحبت ساريها من عند الردف، واستعملت الرالجيكس وتأوهت. رشت بطنها وأدخلت العلبة في كم سترتها ورششت مجددا. ثم رشت منديل ورق ووضعتة على وجهها. كان مفهوما أن هذه الاجهادات يجب أن تتم في هدوء وفي فترة شفائية مناسبة مسموح بها. وقفت نازنين بجانبها.

على الرغم من أنها لا محالة كانت تبدو أكبر وقتما كانت نازنين عروسا صغيرة فإن السيدة إسلام كانت نفسها تعترف بأنها في شيخوختها. الحقيبة السوداء هي نفسها شاخت بشدة كانت عبارة عن قرن ممتلئ بالأدوية وكأن الحقيبة في متأخر العمر وجدت مهمتها الحقيقية. إنها تحمل مستودعا من الأقراص وأقراصا للاستحلاب، مساحيق وزجاجات. ثمة برطمانات من المرهم وعلب لحبيبات غريبة. وكان هناك علييات من أجناس دوائية وبضع حزم محلولة من أعشاب. ولكن كل ذلك كان فقط مخزونا لإجراءات الطوارئ، ربما. كلما طلب من نازنين أن تنقب عن دواء كان دائما بنيلين تشستي كوفس.

أشارت السيدة إسلام في وهن نحو الحقيبة ووثبت نازنين إلى الأمام وحلت الإبزيم الحجري. ناولتها الزجاجاة وتجرعت السيدة إسلام من تحت منديلها الدواء. أثناء العشر سنوات الماضية لم تستطع نازنين أن تتذكر مناسبة واحدة سمعت السيدة إسلام تسعل فيها. كان عقار بنيلين تشستي

كوفس فعلا جدا . أحيانا خلال زيارة بعد الظهر كانت تشرب زجاجة كاملة وتروح في النوم لمدة ساعة أو نحو ذلك . كان شانو يتسلل حول المكان ويتحدث في همسات مبالغ فيها إلى نازنين . «أليس ذلك شرفا؟ انظري كم هي مرتاحة هنا . لقد عرفت زوجها» .

كذلك كانت تحمل سبراي رالجكس هيت هنا وهناك . كانت الرائحة المختلطة بالنعناع التي تضعه تحت لسانها وتجهيز شراب السعال الحلو يحدث حولها رائحة فراش المرض . ولكن عينيها كانتا حادتين وبراقتين وصوتها كان يجيء كالطلقة .

قالت : «منجم ذهب» ، بينما تحرك المنديل عن وجهها وتلقي نظرة في اتجاه ماكينة الخياطة . قالت نازنين : «لقد كنت أتدرب» . كانت تجلس في الكرسي ذي المسند والذي بلون روث الماشية وتمسك بممسحة مشبكة كدليل .

«لما كنت بنتا كنا نتعلم كيف نخيط باليد . لم تكن لدينا أشياء بهذه السهولة» .

لم تستطع نازنين التي أصيبت ببعض الشد العضلي في يدها اليمنى والتي كانت مشغولة بفكرة استعارة الرالجيكس سوى أن توافق فقط . «حقا إنها سريعة جدا . ماكينة جيدة» .

هزت السيدة إسلام شبشبها البيتي . «هل ستبدأين إرسال الفتيات؟ زوجك قال إنك كنت ستترسليهن غير أن أحدا لم يرهن» .

قالت نازنين . «أوه ، نعم» . خلال الجو الخانق لرالجيكس هيت اسبراي المستعمل لعظمة الترقوة ، قالت السيدة إسلام : «إنني

امرأة مريضة الآن. مريضة جدا جدا. أي شخص يمكنه أن يقول أي شيء لي، إنهم يعرفون كم أصبحت ضعيفة. أنت تقولين لي إنهن سوف يذهبن، لكنك لاترسلينهن. غير أنه لامرأة عجوز مريضة يمكنك أن تقولي أي شيء».

كانت تتحدث عن المدرسة، مدرسة المسجد الجديدة. لقد أنشئت بمنحة سخية من السيدة إسلام. كان المفروض أن تذهب شاهانة وبيبي إليها بعد أن تنتهي المدرسة العادية بالنسبة إلى اليوم ولكن شانو منع هذا. لقد استشاط غضبا. «هل يسمون هذا تعليما؟ التمايل مثل ببغاوات صغيرة فوق مجثم، يسمعون كلمات لا يفهمونها». سوف يعلمهن هو القرآن، ولكن ناهيك عن الفلسفة الهندية والفكر البوذي والأمثال المسيحية. قال لنازنين: «لا تنسي، كانت البنغال هندوسية قبل أن تصبح مسلمة وكانت قبل ذلك بوذية وذلك بعد حقبة الهندوس الأولى. إننا مسلمون فقط بسبب المغول. لا تنسي». وقال للسيدة إسلام: «نعم سوف ترسلهن زوجتي. إنني أتذكر زوجك لقد كان أكثر الرجال من الطراز المحترم. في وقت ما كنا نفكر في القيام بعمل ما. صناعة الخيش. تصدير واستيراد بعض الأشياء».

فتحت نازنين فمها لتعرض ولكن السيدة إسلام قاطعتها: «لك أن تفعلي ما تشائين. سوف أخبر أولادي - السيدة أحمد دائما تفعل ما تشاء، أنا لا أعارض لقد حاولت أن أعنتي بابنها، أحببت هذا الولد مثل ابني ولكنها أوقفتني وأنا لا أعارض». تناولت جرعة من البنيلين وبدا سيل أحمر بسيط أسفل جانب ذقتها. «يمكنني فقط أن أقول لك ذلك. المرأة المريضة مازال

لديها آذان. لو كنت تعتقدن أنها أصبحت صماء، فلأخبرك أن آذاني بخير. أسمع ما يجري». في حال استثارته كانت تنهض نصف نهوض، ولكنها تذكرت الآن وضعها غير السليم ثم ضبطته وساعداها فوق جبهتها. كانت الزجاجة والبخاخ يؤطران وجهها.

قالت نازنين: «سوف أتحدث إلى زوجي». بحثت عن مخرج. «كيف حال مفصل الورك الآن؟ هل يسبب معاناة كبيرة؟» زحزحت السيدة إسلام جانب ساريها إلى أسفل. نخرت كأنها تريد أن تقول، هل أنت راضية الآن؟

«أولادي يقولون لي أن أذهب لاستبدال المفصل، لكنني أعترض. لا أريد أن أضيع مفصلا جديدا سليما هباء. لا أريد أن أدفن بمفصل جديد. إن الله لا يحب المرأة المسرفة. وفري المفاصل الجديدة لهؤلاء الذين يستطيعون استخدامها. أعطي المال للمسجد وأعطيني فقط قليلا من اسبراي الهييت. ذلك كل ما أطلبه». سككت هنيهة ثم قالت من جديد بدماعة أكثر: «هذا كل ما أطلبه». عندها أعادت الكرة مرة أخرى، محاولة التلطف، إيجاء التلاشي، إيحاء بأنها الآن - حتى الآن - تنسحب من الحياة. «ذلك كل ما أطلبه». جلست نازنين على حافة كرسيها، أثناء الوصول إلى الحقيبة السوداء.

قالت السيدة إسلام: «افتحي الحقيبة لي يا طفلي» صوتها كان واهنا. ركعت نازنين وفتحتها.

«ضعي النقود في الجيب الجانبي. أنا لا أعدها».

«أنت لا تعدينها؟» مررت نازنين أصابعها على الإبريم

الملتوي الذي انطفاً بريقه.. بحثت في الداخل بين العبوات والأنايب لترى أين يمكن أن تكون النقود. من الواضح أنه مناسب أكثر لو حفظت النقود في القسم الجانبي حيث يكون من السهل إيجادها، بدلاً من إخفائها في مكان ما في مجاهل هذه الصيدلية. راحت تنقب في أرجائها. ثمة شيء لزج على البطانة. مسحوق ما انفجر من عبوة كرتونية مهترئة. المحتويات برمتها في حاجة إلى تنظيفها. كانت على وشك أن تعرض عليها ذلك عندما قالت السيدة إسلام: «آه حتى أكون صغيرة وقوية من جديد».

ثمة علبة من حلويات للمص كانت تقرر مسحوقة في قاع الحقيبة. أخرجتها نازنين وعرضتها. «انظري. العسل يتسرب».

لفت السيدة إسلام نفسها واتكأت بنفسها إلى أعلى على كوع. «هل وضعت النقود فيها؟» أتى صوتها حاداً وعلى الفور أردفت في نبرة أكثر وهناً، «هل وضعتها يا طفلي؟»

«ليس في وسعي أن أجدها».

«انظري ثانية يا طفلي خمسون جنيهاً كما هو مرتب»، نظرت نازنين عن كثب أكثر، رأسها فعليا كان داخل الحقيبة. كانت الرائحة كاسحة، جوهر الصحة العليلة.

صرخت السيدة إسلام: «ماذا تفعلين؟ اتركي حقيبتني».

نهضت نازنين وقد تحرق ظاهر عنقها. الحرارة تنتشر حول جمجمتها وفي خديها. قالت على مهل: «أنت طلبت مني».

قالت السيدة إسلام، وقد دبّت فيها الحيوية فجأة: «هل أبدو لك امرأة ميتة؟»

لم تستطع نازنين سوى أن تفتح فمها وتغلقه ثانية.
«هل تحاولين أن تسرقي مقبرتي؟ أعطيني نقودي».
لقد عرفت الآن. كل شيء أصبح واضحاً. لقد أخذ شانو قرضاً. وقد جاءت السيدة إسلام لتحصل. ولكن مازالت نازنين لم تتحرك. فلم يكن لديها نقود لتعطيها. كما هو مرتب. مشيرة باتجاه ماكينة الخياطة، وقالت في دفاع عن نفسها: «مازلت أتدرب ليس هناك من عمل بعد».

فكرت السيدة إسلام لوهلة. ركزت عينيها الصغيرتين السوداوين التي لطائر على وجه نازنين المتقد: «إنني أتفهم. سامحي امرأة عجوزاً مريضة ومتوترة. هذا ليكن اتفاقاً بين الأصدقاء. ادفعي حينما يتسنى لك». قامت بعرض للمجاهدة في الوقوف على قدميها وعاونتها نازنين لذا عندما نهضت، وقفتا فيما يشبه العناق. قبلتها السيدة إسلام، فم قاس على خد لين. إن كلا منا يفهم الآخر. سوف آتي مرة ثانية. سلامي إلى زوجك».

سارتا إلى الباب. دسّت السيدة إسلام حبة نعناع منعشة تحت لسانها ورشت سحابة عامة من الرالجيكس، إرشادات للعطر وأخذت حقيبتها من نازنين.

قالت: «سوف تهتدين إلى طريقة ما. الله دائماً يهب. عليك فقط أن تجديها. ولسوف أحضر أولادي المرة القادمة. إنهم يودون أن يروا زوجك من جديد».

أيض

الفصل التاسع

أيض

على جهاز الكمبيوتر استطاع شانو أن ينفذ إلى العالم بأسره. قال «أي شيء، أي شيء تريدين أن تشاهديه أخبريني فقط وسوف أجده. هذا السلك الصغير الذي يسير إلى مقبس التلفزيون - هل ترينه؟ - كل شيء يسري خلال هذا السلك».

قالت شاهانة بالإنجليزية: «نحن نستخدم الإنترنت في المدرسة». تظاهر شانو بأنه لم يسمع. راحت بيبي تتشبث بصفائرها. حاولت جاهدة حيث لم تستطع أن تفكر في أي شيء.

قالت نازنين: أود أن أرى كادام مرة ثانية. أوقف إصبعها. «إذن سوف ترينه». لكز على الفور. «إنني أكتبه في الداخل. الكلمات الرئيسية: أزهار بنجلاديش» فكر الكمبيوتر لوهلة. نظرت بيبي عبر كتفها إلى نازنين. زفرت شاهانة في أهداب شعرها، تطور جديد قرأه شانو بغطرسة. خفقت الشاشة بالحياة. «مائة وستين مدخلا» اندهش شانو. تلاعب بالفأرة وراحت صورة تجدل نفسها خيطا بخيط سميك. ثمة عنقود فوق الشاشة عبارة عن باقة من الكرات الشوكية القرنفلية.

قالت نازنين: «كادام»

«ممل» دندنتها شاهانة بالإنجليزية.

ظل شانو هادئا «٢٠٠٠ موقع بنغالي. من يريد أن يلقي نظرة؟»

اقتربت بيبي من أبيها. لكنه كان ينتظر شاهانة. وضعت نازنين يدها على ذراع شاهانة. همست «هيا، يا بنت» لم تتزحزح شاهانة. «ألق نظرة بسيطة».

«كلا إنه شيء ممل».

هب شانو واستدار في حركة واحدة فانقلب كرسي السفارة.
رعش خديه. «شيء ممل لصاحبة الجلالة؟»
قالت نازنين. «سوف تلقي نظرة الآن» تراجعت بيبي عن أبيها،
زحزحة محسوسة بالكاد أعطت الانطباع بأنها كانت تستجيب
للجذب الخاص بمجال القوة لأمها.

صاح شانو، متحدثا بالإنجليزية. ما الخط بك؟
قالت شاهانة: «تقصد ما خطبك؟» زفرت في أهداب شعرها.
«وليس الخطب». لهث بشدة كأنما لكزته في بطنه. على مدار بضع
ثوان كان فكه يعمل على نحو مسعور. قال، عائدا إلى اللغة البنغالية.
«أخبري أختك أنني سوف أوثقها وأقطع لسانها. أخبري صاحبة
الجلالة عندما أسلخ جلدها حية لن تبدو سعيدة بنفسها هكذا».
بدأت بيبي تردد: «سوف يوثقك ويقطع..» تحولت إلى نازنين.
«لا أريد أن أقول لها. يمكنك أن تقولي لها نيابة عني، أليس
كذلك؟» احتشد القلق في جبينها وأنزله قبالة عينيها.

بداخل شانو ثمة إعصار راح يعتمل. كان يهز جسده ويقلص
وجهه. زعق: «سوف أقتلك الآن»، نزع الفأرة من الكمبيوتر ودفع
نفسه نحو شاهانة. مس السلك شاهانة على خدها وجرت
لتحتمي خلف الأريكة. اقترب شانو من الأريكة لكنه وقف في
حيرة أمامها. تحرك إلى اليمين فموهت شاهانة لليسار. خطا
خطوة لليسار فراوغت في الاتجاه الآخر. اندفع من فوق وتمكن
من رسغ هزيل. بدأ يضرب بالفأرة بينما تتملص شاهانة وتلطش
بذراعها الطليقة.

فكرت نازنين، لو استطاعت أن تبكي فتوفر دموعه.
صاح شانو. «لا تقتربي من جهازى، محظور عليك». خاطرت
شاهانة بوضع رأسها أعلى ظهر الأريكة. توقف. «محظور على
أختك هي الأخرى. هل تسمعونى؟»
قالت بيبي بلباقة: «حاضر يا بابا».
قالت شاهانة: «حاضر يا بابا، لن أقرب منه».

أخذت نازنين الفتيات إلى حجرتهن. ثمّة احمرار أحاط
برسغ شاهانة: نزعت ذراعها بعيداً من أمها وامتصت شفيتها
في فمها.

قالت نازنين: «ميعاد النوم». قبلت بيبي وحاولت أن تقبل
شاهانة. استدارت وهي تغادر الحجرة في الوقت المناسب لترى
شاهانة تهبط بركلة على مؤخرة أختها. حكّت بيبي مؤخرتها
وجلست على سريرها. طرحت شاهانة نفسها ووجهها إلى أسفل
وشرعت تركزل مفرش السرير.

فرك شانو وجهه بيده بشدة وهز رأسه. أرجح أنفه السمينية
بمركز راحته. سأل. «هل ذهبن إلى الفراش؟»

قالت نازنين: «نعم»
لقد انطفأ الكمبيوتر.
ثمّة كرسي انقلب على رأسه.
قال شانو، «هؤلاء الفتيات» وقد تحير بوجودهم الفعلي.
«السيدة إسلام جاءت اليوم».
«هؤلاء الفتيات».
«السيدة إسلام».

تضايق. «لا تستمري في أن تقولي لي، السيدة إسلام!».
«لقد جاءت اليوم».

«بالفعل. لقد أخبرتني بذلك». وضع يده تحت بطنه وراح
يحركها لأعلى وأسفل.
«من أجل النقود».

بقميصه الداخلي المنحسر فوق صدره، دفع شانو بطنه
عاليا كأنها سوف تتطلق. كان التأثير مروعا. لقد أصبحت
مشدودة مثل بالون ممتلئ بالماء وأظهر شريطا من اللحم
الأرجواني، تواقا لتحية الهواء. أطلق سراحها فارتد اللحم
إلى حجره. «النقود؟ أوه، حقا سوف أتولى الأمر في الأسبوع
المقبل» ابتسم بطريقة مراوغة وفرك يديه معا. «تبدين جوعانة
بعض الشيء لما لا تصنعين بعض الشيمي؟ فلنتناول قليلا من
شيء حلو قبل النوم.

بعد ذلك، حينما أعدت الشيمي وأكل شانو بينما كانت نازنين
تغسل الأطباق، ذهبا معا ليريا أنهما نامتا، ليسمعاهما تتنفسان،
ليضعا أطرافهما تحت البطانيات، وليعطيا جرعات خفية من
الحب. سوى شانو شعر شاهانة بعيدا عن وجهها، جلس على
حافة السرير ووضع ذراعا عبر هيئتها غير المدركة. عيناه
الصغيرتان كانتا غائرتين في التغضنات. تبادلنا الأماكن وانتقل
شانو إلى بيبي. قبل وجنتها وأمسك يدها ورأته نازنين ورأت أنه
لم يكن متحيرا فقط ولكن خائفا. خرجا معا واستدارت بعد
غلق الباب ومالت عليه لذا استقر رأسها فوق كتفه وذقنه كانت
تخرفش قبالة شعرها.

لقد مرت فترة، أسابيع أو ربما شهور ولكن بالنسبة إلى نازنين بدت مثل أبد، عندما مضى إلى الفراش وظل هناك. توقف عن رسم الخطط. إن خططه التي أعطاها قصارى جهده والتي توقع منها كثيرا قد تخلت عنه. قبل ذلك، كان كل انهيار لطموحه، رغم أنه كان يندب حظه فإنه كان يقوده إلى تصميم جديد إلى مدى أكثر إلحاحا. كان يبدأ كل عمل جديد ببزة أنيقة جديدة ومجموعة متزايدة من الأقلام. كان وجهه يلوح بالأمل. ثم يطفق رماديا بالإحباط والتبرم. لقد بدأ عملا بزيارة لمصلح الأحذية وقام بعمل تكاليف على جانب حافظة أوراق متماسكة وجافة. أرقام ناهضة على خطط عمله المكتوب بنشاط والمعاد كتابته كانت توضح الطريق إلى الثروات. وراح يعمل بكد، فكان يعمل إلى وقت متأخر في خططه ويمزج مع نازنين ويغدو متسامحا مع الأطفال. ولكن تم تجاهله. من قبل الزبائن، من قبل الموردين، من قبل الرؤساء والوضعاء. عمل بكد من أجل الاحترام بيد أنه لم يجده. ففي العالم ثمة عجز كبير في الاحترام وكان شأنو من بين الجوعى.

في نهاية المطاف اضطجع في السرير وبدأ في سخط رتيب. ثم أخذ شهاداته ونثرها حوله وراح ينظر إليها، يوما بعد يوم، توقف عن السخط. توقف عن الأكل وأصبح بطنه صغيرا بشكل مقلق. فضفاضا ومتجعدا، كأنه جوال أرز مستنزف. عندما توقف عن الكتابة استبد بنازنين القلق.

اتصل به مكتب التوظيف لإجراء مقابلة. لقد عرضت عليه وظيفة غسل أطباق في مطعم. عاد إلى السرير ولكنه كان إلى

حد ما مصدوما . ثمة قبس من معركة راح يشتعل من جديد بداخله . وشرع يحدد مهمات لبنتيه .

كان ينادي . «شاهانة، بسرعة يا بنت . انظري . كوني سريعة» . عندما وصلت إلى حجرة النوم وهي تهرش بحدة في ذراعها ، أمرها أن تحضر شبشبته . رفعته من رجل السرير وعلقته من عقبه . قالت «هكذا»؟

«ضعيه في قدمي . بسرعة» . رفع قدميه . أثناء خروجها استرجعها لتضبط وسائده ، لتناولها إبريق الماء ، لتجد قلمه ، لتشد الستائر أو لتسحبها .

أو كان ينادي على بيبي . «بيبي ، كل شيء في هذه الحجرة مبعثر . كم مرة قلت لك أن تعاوني أمك؟» وكانت بيبي تسرع ، متخبطة بين السرير والتسريحة ، وواقفة على الفراش ، حيث كانت الطريقة الوحيدة لها لكي تصل داخل الدولاب ، لتعيد ترتيب البنطالات والقمصان والساريات .

بيد أن أداء هذه المهام لم يكن مقنعا . كانت الفتاتان تهرولان خلالها وعندما لا يستطيع أن يفكر في شيء آخر تتصرفان . في نهاية المطاف ينقر على شيء ما . راح يزاول كتبه من جديد واستخدم الفتاتان في قلب الصفحة . كان هذا شيئا تاما . مستلق على مصفوفة من الوسائد ، كان لدى شانو بنت تمسك الكتاب بينما تجلس على طرف السرير . كان عليهما أن تشاهدا وجهه من أجل الإشارات التي مفادها أنه اقترب من نهاية الصفحة وعندما تقلب إلى الصفحة التالية . كان لطيفا معهما . كان يعطي إشارات ، قليلا من الرفعات الموحية لحاجبيه المعقودين . الفتاة

الساھية فقط هي التي يتسنى لها أن تخفق في الملاحظة. الفتاة قليلة الأدب. التي تستحق الجلد كلية، لفظيا كان أو غير ذلك هي التي تقع في مثل هذا العجز عن أداء الواجب.

فكرت نازنين في هذا الآن، عندما كانت تخلع ملابسها. العذاب الأبدي ذو الأضلاع الثلاثة المؤلف من البنت - الأب - البنت. كيف انغلقوا على أنفسهم بمعزل في هذه المسافة القريبة جدا. يببي في هدوء تبحث عن الاستحسان ودائما جائعة. شانو ينتفض مع حاجاته الخاصة ودائما مغتاظ. شاهانة - أسوأ الأمور - كانت تمور في إحراج دائم. غاضبة بشكل مستمر. كان الأمر يشبه المشي في حقل حيات. كانت نازنين قلقة لدى كل خطوة تخطوها.

كان عليها أن تركز بشدة لتجتاز كل يوم. أحيانا كانت تشعر بأنها تحبس أنفاسها المساء بطوله. كان الأمر يرجع إليها لتوازن بين الحاجات المتنازعة، لتهدئ هنا وتعجل هناك، وتدفع اليوم قدما إلى نهايته. عندما كانت تخفق، ويكون ثمة انفجار، جلد أو نوبة غضب أو خد أسيل مبلل بالدموع، تشعر أنها دائخة بالمسؤولية. عندما كانت تنجح، كانت تجعل منها مانترا لا تنساها، ولا تتركها تذهب إلى رأسها. انتبهي، انتبهي، انتبهي. كان الأمر يستنفد كل طاقتها. يستبعد الحنين. كانت حاجاتها قاب قوسين في يدها وتحت سيطرتها. لو فقط ركزت بدرجة كافية. عندما كانت تشرد، كانت تفكر في حسينة، غير أنها جعلت أفكارها مؤثرة على قدر المستطاع. كم يمكنها أن تدخر؟ كم تستطيع أن ترسل؟ كيف ستخفي هذا عن شانو؟

أحيانا عندما تضع رأسها على الوسادة وتبدأ تتساق في النوم، كانت تهز نفسها مستيقظة في ذعر. كيف يتسنى لها أن ترتاح؟ ساعتها تذهب إلى المطبخ وتأكل من غير ما تعرف ماذا تضع في فمها. في الليالي السيئة عندما لا تستطيع أن تطمر أفكارها بالأرز أو الخبز أو المقرمشات، كانت تبدأ في التساؤل إذا كانت تحب بناتها كما ينبغي. هل تحبهن كما أحبت ابنها؟ عندما كانت تفكر فيهن على هذا النحو - حين كن يكبرن على مبعدة منها - كان بطنها يقع في رجليها ورثتها تصعدان قبالة قلبها. حيث كان يشبه بالضبط الإحساس الذي كان لديها عندما كانت تنزل إلى البحيرة في ليلة شتوية باردة مع حسينة. إنه الإحساس الذي اعترأها عندما كانت على وشك القفز، بينما تعرف أن الماء كان باردا بما يكفي لجعلها تصرخ.

وراحت تستخرج رقيب من عقلها. بتلك الطريقة تخمد جهنم. لذا كانت تبلع بجد وتصلي بجد، وتستخدم الصلوات، في مواجهة عهودها، لتحد من المشاعر وتحد من الألم.

عائدة من إحضار الفتيات، أعدت نازنين فنجان شاي وراحت تفكر مليا في النميمة أمام بوابة المدرسة. لم تحضر الآن سوى بيبي لأن شاهانة كانت تذهب إلى مدرسة أكبر وتفضل أن تعود بصحبة أصدقائها، ولكنها ما زالت تفكر في هذا باعتباره «إحضار الفتيات». قالت جورينا إن الشرطة جاءت إلى المسجد وأخذت تستجوب الإمام لمدة ساعتين. ليس من أحد لديه فكرة عن السبب، على الرغم من وجود عديد من المتاعب المتبأ بها والجميع يشك في أن الكنيسة كانت دائما تتعامل مع مثل هذه

الوقاحة البذيئة. كانت ناظمة تتحدث عن راضية مع سوروبيا وسكتت في نصف الكلام عندما وصلت نازنين. ثمة كثير من التآمر تمثل في حوار عام بين امرأتين يعضوين تناقشان كيفية إنقاص وزن كلابهما. إحدهما آثرت ريجيما منزليا إجباريا، بينما الأخرى أخذت حيوانها إلى عيادة إنقاص الوزن. على الرغم من أن الكلمات الإنجليزية لم تكن تتساب بسهولة من فمها، غير أن نازنين كانت قادرة على متابعة حوار لفترة طويلة. لم يعد يدهشها شيء ولكن بعض الأشياء مازالت تدهشها. كانت تعد فنجان شاي ثانيا بينما تفكر في الكلاب الضامرة ذات اللونين في جوريبور عندما عاد شانو إلى البيت بحزمة ملفوفة بالبلاستيك.

قال: «ليس هناك وقت لشرب الشاي، هيا. تعالي». أسرع إلى حجرة الجلوس وتبعته نازنين.

شق كيس البلاستيك وفرد أرجل دسطة أو قرابة دسطة من البنطالات الرجالية. «رفو الحاشية» أعلنها للعالم بطلاقة. «مجموعة للاختبار». شد في الطرف الآخر من الحزمة. قال: «زمامات، كل ذلك سوف نفحصه».

أرادت نازنين أن تبدأ على الفور، لكن شانو أصر على مناداة البنات.

«عندما تزوجتها قلت: إنها عاملة ماهرة. فتاة من الريف. غير مدللة. كل الفتيات - الفتيات الماهرات - سكت ونظر إلى شاهانة». كل الفتيات - الفتيات الماهرات لا يساوين شعرة واحدة في رأسها».

فتحت بيبي فمها وأغلقتة. لقد نزل جوربها الأبيض الشريطي حول كاحلها بينما بدت ساقاها جافتين ومتربتين. أما شاهانة فقد بدأت تستعمل مرطبا للبشرة. بالأمس رفضت أن تغسل شعرها بالفيري ليكويد^(*). فهي تريد شامبو الآن. قبضت نازنين على الغطاء الواقي لماكينة الخياطة. هز شانو رأسه وابتسم لها. لظمت الخيط وبدأت. رجل بنطلون واحدة، ثم الأخرى. عندما انتهت، قاموا بالتصفيق. طفقت بيبي مفتونة بما فيه الكفاية لتغامر بهتاف محدود. كان هتاف شانو حاسما وابتسمت شاهانة باختصار وعادت أدراجها إلى حجرة النوم.

أحضر شانو إلى البيت حقائب من قمصان من دون أزرار، وأكياس من فساتين غير مبطنّة، حوض غسل مملوء بحمالات صدر من دون مشجب. راح يعدها وهو يخرجها منه ثم أعدها وهو يعيدها فيه. كل يومين كان يخرج من أجل شحنات جديدة. كان يجري نوعا من ضبط الجودة، يسحب زمامات ويقلب ياقات بينما يجس خديه بلسانه. كدس شانو المكاسب وجمعها. كان هو الوسيط، يرى أن دوره قانوني وراح يناضل فيه. على مدار أسبوعين تحير على نحو محموم بالحسابات، محاولا أن يحسب أي نوع من مهام الملابس أكثر ربحا. حساب هامش الربح الأعلى. لكن كان عليه أن يأخذ ما هو متاح والحسابات نفسها كانت محاولة لهامش ربح قليل. عندها كان لديه وقت للإشراف في جد وجعل من نفسه متاحا عند طرف يدها، يناول الخيط، يناول المقص، يقدم نصيحة، يصنع شايًا، يطبق ملابس.

(*) فيري ليكويد: سائل لتنظيف الأواني.

قال: «كل ما عليك أن تجلسي هناك».

وقفت لتفرد ساقها. التقطت كتابا من كتبه ونفخت عنه بعض نسالة الملابس، آملة أن شيئا ما بداخله سوف يستجيب للنداء المهمل. كز على شفته السفلى. «إننا ندر نقودا جيدة هذا الأسبوع. لا تقلقي سوف أتولى العناية بكل شيء».

لمدة شهرين كاملين لم تعرف حتى كم كسبت. كان ثمة راحة عندما ولأول مرة منذ أن بدأ الشغل بالقطعة تراجع شانو إلى حجرة النوم ذات مساء ونادى على المختص بقلب الصفحة.

في يوم السبت، اليوم التالي صنع ما يشبه حصنا من الكتب حوله على أرضية حجرة الجلوس. وألقى حديثا حارا عن تاريخ البنغال القديم. في يوم الأحد حلق بعناية فائقة وتمرن أمام مرآة في بزة، غير أنه لم يخرج. في اليوم التالي خرج وعاد وهو يغني مقاطع لطاغور. كانت هذه علامة جيدة.

يوم الثلاثاء والأربعاء مرا على الوتيرة نفسها وشطبت نازنين بطانات سبع وثلاثين تنورة قصيرة. لم يكن لديها مزيد من الخياطة لتتجزه.

جمع شانو أسرته معا وطرده بعض العراقيين الضارة في حلقه. «كما أنتم مدركون كلكم». انتبه إلى ثياب شاهانة. لقد رفعت زيتها بالمدرسة لذا كان يتدلى على الحزام وينحسر إلى فخذه. من دون أن تغير سيماءها بدأت ترحزحه إلى أسفل شيئا فشيئا. «كما أنتم مدركون كلكم، لقد قررنا - كأسرة - أن نعود إلى الوطن. أمكما تفعل كل ما هو ممكن لتسهيل حلمنا من خلال مهنة الخياطة القديمة والمشرفة. ولا تنسوا أننا نحن الذين ابتكرنا كل

أقمشة الملابس هذه - الموسلين والدمقس وكل شيء أيا كان». كان يبدو متذبذبا. نظر إلى ابنتيه كأنما نسي من تكونان. فقط عندما تركزت نظرتة المنطلقة على نازنين تذكر نفسه. «إحم. إذن سوف نعود إلى الوطن. لقد أصبحت اليوم موظفا في كيمبتون كارز، سائق رقم واحد - ستة - واحد - تسعة، والمدخرات الخاصة بالمنزل سوف تزدهر. هذا كل ما يجب أن أقوله».

صفت نازنين وبيبي. جاء الأمر كمفاجأة أن شانو يستطيع قيادة سيارة. وكأنه يبدد شكوكهم الصامتة أخذ قطعة ورق من جيبه. قال بالإنجليزية «رخصة قيادة» تفحص في الوثيقة. «ألف وتسعمائة وست وسبعون. لم تبرز لي قط».

وهكذا أصبح شانو رجل تاكسي وكف عن أن يكون رجلا وسيطا. وفي أول يوم حار من السنة، عندما كانت النوافذ مغلقة في مواجهة تحلل صناديق القمامة والشقة تدنن بلحن مواسيرها وقد سلكت نازنين الطفح من الحمام المسدود وغسلت يديها وتهدت في المرآة. ظهر رجل وسيط جديد. كريم، بصرة ملابس جينز فوق كتفه العريض. هكذا دخل إلى حياتها.

الفصل العاشر

أبيض

كان شيئاً غريباً، واستغرق منها بعض الوقت لتدركه. عندما تحدث بالبنغالية راح يتلعثم. وفي الإنجليزية، وجد صوته ولم تسبب له صعوبة. وعلى الرغم من الاكتشاف، عادت إلى نقطة البداية وصاغت لها مجدداً. فكرت فيه. الطريقة التي يقف بها وساقاه منفرجتان وذراعاها مطويتان. شعره. مخلوق قريباً من جلد الرأس. الطريقة التي يؤول بها إلى مثلث عند المقدمة والقليل يقف منتصباً عند منتصف جبينه. كان مرتدياً بنطاله الجينز الضيق، كما قميصه مشمران إلى المرفق. كلا، لم يكن ثمّة شيء. ليس من دلالة على خلل في صوته البنغالي.

وكان واثقاً بنفسه. كان يتخذ وقفة قوية. أحياناً كانت ساقه اليمنى تعمل وفق إيقاع عشوائي. كان يلبس حذاء رياضياً وحول رقبتة سلسلة ذهبية دقيقة. قال: «عمي صاحب المصنع». ثم قال، «مصنع تشغيل العمالة. عمي صاحبه». دبذب بساقه وعبث بهاتفه المحمول، منتظراً أن تعد البطانات.

كان يحمل هاتفه عند ردفه في جراب جلدي أسود صغير. كان يشعر بطوله وعرضه ويتحسس سطحه بإبهامه، كأنما قد اكتشف زيادة، هذا الورم الخبيث على جنبه. ثم أعاد طي ذراعيه. كانتا تبدوان قويتين، شعره بحلاقة الموسى على جلد الرأس كان غريباً. إن شكل فروة يمكن أن يكون مبهجاً.

عندما رن هاتفه خرج به إلى الصالة. لم تلتقط سوى شذرات. كلمة، عبارة، كلمة مكررة، كلمة تجاهد لتطلق سراحها. الطالب لم يتركه يتحدث. هكذا كان يبدو. استغرق الأمر بعض الوقت لاكتشاف أن صوته، ليس مستمعه هو الذي خذله.

أخبرته «زوجي كان لديه هاتف محمول، لكنه تخلى عنه. قال إنه مكلف للغاية».

«ز ز زوجك على حق».

تحولت إلى الإنجليزية. «إنه لشيء مفيد جداً».

«أ - أ - أجل، ولكن م - م - مكلف للغاية».

أدركت على الفور أنها ارتكبت خطأً. فقد لفتت الانتباه إلى الشيء المحدد الذي فكرت أن تخفيه. لن يتحدث الإنجليزية الآن. لن يتبرأ من نفسه الآن. فكرت فيما تقوله وكيف تقوله ولكن عندئذ كان قد وضع النقود على الطاولة وانصرف. مازال أمامها خمس حاشيات أخرى لتتجزها إلى أن يأتي في المرة المقبلة.

عرفت وهي تفتح الباب أن ثمة شيئاً خطأً. التعبير الذي على وجهه. اندفع أمامها ثم إلى حجرة الجلوس. تذرع بإطار النافذة. قال: «ذهبوا، لقد ذهبوا». تدلى رأسه وكتفاه إلى الأمام ثم بدأ يتنفس الصعداء عندئذ فقط على الرغم من أن الحدث قد انتهى.

«ماذا كان هذا؟».

استدار. ثمة عرق كان أعلى شففته. أشعة الشمس تخللت شعره فجعلته يتلألأ. نوعاً ما من الزيت. أو مزيد من العرق. أخبرها عن الرجلين اللذين يدفعان المنشورات خلال الأبواب الأمامية. يدفعان منشوراتهما الحقيبة في صناديق الخطابات. لقد أخذ العلبة منهما على الفور رغم أنفهما وراح يعدو بها. عاد إلى وضعيته الآن. الساقان منفرجتان، الساق اليمنى

تعمل، ولاحظت وتر الفخذ داخل نسيج الجينز وراحت تخفض عينيها إلى خياطتها التي لم تنته منها. لقد طاردها غير أنه كان أسرع. لقد وضع العلبة في صندوق القمامة حيث تنتمي. دار حول المجمع السكني ولم يعرفا أين ذهب. ثم دار عائدا مرة ثانية ليتحرى، ولم يره أحد وهو يصعد إلى الشقة. آمن تماما. «سوف يحصلون على ما يخطر لهم، يا صاح. ليست تلك نهاية الأمر».

«ماذا تقول؟ المنشورات». لقد نسيت أن تغطي شعرها. جلس قبالتها على الطاولة، وهنا كانت الشمس خلفه مباشرة لذا رأته من طرف عينها في صورة ظليلة. كانت أول مرة يجلس في منزلها. فكرت في إعداد الشاي لكنها كانت مترددة ماذا سيعني، أن تشرب الشاي مع هذا الفتى. إنه لم يكن قريبا. «أعرف من هما».

«هذان الرجلان».

«أعرفهما، يا صاح. أعرفهما».

«نعم».

«جماعة قلوب الأسد. هم وراء الأمر. سوف نجعلهم يدفعون الثمن، يا صاح».

«من يكونون؟».

«مجرد ستار. إنهم فقط مجرد ستار. إننا نعرف كل شيء عنهم. كل شيء». نصب راحتيه على الطاولة، مضمومتين بعض الشيء، يتذبذبان. كان يزن أهمية الأمر برمته، أو يبحث عن المتاعب.

وضع يديه تحت الطاولة. شاهدته على نحو مائل.
قالت: « في بلدنا كل شخص لابد أن يأتي ويساعدك».
رجع إلى الورا في كرسيه. «هذه بلدي».
أخبرته أنه مازال أمامها خمس حاشيات لتتجزها، وقال إنه
سينتظر. على الرغم من أنها خلت عينيها في عملها غير أنها
أحست بنظرتة. الشمس على محيط الإبرة ترسل مناشير قزحية
فوق أظافرها. راحت تخطط في دفقات وفكرت في سحب الستارة
لكن الفكرة كانت مربكة على نحو ما بالنسبة إليها ولم تفعل ذلك.
علقت آخر حاشية فاضطرت أن تقوم من أجل المقص.
ساعتها رأت أنه كان يقرأ طوال الوقت فسارت سخونة في
وجهها. تطلع إليها بينما أشاحت هي بوجهها.
قال: «هذا الساري، كانت أمي لديها واحد. أقصد من القماش
نفسه».

كان أزرق فاتحا ومن حوله شريط أخضر غامق... لقد انتقاه
شانو. كان يسميه لطيفا وقال إنه يشبهها، جمال رقيق، حيث
أحبه على الرغم من أنها كانت تعرف أن الكلمات هي التي
كانت تسعده.

لم تقل شيئا.
«إنها الآن في عداد الموتى». راح ينظر في مجلته وكأن أمه لم
تعن شيئا بالنسبة إليه.
«أنا آسفة».

قال «أجل، يا صاح». وقلب الصفحة، «هل أنت مسلمة كما
ينبغي؟ ثمة عشرون طريقة للجواب». رفع المجلة ورأت نازنين

أنها لم تكن أكثر من بضع صفحات منسوخة بالأبيض والأسود ومدبسة معا من الجانب.

السائق رقم ١-٦-٩-١ غالبا ما يكون في الخدمة خلال المساءات. طفقت المساءات في الشقة أكثر راحة. الفتاتان كانتا تعملان واجبهما أمام التلفزيون. قالت شاهانة إن هذا يساعدها على التركيز. بيبي كانت تلوك طرف قلمها. الضحك الموجود على الموسيقى المصاحبة للفيلم لم يجعلها تضحك قط، على الرغم من أن شاهانة كانت تبدي قهقهة متكلفة. استمرت نازنين في شغلها. لو عملت بسرعة، لو لم تحدث أخطاء، لاستطاعت أن تكسب قدر ثلاثة جنيهات وخمسين بنسا في الساعة الواحدة. وربما أكثر قليلا. كانت تسمع التلفزيون وتخطف النظرات لشاهانة وهي تستلقي على بطنها، وساقاها في الهواء تعقدهما وتحلها. فكرت في الأوراق فئة الخمسة جنيهات داخل البرطمان والملفوفة في قماشة بداخل كيس بلاستيك في حاوية شفافة موضوعة في الخزانة تحت حوض المطبخ. ذكرت نفسها بالنقود الموجودة داخل ظرف في الرف العلوي بجوار القرآن، وقررت أن ذلك حرام ويجب عليها أن تنقلها. عدت النقود المكبوسة في رجل جورب ملفوفة على هيئة كرة في ظاهر درج ملابسها الداخلية. ثمة خمسة جنيهات أخرى تم وضعها اليوم. خمسة عشر جنيها أخرى ملفوفة في سوليفان داخل حقيبة ساندويتشات محشورة في كوة بالحائط بجانب السخان. سوف تأخذها على بنك سونالي^(٤٥) في الصباح. سوف تصل إلى

(٤٥) سونالي: بنك بنجلاديشي - المترجم.

حسينة قبل نهاية الشهر. سوف تعطي بعضا منها لشاهانة من أجل الأشياء التي تطلبها، شامبو وكريم وملقاط للشعر. أحيانا كان شانوي يظل في الخارج طوال الليل. وتباعا كانت تستيقظ مبكرا وتسخن الطعام، الأرز مطبوخ طازجا. جاهز له على الطاولة. «سوف آكل الآن». كان يقولها عندما يجتاز الباب. ويجلس ومازال مرتديا معطفه ويأكل، قافزا عندما يتذكر أنه لم يغسل يديه، مجهزا جرعة أخرى حتى قبل أن يغادر مكانه ثانية، طالبا الطرشي ومخللات حلوة وشريحة ليمون وبعض شرائح البصل وكوب ماء. قال «أوه، حسنا، ضعها هنا» عندما أخبرته أنها بالفعل على الطاولة قال لها «ضعها هنا حتى يتسنى لي أن أطولها».

كان يقول: «هؤلاء الأناس من الأنواع الجاهلة. ماذا يمكنك أن تفعلي؟» إنها لم تعرف شيئا عن شركة كيمبتون كارز. لم تسمع عن أي سيد دالواي أو أي ويلكيز. فالزبائن يحتفظون بسرهم. كل ما عرفته هو ما قاله لها بأنهم أناس من الأنواع الجاهلة. ولكنه كان رابط الجأش، «كما ترين، لقد جاهدت طوال حياتي ومن أجل ماذا؟ أي خير عاد علي من هذا؟ لقد انتهيت من كل ذلك. والآن أنا فقط آخذ النقود. أقول شكرا. أعدها».

وضع كرة من الأرز والدال في فمه وضغطها في داخل خده، «كما ترين عندما ذهب الإنجليز إلى بلدنا لم يذهبوا ليمكتوا. لقد ذهبوا ليدرروا نقودا، والنقود التي أدروها أخذوها خارج البلد. إنهم لا يغادرون وطنهم قط. ذهني، يخرجون النقود، وهذا ما أفعله الآن. ماذا بوسعك أن تفعله غير ذلك؟».

هذه الأحاديث كان يصوغها بلغة بسيطة من رجل بسيط - على الرغم من أنه لم يكن من النوع الجاهل - ولكن عندما أخرج كتبه في المساء الذي قضاه بالبيت، شرع يتكلم بطريقة مفايرة. كانت برفقته شاهانة تقلب الصفحات بينما هو يستلقي على الأريكة. أما بيبي فكانت في حجرة النوم تلوي كاحليها معا تحت المكتب وتلوك قطعة ورق. وجه شاهانة كان مشدودا على نفسه، موضوعا في قناع من التجاهل. جثت بجوار الأريكة وأمسكت كتابا في شكل زاوية بالنسبة إلى وجه أبيها. رفع حاجبيه. ثم رفعهما ثانية أعلى هذه المرة لذا انفصل كل منهما عن الآخر عند المنتصف. قامت شاهانة بقلب الصفحة.

قال شانو «آه، البحث عن المعرفة. وهل هناك رحلة أكثر إشباعا؟ نادي أختك». لكنه ناداها بنفسه. «بيبي تعالي بسرعة». أقبلت عدوا ووقفت خلف شاهانة. أخذ شانو الكتاب في يده هو، جلس، لأك بعض المعرفة التي كان يخطط لاقتسامها معهما. «سأقول لكما شيئا ما. كل هؤلاء الناس الذين يحتقروننا لا يعرفون ما سأقوله لكما. إنني أحتفظ به هنا بوضوح تام». لوح بالكتاب، «من ذلك الذي حفظ أعمال أفلاطون وأرسطو للغرب في العصور المظلمة؟ نحن. المسلمين. نحن حفظنا الأعمال لكي يتسنى للمسمى بقديسكم توماس^(٤٦) أن يدعي أنها من اكتشافه هو؟ هذا هو مستوى ثقافتنا وذلك هو مستوى عرفانهم». أخذت بيبي طرف ضفيرة وثنته في فمها. قال شانو العصور المظلمة، بينما فزع وجهه من الإهانة. هذا ما ينادون به في

(٤٦) المقصود القديس توما الأكويني الذي ادعى أنه أعاد اكتشاف فلسفة أرسطو وحاول مصالحتها على اللاهوت الكاثوليكي الروماني السائد آنذاك - المترجم.

الكتب المسيحية. هل هذا ما يدرسونه لكم في المدرسة؟» رمى الكتاب على الأرض». كان هذا هو العصر الذهبي للإسلام، أوج الحضارة. لا تتسبى ذلك. لكما أن تفخرا وإلا لضاع كل شيء. استلقى ثانية، مجهدا من الافتراء وبدأت الفتاتان تتسحبان. صاح وراءهما، «هل تعلمان ماذا قال غاندي عندما سئل عن رأيه في الحضارة الغربية؟».

تلكأت الفتاتان عند الأريكة.

«قال إنه كان يعتقد أنها ستكون فكرة جيدة». ضحك شانو وابتسمت بيبي. قال: «سوف أعلمكم، المزيد عن ديننا. ولسوف نتدارس الفلسفة الهندية. بعد ذلك الفكر البوذي». ثم وضع مسندا تحت رأسه وشرع يندندن.

كانت نازنين تساعد الفتاتين في ترتيب حجرتهما. ثمرة رفاقة من ورق الحائط تقشرت عن الحائط فوق سرير بيبي وكانت تحول نفسها إلى لفافة. رفعت دمية من الأرض ووضعتها في نهاية السرير. كانت هناك دمية على هيئة رجل تحت الكرسي. وقد أصبحت بلا عينين وبذراع واحدة، عارية وموسومة بالتراب. نظرت نازنين إليها لكنها لم ترفعها.

قالت شاهانة «أنا لن أذهب، سوف أهرب». فتحت خزانة وأخرجت حقيبة. في داخلها قد وضعت ثوبا للنوم وحذاء وبنطلونا وتي شيرت. إنني مستعدة للهروب. فركت بيبي قبضتها في خدها. لقد احمرت عيناها. أريد أن أبقى معها. قالت نازنين «شش. بلا كلام سخيف».

صاحت شاهانة «ليس كلاما سخيفا. لن أذهب».

رتبت نازنين المكتب. رفعت كومة من الملابس المتسخة وحملتها إلى صدرها. تحسست بيبي السجادة الرقيقة بإصبعها الكبيرة وكانت شاهانة مشغولة بخريشة ساعديها.

«علينا فقط أن ننتظر». جلست نازنين في سرير بيبي وكومة الملابس المتسخة في حجرها «إننا لا نعلم ماذا يدبر الله».

لم يكن هذا كافيا فراحت نازنين تبحث عن شيء آخر. ولوهلة واحدة مدوخة تدفقت بالقوة: سوف أعتني بالأمر لمصلحة الفتاتين. كان يكبحها في أحشائها كأنها ستنتقياً وعندئذ بالسرعة نفسها غادرها ذاك الشعور.

أقبلت بيبي وجلست بجانبها حتى تشعر بحرارة جسدها. كانت هناك بقعة حبر على بلوزتها المدرسية ولمعان أبيض على البشرة الجافة في قصبه ساقها.

«هل تريد أن تذهبي؟»، أدارت بيبي وجهها العريض لتتظر إلى أمها كأنها سوف تتصيد الإجابة من بين شفيتها.

روت نازنين للفتاتين حكاية «كيف تركت لقدرها». لم تكن المرة الأولى التي تسمعانها، لكنهما سمعناها جيدا. بدأت بالكلمات «لقد كنت طفلة مولودة ميتة» وختمت بـ «كانت تلك إرادة الله».

هذه هي الطريقة التي كانت دائما ترويها بها. اكتشفت بيبي ندبة على ركبتها وعبثت بها. بدأت نازنين في طي الملابس التي في حجرها، تذكرت أنها متسخة فكورتها ووقفت. عندما وصلت إلى الباب نادى لها شاهانة.

«أنت لم تجيبي. إنها ليست إجابة».

قالت نازنين. «إنها إجابتي».

كانت القرية تغادرها . أحيانا ثمة صورة تأتي . حية وقوية إلى درجة أنه باستطاعتها أن تشمها . غالبا كانت تحاول أن ترى ولا تستطيع . كان الأمر وكأن القرية علقت في شبكة صياد هائلة وكانت هي تشد في عين الشبكة الرقيقة بأصابع دامية، نصف مغمضة في الشمس، تبتعت الرؤية بالشباك والأهداب . بمرور السنوات تضاعفت طبقات الشباك وبدأت تعتمد على نوع آخر من الذاكرة . ذاكرة الأشياء التي عرفتها ولم تعد تراها .

لم يكن سوى في نومها أن تأتيها القرية بكاملها . حلمت بممتاز تلك الليلة وطائر المينه خاصتها . الطائر ينام في راحة ممتاز على ظهره بينما تدغدغ صدره الأسود اللامع . صلصلة قدميه عبر قمة مزيتة والشريط الأبيض حول عنقه . «أنت تجعلني أضحك . ها ها ها» . أرجع رأسه إلى الوراء ونكسها ، ثم نكسها ثانية . «أنت تجعلني أضحك» .

كانت ممتاز تطعمه بيدها هي . كان ينام على سطح كوخها وكانت تكنس له فضلاته كل صباح . على مدار سنتين كانا متلازمين . مصممت أما أسنانها المعوجة الكبيرة «تعاملني معه كطفل لكنه سوف يطير بعيدا . ضيعي حبك على طائر لكنه لا يستطيع أن يحبك في المقابل . سوف يطير بعيدا» .

قالت ممتاز للطائر «أنت سيئ، ابتعد» . لكنها ابتسمت لآما «لو كانت هذه إرادة الله فسوف يطير بعيدا» .

أخبرت أما نازنين «إنه لشيء مؤسف، أرملة وبلا أطفال وكان عليها أن تعود إلى أخيها . إنها تمنح حبها لطائر . معتمدة على رجل كذلك» .

قالت نازنين «شيء مؤسف».

بيد أن ممتاز لم يبد أنها تعرف كم كان هذا مؤسفا. كانت تغني للطائر والطائر يجعلها تضحك. تقول له «أنت تجعلني أضحك» والطائر يضحك في المقابل. كانا يلعبان معا لعبة بكرة مطاطية صغيرة. ممتاز تقذف الكرة والطائر يلتقطها في منقاره.

قالت أما «سوف يطير بعيدا». بينما تطحن التوابل وتتحمس أسنانها على شففتها. التفت مشطا قدميها في الأرضية الموحلة للساحة. من ظلال شجرة الرمان راحت تقاوم بضع دقائق أخرى من حياتها العائرة. صاحت في الفتى الخادم لأن الساحة لم تكنس كما ينبغي وصاحت في الأرملة الوافدة (قريبة تم ضمها ولكن قريبة بدرجة أقل والتي كانت تعاني طيلة مدة خدمتها). واصلت الطحن متأوهة.

قال الطائر لنازنين يوما ما، «أنت سيئة، ابتعدي». مضت ممتثلة.

ضحك الجميع وأخذت نازنين قرارها بالعودة والانضمام للضحك ولكن ساقبها كانتا لاتزالان تحملانها. راحت تسير حتى أطراف القرية وتطلعت عبر الحقول والنهر، شاهدت قاربا بشراعه البالي كسولا في الهواء الساكن، كان المراكبي يجلس غير مبال على مقعدته. عندما بدأ الدخان يتصاعد من رابية أبعد قرية جذبتها فكرة العشاء للعودة. قالت ممتاز، «حسن يا صديقتي الرزينة أمازلت سعيدة بعودتك للحياة؟».

لم يطر الطائر بعيدا. علمه شخص ما كلمة بذيئة. كانت أما مستاءة. ضحك آبا وقال: «طبيعي أن تكون غاضبة. فهي تتحدرد

من عائلة أولياء». ابتعد بضعة أيام وعندما عاد كانت ثمة وثبة في خطوته. تعلم الطائر كلمة بذيئة أخرى. كان ينادي بها كل شخص يمر وكانت لها ضحكة جديدة، ضحكة من مؤخرة حلقه، وعندما كان يضحك آبا هو الآخر كانا يبديان إخوة.

تم إخراج طاولة إلى الساحة الكبيرة. رصت حولها مقاعد. ظل النسوة في ناحيتها وراح الرجال يلوكون غلابينهم. شاهدت نازنين وحسينة الكبار وهم يصلون ويأخذون مقاعدهم. سحبت حسينة لحية خيالية وسعلت وبصقت. لكزتها نازنين في ذراعها. بدأ آبا في الحديث وراح الرجال يسحبون بكل قوتهم من نراجيلهم ويرشفون الشاي. انتهى آبا وبدأ رجل آخر في الحديث شاركه آخر ثم آخر وسرعان ما راح كل شخص يصارع ليسمعه الآخرون. انطلقت صرخة من أماكن النساء بعثرت كلماتهم كأنها حفنة من بذور. سكتوا وطفقوا شاردين. حتى هذه اللحظة كان الجو هادئا، ونهض آبا وسار مسرعا عبر الباحة بينما تلكأت نازنين وحسينة في الخلفية. لذا وصلوا من اتجاهات مختلفة إلى ممتاز في الوقت نفسه. كانت تحمل الطائر، مستلقيا على ظهره في راحة يدها بينما تدغدغ صدره الأسود. اقتربوا أكثر ورأوا كيف كانت رأسه تتدلى لأسفل. لقد أصبح مؤكدا الآن أنه لن يطير بعيدا.

استيقظت من الحلم ونظرت إلى وجه زوجها مهصورا على الوسادة. ساقاها لم تزلتا متشابكتين مع قدميه. عدلتهما. ثم ذهبت إلى حجرة الجلوس وبدأت في الخياطة. بعد فترة وجيزة أمست الماكينة مملة فجلست فقط بعيدا عنها.

ثمة كومة من الصديريات الموشاة تستلقي إلى الجانب. لقد وضعت الزمامات لثلاث منها. رفعت واحدة وفردتها أمامها. الأقراص البلاستيكية تجعل الضوء، يتذبذب بين القرمزي والأبيض. أخذتها إلى الحمام وأغلقت الباب. فكت أزرار ثوب نومها وأخرجت ذراعيها من الكمين وربطت الكمين حول خصرها. أصبحت الزمامة في الخلف فكان من الصعب أن تشدها إلى أعلى. لكنها تدبرت الأمر. نظرت في المرآة. وبسرعة أشاحت بوجهها بعيدا. في الخزانة وجدت شريطا لشعرها لفته أعلى رأسها. نظرت في المرآة لكنها لم تر نفسها، فقط وهج الترتري وعندها أغمضت عينيها فكان الجليد يوضع برائحة اليزفون ثم راحت تتحرك في خفة وكان ثمة شخص بجانبها، يدها في يد أخرى، ودارا معا والأذرع حول الخصور، ومن خلال رموشها نصف المغمضة رأته، السلسلة الذهبية الدقيقة حول رقبته. وعندئذ فتحت عينيها وخلعت الصديرية. فردتها نصب عينيها مرة ثانية ورأت أن الترتري رخيص. قلبتها في يديها. كان الترتري يشبه قشور السمك.

دهانموندي، دكا

يناير ٢٠٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

كم علي أن أغدق الثناء لله! كم منحني الكثير! طوال الأوقات
أقترب أخطاء، طوال الأوقات أحييد عن الطريق المستقيم، والله
يمنحني الفرصة من جديد ثم من جديد.

أخذوني من بيت النساء الساقطات عبارة عن بنسيون فقير
في هازاريباخ تحت جناح الأخ أندرو الذي وصل هنا من كندا
لإتقاذنا. صديق لافلي أخرج امرأة أخرى من هناك ولافلي تقول
«إنها ليست المرأة الوحيدة المحسنة في دكا بأسرها. فلنأخذ
واحدة أخرى». كذلك قالت للزوج جيمس.

في الحقيقة الواقعية اسم زوج هو جامشيد راشد ولكن
الجميع ينادون بجيمس. لافلي لها اسم أنورة بيجم ولكن ليس
من أحد يناديها هكذا.

كل شخص ينادي بلافلي حتى أطفالها هي.

المنزل في دهانموندي. مكان جيد والمنزل جيد للغاية هو
أيضا. في الطابق السفلي حجرة كبيرة بأثاث خشبي كثير،
تلفزيون، فيديو، ماكينة. خشب خاص، الأثاث أنت لن تري مثله
قط كم هو يلمع. هذه الحجرة تعرف بأنها حجرة الاستقبال.
حجرة صغيرة مملوءة باللعب والكتب هي حجرة اللعب. هي
حجرة واحدة كاملة للأطفال مخصصة للعب. الحمام في
الطابق الأسفل والمطبخ بجانبه. حجرتي بجوار المطبخ. بها

مصباح كهربى.

فى الطابق العلوى حجرة للافلى وجىمس. تسمى حجرة نوم السيد. الولد يسمى جىمى. له حجرة كبرى مجاورة. اسم الطفلة دىزى. لها حجرة خاصة الكل لها. حجرة نوم أخرى تسمى حجرة نوم الضيوف. كل يوم أدخلها وأرفع الملاء من أجل تهوية السرير. تقول لافلى: « فى إدارة المنزل الجيدة يكون سرير الضيف دائما يتهوى جيدا». كل مساء لابد أن أتذكر رفع الملاء من جديد.

أختاه الله لم يحول وجهه عنى. كل الأخطاء التى أقترفها. هأنذا على الرغم ومع ذلك.

الشارع عريض وجميل. ولكن كيس البلاستيك يهب من كل مكان. امش فى الشارع لمدة عشر دقائق وفى النهاية تتغطى بكيس على الساقين والذراعين والبطن. الجميع يكرهون الكيس لكن أيضا الجميع يتقبلون، ماذا بوسعك أن تفعله؟ مثل كأنما خلق الله الذبابة وكيس البلاستيك متكافئين، متكافئين بالنسبة إلى الوجود فى هذا العالم.

نهاية الشارع تغدو ضيقة ويوجد محل أو محلان وأيضا ورشة لعربات الريكاشة. ترينهم يرسمون اللوحات الخلفية وكذلك على تاكسى الطفل. أحب أن أشاهد أكثر ما يرسمونه، غالبا هو تاج محل أو مسجد ولكن كذلك الطاووس، النمر، الفيل، ونجم فيلم. أحدهم يرسم صورة لوجه امرأة وأتوقف وأسأل. وجهها يخص مغنية فى الولايات المتحدة تسمى برىتنى سبىرز. جميلة جدا هى أيضا. ولكن عندما أجد النفس هناك أتباطأ وأتوقف

عندئذ أتذكر أنني لا بد أن أسرع وأقوم بالمهمة للآفلي. كم مرة
يجلب الله لي الحظ من جديد.

مهمتي في المنزل من أجل العناية بالأطفال، التنظيف، غسل
الأطباق، غسل الملابس، التسوق، هذا كل ما هنالك. يوجد رجل
من أجل الطهي وهو أيضا يتحمل عملا ثقيلًا في الحديقة وأنا
فقط أفعل بعض الري وقطع الحشائش وزرع بعض خضار خاصة
قليلة خلف المنزل. ترين طبيعة الحال. مكانة جيدة جدا.

أختاه أنتظر خطابك وأدعو. لكن ربما منذ وقت طويل انتقلت
وهذه الكلمات ظلت كلمات مادام أنها لا تذهب إليك وإنه حبي
فقط هو الذي يصل إليك. أينما كنت لا يزال يصل إليك ويعثر
عليك دائما.

حسينة

أتسلم خطابك. كل الخطابات الأخرى ضاعت. ذهبت في ذلك الوقت الذي لم أكن أتشبه بشيء فيه. أتسلم خطابك. الكثير جدا أريده منه إلى درجة أنني أرغب في أكله وأجعله جزءا مني. ولكن يكون عندئذ ذهب، أيضا علي أن أنظر إليه. البنات فخورات بك. قولي لهم إن عمته تبعث لهم الحب ولا تنسي أبدا. تقولين إن زوجك يعلمهم الشعر. كيف يسبب ذلك المتاعب؟ رجل جيد له لكي يؤدي هذه المهمة. نحن لا نتعلم قط هذه الأشياء لكن أحيانا هناك تتشابك معنا. إنها تظل بالعظام. تقولين ليس من شيء تغير. أحيانا تقولين إنك حزينه بخصوص هذا. ولكن يا أختاه عددي نعمك. إن عدم التغير هذا الشيء هو نعمة رقم واحد. والدكتور مازال يأتي ليأكل في منزلكم. كم أحب أن أفكر في هذا. أختي تقدم الطعام لدكتور! الزوج يحصل على وظيفة كبيرة الآن بعد هذا الوقت أعتقد. التسلية من دون دكتور. هذه كلمة جميلة مقابلة لها.

هي تحب كثيرا جدا أن تتسلى. إنه في طبيعتها الخاصة أن تقيم عشاء وحفلا لا يهم ما وكيف تجعلها متعبة. فقط بضع سنوات قصيرة مرت لافلي هي مس كاميليا في المهرجان الإقليمي للجمال. كانت يقينا متأكدة أنها كانت مس بنجلاديش لكن الزواج اعترض الطريق ويوقف هذا كله. إنها تقول «أذهب حول العالم لكن من أجل زوجي. كثيرا جدا هو يحبني لا يستطيع أن ينتظر».

أحيانا تأتي إلى حجرة اللعب وتستلقي على الأريكة. الأطفال يتقافزون فوقها ويضعون أذرا صغيرة حول الرقبة. أحياء قلبي (هكذا تناديهم). لو حاولت أن تحصري العدد تنفذ الأرقام قبل أن تنفذ اللعب. جيمي عنده ثلاث سنوات ونصف ويمضي مثل ذبابة زرقاء في برطمان. أغلب الوقت يلعب لعبة الجيش ويحب أن يوجه ضربة على الذراع والساق. اللعبة الوحيدة التي يأخذها البندقية والسيف. طاقة كاملة جدا هذا الولد، عندما يجهد يهوي في أي مكان وأحمله إلى السرير. الطفلة ديزي بدأت تسير للتو. الآن تمشي ورائي في كل مكان مثل بطة صغيرة ولا أتركها تبعد عن ناظري قط ولا توقوق. مرة حملتها لافلي وخرجت بها لكنها عادت وتقول لا أدري ماذا أصاب هذه البنت. في البداية تفقد ديزي خادمة عجوز رحلت بسبب أنها تغش في نقود التسوق. لكنها الآن على ما يرام معي. عندما تأخذ لافلي الأطفال ليخرجوا للزيارة تضع الحلوى في فم الطفلة وهذا يمنع الصوت من الصدور.

إنني أبلي بلاء حسنا في الخدمة. تقول لافلي أوه لقد أنقذت حياتي إنك ملاك. إنها سيدة لطيفة عطوفة. «سوف أتحدث مع جيمس لبناء توسع. مكان مناسب للخادم. هذا المنزل صغير جدا». لا أنام في حجرتي في الوقت الحاضر. الطفلة ديزي تبدأ في الاستيقاظ ليلا ومن حجرتي صعب جدا أن أسمعها. بضع ليال أنام على الأرض لكن الزوج يضرب في الأرض ويرتطم مشط قدمه بالرأس. لذا آخذ الفرشة وأنام على أرضية حجرة الأطفال. أحسن في الواقع الحقيقي من حجرتي الخاصة.

الآن لو تقلبت بالليل لا أرتطم بالباب. ويوجد نافذة للهواء أيضا... حجرة جميلة. زيد (الطباخ) وضع أجولة الأرز وأجولة الدقيق في حجرتي كله فوق أشياءي وأنا تحدثت إليه بالفعل. يقول «حجرة؟ أي حجرة؟ أرى خزانة. أرى رفا. لا أرى أي حجرة لعينة». زيد ينام في المطبخ على طاولة. إذا كان هنا ليلا... ليال كثيرة ذهب بعيدا ولا يعود إلا في الصباح متأخرا. تقول «هل تعتقدين أن لديه امرأة؟ هل تعتقدين أنه سوف يتركنا؟ يمكنه أن يحصل على عمل في أي مكان. إن الكيتشاري الذي يعده^(٤٧) مشهور على امتداد نهر بوريجانجا. شخص ما سرقه. أعرف هذا. أعرف هذا».

ليس شيئا سهلا أن تتولي إدارة منزل. أحيانا أحس أن لافلي لديها أشياء كثيرة جدا تثقل عليها.

أبريل

الطفلان كلاهما نائم الآن وقت بعد الظهر هو الطريقة التي أجلس بها مع القلم لأجلك. أيام كثيرة ينام فيها الأطفال أوقاتا مختلفة وعندئذ يجعلني هذا مشغولة اليوم كله. الطفلة ديزي تستيقظ مبكرا ربما في الساعة الخامسة والنصف. الأخ يستيقظ فيما بعد ويتأخر جدا في المساء للذهاب إلى الفراش. عندما أستلقي في الليل رأسي يلمس الأرض وبعد ثانيتين ثلاثة يأتي النوم. البارحة تقيم لافلي حفلا لأحد عشر شخصا ضيفا. زيد يدور حول المطبخ بسرعة إلى درجة أنه يبدو مثل صوفي

(٤٧) كيتشاري: طبق يشبه الكشري المصري، يحتوي على الأرز والعدس والتوابل - المترجم.

في دورانهم الراقص. الأطفال أيضا أكثر إثارة مع كل الضيف والهدية والحلوى. يستغرق الأمر طويلا حتى يهدأ. عندئذ بعد الغسيل والتنظيف يراقبني زيد بعض الوقت. ثم يقول «وقتي يحين». ويخرج.

تجيء هنا لافلي الآن فقط ترى الأطفال. تراني بقلم فأثب لكنها تقول لي أن أهدأ. أخبرها عنك يا أختاه. تقول لافلي كم هو جميل. هذه سيدة طيبة. ليس ثمة كلمة غضب تمر من شفتها... إنها تجلس معي وتناقش. تلبس روبا بلون يشبه الخوخ الناضج. الشعر دائما مرسل إلى الورا جميل جدا. هل رأيت بريتني سبيرز هذه؟ هكذا أكثر قليلا تبدو لافلي. ورشة الريكاشة تصنع مزيدا من العريات برسم لصورة هذه المغنية. يدهشني كثيرا أحيانا كم تبدو مثل فتاة بنغالية لها شعر طويل أسود وعين سوداء.

لافلي تقوم بتمرين للوجه. مرة ما قال محكم في مهرجان الجمال الإقليمي الذقن ضعيفة. كل يوم تقوم بتمرين للوجه للتقوية رغم أنها تبدو وفيرة قوية من أجل الأكل والكلام وكل شيء. عندما تنتهي تقول «تعلمين أننا نعيش في مدينة كبيرة لكنها بالفعل قروية جدا». ثم تخبرني عن معرض موضة كبير يسمى «بات إكسبو». يعني المعرض البنجلاديشي للملابس والمنسوجات. إنها تتنهد كأنها رأت قطعة من الجنة. المعرض يقام في فندق بان باسييفيك سونارجون إنه مكان فاخر جدا وتقريبا ليس قرويا. كيف جعلته يبدو. إنها تبين لي كيف تسير الموديلات تقول هذه المشية تجيء بطبيعتها معي على الرغم من أن بعض

الموديلات يعانون معها . طريقة رائعة جدا تسير ويد على ردف مثلما تنصهر ويمكنك أن تتمايلي وتتدفقي . ثمة موديلات شهيرات هناك . ملكة جمال الهند هناك . إنها شهيرة في أنحاء العالم . لافلي تصف لي كل الملابس، الطعام، الرقص، الموسيقى . هل سمعت أغنية «باربي جيرل»؟ هي المغنية المفضلة للجميع . لافلي تجلس معي لكل هذا الوصف . إنها تسأل «هل تقولين لي شيئا ما وتقسمين أن تقولي الحقيقة؟» ، لن أكذب عليك أبدا، «من الذي يمنح هذا السقف فوق الرأس . هل تعتقدين أن بيتي أجمل مني؟» ، وجهها يصبح جادا كلية . بيتي صديقتها وهي كانت مس شيتاجونج^(٤٨) ١٩٩٧ أقول لها لا وهذا حقيقي لأن لافلي أجمل في عيني . تبدو مسرورة بعض الشيء «أسمع هذا يقال مرات كثيرة أن بيتي أجمل من مس أجمل ابتسامة» . ثم راحت تشرح بخصوص مس أجمل ابتسامة التي هي بنت وزير حكومة . أوه من العار عندما تقول هذه الفتاة إنها ستصبح محامية وتساعد النساء المدمات وكل المصورين والمراسلين يتجمعون حولها ويتشبهون بالكلمات عندما تفعله من قبل مطلقا للنساء المدمات وأليس عند لافلي هنا معدمة نعيش معها هنا ... أقول إنه عار شديد . تعتقد لافلي أن تلك الفتاة تحتل مرتبة عالية في مهرجان الجمال بسبب اسم أبيها . أتفق معها . ثم تقول لي إن كاميرا التلفزيون تأتي لتلتقط فيلما لبات إكسبو . مصمم الموضة الهندي يتحدث على الكاميرا ويسجل رأيها بالفيلم في أن شعب بنجلاديش يجب أن يكون أكثر وعيا

(٤٨) شيتاجونج: الميناء الرئيسي وثاني أكبر مدينة في بنجلاديش - المترجم .

بالموضة. تتنهد لافلي وتقول «كيف تتوقعين هذا في مكان حتى مدينة العاصمة فيه قروية للغاية».

إنها تتحدث معي كثيرا جدا وتشرح لي مشاكلها. لو أكنس الأرضية عندئذ تتعلق الطفلة ديزي بالساق جيمي يعدو هنا وهناك ويتخفى في كومة متسخة ولافلي من وقت إلى آخر تجلس وتقول لي. بيتي أفضل صديقة وهي تحظى بكل شيء يبدو أن كل شيء يأتي إليها بلا عناء مطلقا. هذا على سبيل المثال، الزوج جيمس لديه سائق، أحيانا يأتي السائق للافلي ويصطحبها. لكن السائق يأتي بمهمة والوقت ليس متاحا دائما للافلي. تطلب بيتي من زوجها سيارة وسائقا وعلى الفور تحصل عليهما بلا سؤال يسأل لافلي ما زالت تنتظر السائق. كذلك هذا المنزل ليس كبيرا بما يكفي، في هذا الشارع بيوت كثيرة أكبر حجما من هذا البيت. بالإضافة إلى أن لافلي لا بد أن تتدبر المنزل وأطفال مع خادمة واحدة فقط وطباخ واحد. الزوج جيمس يقول ليس هناك حاجة لخادمة بالإضافة إلى خادمة. ولكن في الواقع الحقيقي تحتاج لافلي إلى خادمة أيضا كذلك. وتتوقع أن تقضي وقتا كثيرا لعمل الإحسان وللحفل الذي يعتبر مهما لمركز الزوج ووظيفته.

جيمس لديه عمل مع شركة تسمى بانجالا الوطنية للبلستيك. تبدو شركة كبيرة جدا ولكن في الواقع الحقيقي هي شركة من الحجم المتوسط. تقول لافلي «إنها تبدو كثيرا مثل شركة كبيرة». بضع مرات تقول هذا. تحب كثيرا الزوج جيمس وهذا أيضا سبب للحزن في داخلها على اعتبار أنه لا بد أن يعمل ساعات كثيرة بعيدا عن المنزل. هذا الرجل أعرفه بالركبة فقط.

عندما يكون في المنزل يدفع الكرسي بعيدا عن الطاولة ويجلس والأرجل متقاطعة والوجه في جريدة حتى إنه يأكل الوجبة مرات عديدة ووجهه في الجريدة. دائما أرى ركبته. لو يمر بي وأنا أغسل الأرضية أو ألعب مع الطفلة وأخفض عيني على ارتفاع الركبة كل ثنية للبنطلون تعلمتها.

تقول لأفلي ثمة شيء صعب في العمل. سنتان الآن ينتظر قاضي محكمة ليبري اسم بنجالا الوطنية لبلاستيك. كذلك ثمة كلام لمنع أكياس البلاستيك. تقول لأفلي «عندما يروننا في الشارع سوف يسعدون». إنها لديها بالفعل عناية برأسها.

رغم ذلك ومع ذلك فهي كثيرا ما تكون روحها المعنوية عالية جيدة ولا سيما في الحفل عندما تسمعين ضحكتها لطيفة جدا للجميع. يوما ما تخبرني «لقد ضيعت فرصتي في الحياة يا حسينة». لا لا تتحدثي هكذا ما أقوله لخليتي. الله دائما يعطي فرصة أخرى. هو يعطيني وهو يعطيك. تبتسم لي فقط وتقول «كم أنت جميلة».

إنها قلقة على الطاهي أن ينصرف من أجل وظيفة أخرى في منزل مزود بمكان خاص للخادم. إنه طاه خبير جدا وطعامه دائما يعجب الضيف والصديق. لكنني أعتقد أن زيदा سوف يبقى. إنه يأتي ويذهب إلى أي مكان كما يشاء. يفوته الإفطار وأحيانا الغداء إنه كذلك يفوته أن يطبخ العشاء. لأفلي تقول فقط أنت هنا هل تتعبين لتجهزي بعضا من الناراميش^(٤٩) الرائع لوجبة المساء؟

(٤٩) ناراميش: طبق يعد من الخضراوات وأحيانا يضاف إليه العدس - المترجم.

إنه رجل غريب. دائماً يمارس كونغ فو، يتحرك، يركل، يقذف الذراع يد تفرم حتى وهو يطهو. إنه رجل صغير صلب كأنه مصنوع من السلك بشرة رقيقة فوقه. ليس ثمة رقة في أي مكان يمكنه أن يكسر جوز الهند بين مشطي قدميه. عندما تخرج لافلي يشاهد فيلم الكونغ فو على ماكينة الفيديو. جيمي يشاهد معه فقط عندما يصبح هادئاً. في الليل غالباً يخرج زيد.. إنه يقول لمدة شهور قليلة مقبلة لابد أن يخرج لأن الانتخابات مقبلة ووقته يحين. أسأله أي حزب تؤيده لكنه لا يقول. ربما الحزب الوطني البنجلاديشي، ربما حزب آل^(٥٠)، ربما جماعة الإسلام هكذا يقول. في وقت الصباح يكون لديه شح جديد أو كدمة لكنه لا يقول أي شيء وأنا لا أسأل. جيمي يجري عليه بذراعين صغيرتين تدور مثل مروحة ويصيح اقتل مت اقتل اقتل اقتل. إنهما يمارسان الكونغ فو سوياً. ميعاد النوم الآن الولد يقبلني ويحضنني. الطفلة ديزي دائماً تدير وجهها دائماً لي وتجلس على رجلي طوال اليوم إذا لم يكن هناك عمل أؤديه. عندما تبتسم ترجع رأسها وتظهر جميع أسنانها. طوال حياتي أبحث عن شيء واحد فقط من أجل الحب من أجل العطاء والأخذ ويبدو أن مثل هذا الشيء مليء بالخطر يمكن أن يفترسك حية والآن أتوقف عن البحث إنه يظهر لي ويظهر كله هذه الأسنان الصغيرة.

جاءت راضية عندما كانت تقرأ خطابات حسينة. لقد قرأتها بالفعل مرات كثيرة لذا فالكلمات أصبحت الآن في ذهنها حتى قبل أن تمر عيناها عليها.

(٥٠) آل: المقصود Awami League وهو الحزب العلماني الرئيسي في بنجلاديش - المترجم.

خبأت نازنين الخطابات تحت بكرات القطن.
راحت راضية تهوي على نفسها بكتاب. كانت ترتدي حلة
العلم الوطني على سروال شالوار. الطيات الفضفاضة للقماش
في السروال جعلت مؤخرتها تبدو هائلة. لقد صمم السروال
ليتم لبسه مع حلة طويلة وكان حارا للغاية أن يرتدى مع حلة
رياضية.

قالت راضية «مفتشو الصحة اللعناء هؤلاء أغلقوا المصنع.
أتوا مع مترجم وراحوا يتجولون بينما يسألون أسئلة بلهاء، هل
الجو حار دائما هنا؟ قلت لهم لا. في الشتاء هل تضطرين أن
تأخذي إزميلا وتكسري الثلج بين أصابع قدمك». وراحوا يدونون
ذلك كله في دفترهم الغبي.
«كم سيظل مغلقا؟».

خلعت راضية نظارتها، «على الأقل هذا يمنح عيني راحة».
رمشت بشدة. التقطت إحدى الحلل الموشاة.
«لقد حاولت شيفالي أن تخرج من المنزل وهي ترتدي بعض
الأشياء القليلة مثل هذه. قلت لها مستحيل». بدلت نظارتها
ودحرجت عينيها، «البنات. إنهم مشكلة».
«كيف حال طارق؟».

قالت راضية «الأولاد!» وضعت الحلة وأشعلت سيجارة سيك
كت «يقولون إنهم يغلقون المصنع من أجل الصحة والأمان ولكن
الجميع يعتقدون أن ثمة شيئا آخر. الأناس الذين أتوا هم من
الهجرة. لكنني لدي جواز سفري. قلت سوف أحضر جواز سفري
لكنهم لم يريدوا أن يعرفوا». شددت حلتها.

«مواطنة بريطانية. ليس هناك ما أخفيه».

هوّت على نفسها من جديد ولوحت بسيجارتها إلى نازنين.

«هذه الحلة حارة جدا. حارة جدا».

«نعم إنها تبدو حارة».

تتهددت راضية «لكنني لأبد أن ألبسها من وقت إلى آخر.

إنني أسمع ما يقولونه. راضية ممسوسة بعض الشيء. مخبولة مخبولة». قوقآت قليلا وأحدثت بعض الضوضاء المدندنة، «راضية أصبحت إنجليزية صرفة. إنها تطلق كالمملكة ذاتها».

«إنهم دائما يتكلمون». البارحة مرت نازمة - التي ظهر أخو زوجها فجأة - لتستعير حفنة زعفران. تهادت إلى حجرة الجلوس وهي ترفع يديها. قالت لا أستطيع أن أمكث، «مستعدة لصد أي انقضاض على الاستضافة... لكنها مكثت بما يكفي للإدلاء ببعض التلميحات عن راضية، «هل تعلمين؟ إن المرأة تدخن».

قالت راضية، «دعيهم يتحدثوا، لو توقفت عن لبس هذا الآن سوف يعتقدون أنني أصغي إليهم».

«لو كان لديه الوقت دعيهم ينموا».

قالت راضية، «هيا، دعيني أساعدك. أو أنني سأجن، أجن بكل هذا المهمل من حولي. سوف أركب خمس زمامات مقابل فنجان شاي واحد».

راحت نازنين تشرب شايا وتشاهد صديقتها. من خلال النافذة المفتوحة كانت أمواج الموسيقى تتهادى وشذرات من الكاري. كانت وردية العمل. الوجبات الرئيسية كانت تطهى طوال أوقات النهار أو الليل ليس من شيء يوقفها. ثمة أصوات ترتفع

في الساحة، فأطلقت إلى الخارج نحو مجموعة من الصبيان البنغال. أحدهم كان يجثو بجوار كومة كبيرة من المنشورات، كان يقسمها إلى كومات أصغر. عندما نظرت إلى الوراء اعتقدت أن واحدا منهم ربما يكون كريم، لكنها أجبرت نفسها ألا تتنظر ثانية.

تقول راضية «ليس لديهم وظائف، إنهم لا يذاكرون وليس لديهم وظائف».

«إنك محظوظة مع ابنك».

«أوكيه، أنا محظوظة. غير أنني أتمنى أن يخرج ويكون بعض الصداقات. أخبرته أن يذهب إلى المسجد ويكون صداقات لكنه لم يكن ليفعل».

«وماذا عن الكلية؟ لديه أصدقاء هناك؟».

فكرت راضية «أجل لابد أن يكون ذلك صحيحا».

راحت كلتاهما تصغي إلى ماكينة الخياطة. فكرت نازنين في حسينة وهي في مصنع الملابس. كم كانت سعيدة. خطرت على بالها زوجة أبيها، امرأة شابة بحلقة أنف كبيرة، خلاخيل ذهبية سميقة حول كاحليها. جاءت إلى الحي السكني ونامت في ثكنات آبا المخصصة للنوم. جاءت فجأة ومضت، ولم يقل عنها أي شيء آخر.

لم تترك عنها أي انطباع سوى أنها امرأة شابة بحلق زينة للأنف وخلاخيل ذهبية. أين ذهبت؟ أين أرسلت؟ كم من الوقت قبل أن تتصهر الخلاخيل وتتفق؟ كم من الوقت حتى تسنى لها أن تكون حيث كانت حسينة أيضا؟ لكزت نازنين خافقيها بإبهامها.

كان ذهنها يبدأ في التثنت من جديد . يتسكع في هذا الطريق وذاك من دون نظام . في سرها بدأت تتلو سورة الفاتحة: «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم...»

قالت لنفسها «وأرنا إلى أين يؤدي»، قالت راضية «ماذا؟». عبثت نازنين بفنجان شايها . تساءلت إذا كانوا سيأخذون فناجين الشاي معهم إلى دكا أو هل سيخلفونها وراءهم . انتهت راضية من آخر رشفة وشربت شايها على الرغم من أنه كان تقريبا باردا . «يجب أن أعود إلى العمل . الأطفال في حاجة إلى النقود . طارق يصبح مجنوننا . هذا الصباح لم يغادر حتى السرير . إنه في حاجة إلى نقود من أجل الكتب وإلا سوف يرسب في الامتحان» .

«متى أغلق المصنع؟» .

«منذ ثلاثة أيام . ليس منذ فترة طويلة، لكن طارقا قلق للغاية . سوف أفتح الباب بالقوة بنفسي إذا لم يفتحوه . أو أذهب إلى زيارة السيدة إسلام» . رفعت نازنين الفنجان إلى شفيتها وأمالته حتى تغطى وجهها . كان فارغا . كررت الحركة . لكنها الآن رأت أن راضية لم تكن تلمح إلى أي شيء . لم تكن تعرف عن «تسوية شانو الصغيرة» مع السيدة إسلام . ونازنين، متورطة في الخطيئة لم تكن لتقول . مسحت راضية على وركها واتخذت صوتا واهنا . «ادفني فقط الآن إنني مناسبة للموت» .

ضحكت نازنين «لا تقلقي بنيلين تشيستتي كوفس يمكن أن يعالج أي شيء» .

نبحت راضية «حينما كنت بنتا كنا نولي كبارنا الاحترام. أصبحت واهنة من جديد. لكنني من الناحية العملية ميتة. خذي دعابتك. خذي أي شيء تريدينه. خذي ردي. سوف أترك لك الرالـجكس». نخرت نازنين، غير أن راضية طفقت مستغرقة، «إننا جميعا نفكر: كيف ترتقي هذه المرأة عاليا؟ هل تعتقدين أن هؤلاء الذين يصعدون عاليا يفكرون فينا: كيف يبقون في وضع مترد؟»، هزت كتفيها الكبيرتين «لكننا نعرف بالفعل عنها. إنه فقط من الصعب تصديقه».

لقد ذهبت السيدة إسلام اليوم السابق. لقد أتت بصحبة أولادها، بينما راح شانو يتقافز في أنحاء الحجرة كأنها متناثرة بالمسامير. عد النقود حتى وصل إلى خمسة وسبعين عندها رفعت السيدة إسلام منديلا ورقيا مخرما وتركته يطفو على صدرها. أحد الأولاد فتح الحقيبة. قال الآخر، «ضعها في الداخل». أعاد شانو بقية أوراق النقدية في حقيبة السفر. ساعدها الأولاد في السير نحو الباب. أحدهم كان موثوقا به بما يكفي ليحمل الرالـجكس. قالت نازنين «كم ندفع؟».

قال شانو «إن الأمر بين أصدقاء، إنها تقدم لي معروفا. فقد كنت على معرفة بزوجها».

عاد كريم في الصباح التالي ليجمع الصديريات. وقبل أن يتبادلا كلمتين رن هاتفه. انتحى بنفسه في الصالة. رآته نازنين يتكئ إلى الحائط وإحدى فردي حذائه الرياضي على حافة الجدار. عادت إلى حجرة الجلوس لكنها لم تعرف هل تقف أم تجلس. عندما عاد تظاهرت بأنها مشغولة بالطي.

قال «أبي»، أغلق الهاتف ووضع في جرابه. نظرت إليه. شعره منتصب عند المقدمة زغب دقيق صغير أسود. إنه دائماً يتصل بالهاتف المحمول. أقول له ألا يضيع النقود هكذا. لكنه لا يصغي، «ثنى ساقه مختبراً أنها مازالت تعمل». وعلام يتصل على أي حال؟ ليس لديه أي شيء يقوله لي يا صاح. «ربما كان قلقاً».

«أجل يا صاح. قلق وعصبي. إنه يفقد توازنه بالقلق والعصبية».

جلست نازنين. طوت يديها في حجرها. سوت قماش ساريها ذي اللون الأزرق الفاتح وطوت يديها ثانية. لقد نسيت مرة أخرى أن تغطي شعرها.

جلس كريم وذراعه على الأريكة. لم تعرف ماذا يمكنها أن تقول، لذا لم تقل شيئاً. كان كريم يجلس في المكان الذي يسند فيه شانو رأسه. الأكياس البلاستيكية بليت من فترة طويلة وزيت الشعر جعل القماش لامعاً. تذكرت أن مكالمات الهاتف على وشك العمل، أو أشياء أخرى - لم تستطع أن تتخيلها - تخص عالماً هناك بالخارج والتي لم تكن لتفهمها قط. كانت من أبيه وذلك الذي أحضره على مبعدة خطوة صغيرة من عالمها. مازال ليس في استطاعتها أن تفكر في شيء تقوله.

«كان يجب أن يتقاعد بسبب الأعصاب. لم يستطع أن يتحمل وقتاً أطول من هذا. خمس وعشرون سنة كمفتش تذاكر في الحافلات، والآن لا يستطيع حتى أن يغادر الشقة. ذلك ما تحصلين عليه يا صاح. ذلك ما تحصلين عليه».

«حقا هذا ما تحصل عليه».

أوماً بحيوية بالغة كأنما قد سمع فكرة جديدة، فكرة بمقدورها أن تغير حياته للأبد .

«أعلم ما تقوله . ذلك ما تحصل عليه . طيلة كل هذه السنوات في الحافلة . وهو يسب بكل الشتائم، يستقبل كل الوقاحات . الأطفال يمنحونه وقاحات . الرجال يسخطون عليه . تقتلع له سن . شخص ما يتقيأ على حذائه، يا صاح» . نظر إلى حذائه الرياضي . كان نظيفا .
«سوف أعد شايًا» .

سارت إلى المطبخ وتبعها . استند بظهره إلى الخزانة . عندما يكون شانو في المطبخ يستند هو أيضا ، ولكن يواجه الجهة الأخرى وبطنه يستند إلى سطح المطبخ .
«كان عليه أن يأخذ معاشا مبكرا والآن يجلس فقط في المنزل يقضم أظافره ويتصل بالهاتف، لا تثر المشاكل، إنه لم يثر أي مشكلة لأي شخص . المشكلة الوحيدة التي يثيرها هي لنفسه» .

مرت أمامه نازنين لتحضر اللبن . كانت توضع منه رائحة منظف . رائحة ليمون هشة للملابس النظيفة .

كان الشاي جاهزا . لكنه لم يبد أي إشارة على الحركة . هل يشربان الشاي وهما واقفان في المطبخ؟ هل ستدعوه ليجلس معها في الحجرة الأخرى؟ كيف سيبدو ذلك؟ هل سيكون من الأفضل أن تجعله يجلس، بينما تواصل هي العمل؟ قررت أن تلك أفضل خطة .

«هو يعتقد أنه المهاتما غاندي. يعتقد أنه المسيح عيسى (عليه السلام). أدر الخد يا صاح. أدر الخد».

رفعت الفناجين.

«وماذا عن محمد عليه الصلاة والسلام. كان مجاهدا».

قالت نازنين «أجل».

نظر إليها كأنما يحتاج مزيدا من الوقت ليستوعب تأثير ما

قالته. اعتصر ظاهر عنقه.

كانت لاتزال تحمل كلا الفناجين عندما شرع هاتفه يصفر.

نقره فاتحا إياه.

قال: «منبه الصلاة».

كانت مندهشة إلى درجة أنها انزلت إلى البنغالية «ماذا

تقصد؟».

«في ال، ال، الهاتف. إنها خدمة يمكنك الحصول عليها.

لتنبهك إلى وقت الصلاة». هل ستقوم بالصلاة هنا؟، قالت هذا

من دون التفكير، بالطريقة ذاتها التي تحولت بها في وقت آخر

إلى الإنجليزية.

هز كتفيه. كف عن الاستناد، «أجل سوف أفعل».

سار إلى الحمام ليتوضأ. في حجرة الجلوس، وفي الحيز

الصغير خلف الأريكة، وأمام الباب بسطت سجادة الصلاة

خاصتها. قالت «سوف أصلي بعد ذلك بقليل»، لم يكن ثمة خطأ

في هذا. ليس ثمة سبب لكي لا يجب أن يصلى هنا، فقط كان

هذا سيؤخرها قليلا.

«الله أكبر».

وقف منتبها، ويده مرفوعتان في مستوى كتفه. وضع يده اليمنى فوق اليسرى على صدره. حاولت أن تمنع كلمات الصلاة من أن تتشكل على شفثتها. الصلاة مع رجل غير مرتبطة به لم يكن مسموحا به. سوف تصلي في وقت لاحق.

«سبحان الله وبحمده، وتبارك اسمك، وجل جلالك، ولا إله غيرك، أعوذ بك من الشيطان الرجيم».

سمعت الدم يدق في قلبها وارتعشت لأنه بالتأكيد كان يسمعه. أغمضت عينيها. على الفور خطرت أما على بالها تفيض بدموعها المعروفة تتحب ويدها على فمها.

قال كريم «قل هو الله أحد، الله الصمد» صوته لم يتلثم. فكرت نازنين أنه لا يتلثم في الصلاة. تذرعت نازنين بنفسها لكي تساير سرعة الكلمات «لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد».

ركع، اليدان على الركبتين، ثم عاد منتصبا. رأت كم كان يتحرك بمهارة. مرتين أيضا. كان هو الذي يتحرك، لكنها التي بدت تدوخ.

لملمت نازنين السجادة ووضعتها في الدولاب. سوف تحتاجها قريبا. ولكن الجلوس منتصبة هذا كان ضروريا. لاحقا بعدما تغير الملاءات بعدما كان، تذكرت رد فعله. تذكرته تماما. بالطريقة الوحيدة التي يمكن أن يستدعى بها الألم بحق من خلال ألم جديد.

حزم الصدريات بنفسه وكان ينتظر أن يذهب. راح يعبث بالربطة على كتفه وأعمل أصابعه في الهاتف. شرع في

الانصراف وعندئذ ضبط حقييته من جديد وقال «أريد أن أطلب منك أن تحضري شيئاً ما . اجتماع». مرريدا على شعره، «من فضلك اطلبي من زوجك . إنه لمصلحة كل المسلمين . نريد أن يكون الجميع ممثلين . ونحن ليس لدينا أي امرأة كبيرة». أدركت أنه كان يعنيهها بامرأة كبيرة بعدما انصرف.

الفصل الحادي عشر

ابيض

بالطبع لم تكن لتذهب. كان مستحيلاً. لم تذكر الأمر لشانو لأنه لم يكن ثمرة تحفظ على ذهابها. لم يكن ثمرة موضوع في إثارة هذا.

في اليوم المحدد، كان لديها القليل لتفعله. لقد انتهت من خياطتها في الليل، متقلبة بين المطبخ لتأكل وحجرة الجلوس لتعمل. لقد دلفت إلى حجرة النوم وأخذت كتب شانو من على الوسادة. دلفت مرة ثانية لترفع أغطية السرير لتغطي كتفيه. ومرة ثالثة، شاهدته من الباب، وخرجت عن المجال عندما تحرك.

كانت متعبة اليوم، بيد أنها كانت مضطربة. الثلاجة مملوءة بأوعية حفظ الطعام ولم يكن هناك داع حقيقي للطهي. غسلت بضعة جوارب في حوض المطبخ ثم خرجت.

كان الاجتماع في مبنى واطئ على أطراف العزبة. لقد أقيم من دون اعتراف بالجمال وبانتظار الانتهاء. كانت النوافذ موصدة بقضبان معدنية سميكة لم تفتح قط، وثمره بيانات مثبتة إلى المبنى القرميدي تقرأ بالإنجليزية والبنغالية: «المخربون سيتم مقاضاتهم». كانت هذه بلاغة صرفة. كانت البيانات مكتوبة على عجل بالأحمر والأسود. أحد البيانات المدلاة بمسمار واحد متبق كتبه شخص ببخاخ فضي في ترو وانسياب على الحائط «باكيس». وأضاف شخص آخر بحروف سوداء أقل جمالاً لكنها واثقة «قاعدة». انفتح الباب ودخلت فتاتان ترتديان الحجاب.

أسرعت نازنين تتبعهما، باحثة عن غطاء. كان ضوء الشمس يضيء المدخل ولكن في الداخل كانت الصالة معتمة.

توجهت الفتاتان مباشرة إلى المقدمة وكانتا ترتبان نفسيهما على الكراسي. ترددت نازنين، ففكرت في الالتفات. لم يرها أحد.

«استقلي قطار التوبة يا أختاه قبل أن يغادر محطتك».

كان فمها مملوءاً باللعب ولم تستطع أن تبتلعه.

ثمة شاب ضئيل بلحية خشنة المظهر تجهم في وجهها. كان غارقاً في بيجامة بنجابية وكان معه نبات في يديه، لوح لها بالنبات «مرحى، على الرحب والسعة يا أختاه، اذهبي واجلسي».

سارت حائرة بجوار كرسي شاغرة. الصفوف الأربعة الأولى من المقدمة كانت على الأرجح نصف ممتلئة. أين تجلس؟ بجانب شخص ما، ليس رجلاً، ليس بجانب شخص، تترك مقعداً بينهما، سيبدو هذا قلة ذوق، كلا، سيبدو كأنني في انتظار شخص ما ينضم إلي، زوجي، لكنه لن يأتي، ومن ثم سوف يتساءلون بشأني، يتحدثون، حتى قبلما أنصرف سوف يتحدثون. قبضت على حافة كرسي. رأت الناس من دون تمييز وسمعت أصواتاً بلا كلمات.

وضع وجهه أمامها. كان ينقل شيئاً ما. الآن كان يشير. قال كريم: اجلسي هنا. جلست بصعوبة.

سار إلى المقدمة وصعد إلى المنصة الصغيرة. صفق بيديه.

قال «حسناً، شكراً لكم جميعاً على المجيء».

سمعت الباب يفتح. والآن الصوت نفسه الذي حياها عند المدخل. «استقل قطار التوبة يا أخي قبل أن يغادر محطتك». سمحت لنفسها أن تلتفت حولها. الأغلبية شباب، جينز وأحذية

رياضية، بضعة كورتات^(٥١) وحفنة من فتيات يرتدين الحجاب.
ربما عشرون شخصاً.

قال كريم ثانية «حسن، أطلب من سكرتيرنا أن يقرأ علينا
العمل الخاص باليوم. أي شخص يريد أن يضيف شيئاً ما من
فضلك ارفع يدك».

هرول الرجل ذو اللحية الواهنة من الخلف.
«عمل اليوم. رقم واحد، اختيار الاسم. رقم اثنين، إعلان
المهمة. رقم ثلاثة، انتخاب المجلس».

على الفور ارتفعت يد. أشار إليها السكرتير «تفضل».
«لِمَ لا نُؤدي هذا كله بلغتنا الخاصة؟»، تجهم السكرتير. نظر
إلى كريم «سؤال من القاعة. هل أسمع به؟».

وقف كريم ويده مطويتان «سأجيب. هذا الاجتماع متاح
لجميع المسلمين. إنني أتحدث هنا عن الأمة. كل أخ وكل أخت
من حيث أتوا».

وقف المتسائل وراح ينظر بإمعان خلال الصلاة، كذلك إلى
الكراسي الشاغرة «إخان أمرا شويباي بنجالي؟ هل من أحد هنا
لا يتحدث البنغالية»، كانت هناك لحظة سكوت قبل أن يزاح
كرسي إلى الخلف وينهض رجل أسود يرتدي قميصاً بأكمام
واسعة وطباعة حلزونية. هل أبدو مثل بنغالي بالنسبة إليك، يا
أخي؟

أظهر المتسائل كفيه كأن اللعبة انتهت، وعاود كلاهما
الجلوس.

(٥١) كورتا: قميص فضفاض من دون ياقة يرتديه الناس في شبه القارة الهندية - المترجم

قال السكرتير «حسن، بند رقم واحد. اختيار الاسم. سأتيح هذا للجمهور».

«الاتحاد الإسلامي!».

«الحركة الإسلامية الموحدة».

«الجبهة الإسلامية».

تهامست الفتاتان اللتان رأتهما نازنين تدخلان من خلف أيديهما. في النهاية صاحت إحدهما «جمعية الشباب المسلم، تور هامليتس».

لوح السكرتير بذراعيه. أسقط نباته. التقطه، ودفعه في جيبه. كفى اقتراحات. سوف نأخذ بالتصويت. ماذا كان الاقتراح الأول؟ من قام بالاقترح الأول؟ ليتكلم».

حث المتسائل قدميه «هذا الرجل سكرتير، لكنه لا يأخذ أي ملاحظات. إن هذا غير إسلامي بالمرّة».

قام السكرتير فارداً طولته على آخره. امتلاً وجهه الضئيل بالحنق «أين ذكر في القرآن أي شيء بخصوص أخذ الملاحظات؟».

«واضح في الحديث والسنة أن الرجل لا بد أن يأخذ مسؤولياته على محمل الجد».

أثار السكرتير نفسه ليرد. ارتعشت لحيته. إحدى رجلي البيجامة المرفوعة انفردت وغطت قدماً بكاملها. درست نازنين الأمر. إن لحيته كانت صغيرة على أن تنمو مكتملة.

وضع كريم يداً على كتف الفتى «أحضر قلماً ودفترًا. ستكون مسؤولاً عن حفظ المحضر».

ثم كان هناك بعض النقاش عما إذا كان اسم الجماعة يمكن أن يختار من دون غرض الجماعة الذي تم التصويت عليه في البداية. استثار السكرتير، وعلى اعتبار أن إثارته راحت تكبر بدت بيجامته تكبر بدورها حتى استحال إلى صوت ضعيف داخل خيمة. «إنها الأجندة يا صاح، يجب أن نلتزم بالأجندة».

حسم كريم الأمر، «سوف نأخذ الاسم أولاً. نحن جميعاً نعرف سبب وجودنا هنا».

كان هناك موافقة عامة تمتموا بها. وجدت نازنين نفسها تتخبط على الرغم من أنها لم تكن موجودة إلا لأنه لم يكن وراءها خياطة أو عمل منزلي.

جال كريم حول المنصة، وارتأت أن ذلك عرض من القيادة. وقف عند حافة المنصة وقال «لقد سجل السكرتير كل ملاحظاتكم. لدي اقتراح آخر لإضافته. النمر البنغالية».

كان هناك انبهار جماعي، ورفعت فتاتا الحجاب أيديهما من جديد إلى فميهما من أجل مزيد من الهمس المكثف.

صاح الشاب «نم - ورنغ - الية»، وراح يلکم الهواء بقبضته أثناء التقطيع الصوتي «هل أستطيع أن آخذ هذا الاسم لفرقتي؟». وقف السائل على قدميه من جديد «هل ننسى إخواننا غير البنغال الموجودين هنا؟».

سار كريم عبر المنصة ليقف أمام الرجل ذي القميص الحلزوني. تبعه السكرتير والدفتري جاهز. قال كريم «لا أقصد أن أستبعدك يا صاح».

وقف الرجل الأسود وانحنى بشدة. «أعتقد يا صاح أنه اسم جبار. سأكون فخورا بأن أصبح نمرا بنغاليا».

تم التصويت وجرى الرأي (بالإجماع، قالها السكرتير، مع صوت واحد إجماعي ضد) وانتقل الاجتماع إلى البند اثنين: إعلان المهمة.

تصايحت الاقتراحات من القاعة بينما راح السكرتير يعجل بالكتابة في دفتره. كان يجلس على حافة المنصة ورجلاه تتأرجحان، وراح يلوك طرف قلمه تماما مثل بيبي. ظل كريم واقفا على الرغم من أنه كان يجول بين الفينة والفينة، وعندما كان يهدأ من جديد كان يثبت رجليه ويطوي ذراعيه ويظهر قوته مجددا. طفقت فتاتا الحجاب أكثر هدوءا. لم تعودا تتهامسان بل راحتا تتحدثان من دون رفع أيديهما. وصاحتا بالاقتراحات في طلاقة، صاحت إحدهما «حقوق النساء» وصاحت الأخرى «التربية الجنسية للفتيات، يجب أن تضموا هذا» لكنها أخفضت رأسها فور أن تحدثت وهي تتوارى منه.

طالب كريم بفترة راحة ومن مكان ما ظهر «تروللي» مكس بأكواب بلاستيك بيضاء. وضعت الفتاتان نفسيهما وراءه وراحتا تقومان عليه. أخرج الشباب علب سجائر مارلبورو.

أمام نازنين مباشرة قام بعض الصبيان بكسر صف الكراسي ليكونوا لجنة فرعية.

«لقد قتلوا واحدا منا، نعم، سوف نقتل عشرة منهم. الأمر بتلك البساطة».

«أحرقوا مكاتبهم، لأي شيء نحن ننتظر؟».

«نحن لا نعرف أين هو؟».

«لا يجب أن يترددوا هنا. ماذا يفعلون هنا إذا كانوا لا يحبونه؟».

«لا نريد مشكلات. لكن إذا جاءوا يسألون، وهو كذلك، سوف نعطيهم ما يريدون».

«فكر في هذا، منذ بضع سنوات لم يكونوا ليجرؤوا».

«لقد كنا أفضل تنظيمًا».

«والآن نحن مشغولون بالشجار بعضنا مع بعض».

«جماعة بريك لين ماسيف في مواجهة جماعة استبني غرين بوس».

«العنصريون - لقد تم إخلاؤهم من هنا منذ عصور - وماذا عن شيبلو رحمن؟»

تعرفت نازنين على الاسم. لقد طعن الرجل حتى الموت.

«يمكن أن يحدث ذلك مرة ثانية».

«لاحظ، الموضوع أنهم يصبحون أكثر تعقيدا. إنهم لا يذكرون العرق، بل يذكرون الثقافة والدين».

«إنهم يدفعون منشوراتهم الحقيرة من خلال بابي الرئيسي».

«إننا جميعا نعلم لماذا نحن هنا. لماذا لا نواصل الأمر؟».

دعا كريم إلى مراعاة النظام «حسن. سوف نأخذ تصويتا. ما الذي نؤيده؟ نحن نؤيد حقوق المسلمين وثقافتهم. إننا بصدد حماية أمتنا المحلية ودعم الأمة الكبرى».

جاهد السكرتير في الصعود إلى المنصة «تصويت. الجميع ارفعوا أيديكم. أقصد هؤلاء المؤيدين، ارفعوا اليد».

رفعت كل الأيدي .

«إجماع» وضع علامة على الصفحة .

قال كريم «ماذا نحن في مواجهته؟ نحن في مواجهة» .

صاح شخص ما من القاعة «جماعة ليون هارتس» .

قال كريم «نحن ضد أي جماعة تعارضنا» .

تم تنفيذ هذا .

قدم الموسيقي التماسا لتصبح فرقته الفرقة الرسمية

للنمور البنغالية «نشر الرسالة مثلا . هل أنت تتفق مع هذا ، يا

صاح؟» .

نهض المتسائل على قدميه من جديد «ماذا سنفعل؟» لقد غير

كرسيه أثناء فترة الاستراحة وأصبح قريبا إلى نازنين بما يكفي

لترى أن له وجها متعصبا «إننا مع هذا وضد ذلك . هل نمثل نادي

معارضة؟» .

كان ثمة ضحك وأصبح وجه المتسائل أكثر شراسة . كان هذا

الولد ضامرا وجاءعا . ملابسه كانت تتدلى من عظامه كأن اللحم

تكلفة غير ضرورية ، كأن وضعيته أتت عليه . الإسراف الوحيد

تمثل في أنفه الذي كان ضخما وعلى الرغم من كونه جافا وذا

مظهر عظمي فإنه أسهم في الإضافة إلى ملامح الصرامة .

قال السائل «ماذا نريد؟ الفعل أو المناظرة؟» قاطع كريم

الضحك «بند رقم ثلاثة . انتخاب المجلس» . نظر إلى المتسائل

«إذا تم انتخابي سيبدأ الفعل على الفور» .

انتخب السكرتير سكرتيرا . وعلى الرغم من أنه لم يتقدم أحد

إلى المنصب فإنه أخفض عينه في حجره عندما أخذ التصويت

كما لو أن التوتر غير محتمل. بعد ذلك شد بيجامته بطريقة شخص يجهز نفسه للفعل. تقدم كريم والسائل إلى منصب الرئيس. كان الأمر متقاربا. تسعة أصوات للسائل وعشرة لكريم. لقد منحته التفوق، فكرت نازنين. أحست أنه أمر جلل. برفع يدها أو عدم رفعها. كان باستطاعتها أن تغير مجرى الأحداث، والقضايا في عالم لم تعرف عنه شيئا.

سار المتسائل إلى المقدمة وصعد إلى المنصة. صافح يد كريم بحيوية بالغة وربت أحدهما على ظهر الآخر. فهمت نازنين أنهما كانا على غير وفاق. ثم اقترح نفسه أن يكون أمينا للصندوق وبسرعة تمت حيازة المنصب.

في الصالة تذبذب الهواء لنغمة اجتماع على وشك الانتهاء. عشرات من التعديلات الصغيرة، وتوقع لحركة أكبر. أشار السكرتير بدفتره «انتظروا، انتظروا، ثمة انتخاب آخر، الزعيم الروحي». قفز من على المنصة وسحب رجلا عجوزا من مقعده ودفعه إلى المنصة. رأت نازنين أن الرجل العجوز كان يلبس صندل إصبع مستوي بزهرة بلاستيكية بيضاء على رباط الكعب: حذاء للنساء. وعرفت أن الإمام تم جلبه أخيرا، ظل يبيل شفثيه ويبتسم. لم يكن لديه أدنى فكرة عما يجري. لقد تم انتخابه بغباء.

أتى كريم بحزم الجينز والثياب غير المبطن، معلقة على كتفه. جلس على ذراع الأريكة وراح يتحدث. عندما كان هاتفه يرن لم يعد يخرج به إلى الصالة. أحيانا كان يتحدث في الهاتف عن منشورات وطرق الطبع، اجتماعات وتبرعات. أحيانا يصبح

صوته رقيقا وينساب بعيدا عنه، ثم أغلق الهاتف وقال في نشاط،
«قلق وتوتر. ذلك ما تحصل عليه».

بدأ يتحدث معها عن العالم. لقد شجعته، قالت «فعلا؟».
أخجلتها معرفته. لقد عرفت عن أخوتها وإخواتها المسلمين.
عرفت كم كان عددهم وكم كانوا مشتتين ومعذبين. اكتشفت
البوسنة. قالت «متى كان ذلك؟» لا يمكن أنه كان أكبر من خمس
أو عشر سنوات آنذاك... لقد أخجلها وأثارها.

في مكان يدعى شيشنيا. كان هناك في ذلك الوقت جهاد.
قرأ من مجلته «إرادة الله، سوف يراك المجاهدون في قلب أمك
روسيا، ليس فقط شيشنيا. إرادة الله، سوف نرت أرضكم». عرض
الصفحات المنسوخة، مقدا لها دليلا. «إنه صراع على
نطاق العالم يا صاح. في كل مكان يحاولون أن يخدعونا. يجب
أن تقاوم. لقد حان وقت المقاومة».

قال، عارضا المجلة ذات الكلمات الإنجليزية على الغلاف «هل
يمكنك أن تقرئي هذا؟»

أمالت رأسها جنبا إلى جنب «أمار إنجليزي بودا أوتي
شامانيو». أي «لا يمكنني أن أقرأ سوى النذر اليسير». رفع لها
نشرات بنغالية. إحداها تسمى النور وأخرى كانت تسمى «أمة». لم
يعطها شانو من قبل أي شيء لتقرأه. وماذا عادت به هذه
الكتب من فائدة على أي حال؟ كل هذا التاريخ القديم.

وضعت النشرات على الطاولة ليراها زوجها. لست الشخص
الوحيد الذي يعرف أشياء. ولكن عندما سمعته وهو قادم
خبأتها. في الأيام القليلة التالية أصبحت القراءة سرا جميلا

وحزيناً، مداعبة العبارات بعينيها، متخيلة كريم يطفو هناك،
وراء الكلمات تماماً .

شيء واحد لم تستطع أن تفهمه: الشهداء .

لكن الله لا يسمح بهذا .

«أليس هذا انتحاراً، بحق؟ إنه حرب» .

لقد عرفت شيئاً عن فلسطين . قال لها «ذهبوا إلى الشوارع
لأن طفلاً متظاهراً قتل . ويعودون للبيت وهم يحملون جثة شخص
آخر» .

لقد ألمها . والآن عندما كانت تسير الحبل المشدود بين الأطفال
وأبيهم، عندما كان يورقها ذهنها المشتت أو تقلق على أختها،
الآن أحست بضالة كل هذا . لذا فقد أخطأت حمل التوق في
أحشائها من أجل الحزن، وقرأت في الليل عن المحتلين واليتامى،
عن الانتفاضة وحماس .

وقد صلى في بيتها مرات كثيرة أخرى . وعندما أخذ السجادة
منها التقت أطراف أصابعهما معا وشمت الرائحة المنعشة
لقميصه .

رائحة الليمون .

عبدہ عبد العزيز أحمد عبد الفتاح

- مواليد المنصورة عام ١٩٧١ .
- اسمه الأدبي عبدہ الريس .
- مترجم وباحث وشاعر مصري .
- تخرج في كلية الآداب - جامعة المنصورة عام ١٩٩٧ .
- عضو اتحاد الكتاب بمصر ومحاضر مركزي بالهيئة العامة لقصور الثقافة - مصر .
- له العديد من الإصدارات والترجمات، منها: «فقط يربي حماما ويصنع برجاً حصينا من العزلة» (مجموعة شعرية). وترجمة رواية «دميان» للكاتب هرمان هسه . و ترجمة كتاب «اليسار الفرويدي» من تأليف بول أ . روبنسون، عن المشروع القومي للترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٦ - مصر .

د. طيبة محمد صادق

- من مواليد الكويت عام ١٩٥٠ .
- حصلت على ليسانس في الأدب الإنجليزي من جامعة الكويت عام ١٩٨١ .
- حصلت على شهادة الماجستير في المناهج والتعليم عن طريق الكمبيوتر - جامعة سان فرانسيسكو عام ١٩٨٤ .
- حازت شهادة الدكتوراه في تعلم اللغة عن طريق الكمبيوتر من كينجزكوليج - جامعة لندن عام ٢٠٠٢ .
- عملت في وزارة التربية والتعليم عدة سنوات، كما عملت في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، وتشغل حالياً منصب أستاذ مساعد في قسم اللغة الإنجليزية وآدابها بكلية التربية الأساسية .
- شاركت في كثير من اللجان العلمية، وحضرت العديد من المؤتمرات .
- كتبت العديد من البحوث في مجال استخدامات الكمبيوتر والمهارات اللغوية .

إمدارات قادهة

شارع بريك لين

(رواية)

الجزء الثاني

تأليف: مونيكا علي

ترجمة: أ. عبه عبه العزيز أحم عبه الفتاح

مراجعة: د. طيبة محم صادق

(ترجمت عن الإنجليزية)

ما صدر من هذه السلسلة

نون والقلم	318
سيري سامبيجي	319
أيام بورمية	320
ست وصايا للألفية القادمة	321
السكرتير الخاص	322
قصص برازيلية	323
البرازيليين	
شذرات من خطاب في العشق	324
لون الماء	325
وجهان لحواء	326
المنزل ذو الشرفات السبع	327
من الأدب الباكستاني الحديث	328
مختارات من القصة التركية المعاصرة	329
الأتراك	
مسرحية محكمة العدل في بلخ	330
مطبخ - خيالات ضوء القمر	331
الطباخون الأشرار	332
الجرة المكسورة	
شمل تشابه ضائع	333
حكايات الهنود الأمريكيين وأساطيرهم	334
زهرة الصيف	335
اليابانيين	
طام - طام زنجي	336
اليبروح	337
منزل النور	338
كثبان النمل في السافانا	339
أناطول وجنون العظمة	340
غرام ميتيا	341
أرنجنندن والحارس الليلي	342
ورقة في الرياح القارسة	343
مدرسة الدكتاتور	344
رسائل عيد الميلاد	345
حكايات وخرافات أفريقية (1)	346
الطفل الملك	
مسرحية عذراء أورليان	347
حكايات وخرافات أفريقية (2)	348
الأدغال والسهول العشبية تحكي	
القصة القصيرة الإسبانية الأمريكية	349
في القرن العشرين	
مسرحيتنا: 1- محنة الأخ جيرو	350
2- تحول الأخ جيرو	
روض الأدب (مختارات قصصية)	351
تأليف: جلال آل أحمد	
تأليف: تشاندرا سيخار كامبار	
تأليف: جورج أورويل	
تأليف: ايتالو كالفينو	
تأليف: ت. س. إليوت	
تأليف: مجموعة من القاصين البرازيليين	
تأليف: رولان بارت	
تأليف: جيمز ماكبرايد	
تأليف: أمريتا بريتام	
تأليف: اليخاندرو كاسونا	
تأليف مجموعة من القاصين الباكستانيين	
تأليف مجموعة من القاصين الأتراك	
تأليف: بهرام بيضائي	
تأليف: بنانا يوشيموتو	
تأليف: جونتر جراس	
تأليف: هاينرش فون كلايست	
تأليف: أندريه شديد	
تأليف: فلاديمير هلباتش	
تأليف مجموعة من القاصين اليابانيين	
تأليف: ليوبولد سيديار سنغور	
تأليف: نيكولو ماكيافلي	
تأليف: جوهر مراد	
تأليف: تشنوا أشيبي	
تأليف: أرتور شنيتر	
تأليف: إيضان بونين	
تأليف: فيمي أوسوفيسان	
تأليف: تنغ - هسغ يي	
تأليف: إيريش كستر	
تيد هبوز	
تأليف: سليمان جيغو ديوب	
تأليف: فريدريش شيلر	
تأليف: سليمان جيغو ديوب	
تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالإسبانية	
تأليف: وول سوينكا	
تأليف: أو. هنري	

ما صدر من هذه السلسلة

تأليف: ب. بريشت	مسرحية «أنتيجون»	352
تأليف: هنري برونل	أجمل حكايات الزمن يتبعها فن الهايكو	353 354
تأليف: لاوشه	مسرحية «المقهى»	
تأليف: برايان فرييل	مسرحيتا: 1- صناعة تاريخ 2- ترجمات	355
تأليف: ج. م. كويتتزي	رواية «الشباب»	356
تأليف: مجموعة من الشعراء المجريين	مختارات من الشعر المجري المعاصر (شعراء السبعينيات)	357
تأليف: إيجون وولف	مسرحيتا: 1- تلاميذ الخوف 2- الغزاة	358
تأليف: وليام سارويان	اسمي آرام (مجموعة قصصية)	359
تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالألمانية	حامل الإكليل (قصص مختارة)	360
تأليف: سيلافومير مروجيك	الصورة (مسرحية)	361
تأليف: تحسين يوجل	الأيام الخمسة الأخيرة لرسول (رواية)	362
تأليف: إيرينيوش إيريدينسكي أندجي ماليشكا	سبع مسرحيات ذات فصل واحد (من بولندا)	363
ستانيسلاف ليم (ستانيسواف) سوافومير مروجيك	سبع نساء... سبع قصص	364
تأليف: مجموعة من القاصات الفارسيات	زمن الضحك (ملهات خفيفة من ثلاثة فصول)	365
تأليف: رُوبين دايشيد غونساليس غالغو	بالأبيض على الأسود (رواية)	366
تأليف: تيان هان	مسرحيتا: 1- سهرة في المقهى 2- موت ممثل مشهور	367
تأليف: مايكل هلمان	إمرأة وحيدة «فروغ فرخزاد وأشعارها» سيرة حياة	368
تأليف: بيجي شانيفاسكي	«الملاح» (مسرحية من الأدب البولندي)	369
تأليف: بول أستر	ليلة التنبؤ (رواية)	370
تأليف: نويل كاورد	هذا الجيل المحفوظ (مسرحية)	371
تأليف: أمادو همباطي با	لا وجود لخصومات صغيرة	372
تأليف: جيروم لورنس وروبرت إي. لي	الليلة التي أمضاها ثورو في السجن (مسرحية)	373
تأليف: مجموعة من الشعراء الإيرانيين	مختارات من الشعر الإيراني الحديث	374
تأليف: بول بولز	العقرب وقصص أخرى (الجزء الأول)	375
تأليف: بول بولز	العقرب وقصص أخرى (الجزء الثاني)	376
تأليف: فروغ فرخزاد	«الأسيرة» (مختارات من ديوان شعر)	377

قسمة الاشتراك

سلسلة عالم المعرفة		مجلة عالم الفكر		مجلة الثقافة العالمية		إبداعات عالمية		البيان
دولار	د.ك.	دولار	د.ك.	دولار	د.ك.	دولار	د.ك.	
-	٢٥	-	١٢	-	١٢	-	٢٠	المؤسسات داخل الكويت
-	١٥	-	٦	-	٦	-	١٠	الأفراد داخل الكويت
-	٣٠	-	١٦	-	١٦	-	٢٤	المؤسسات في دول الخليج العربي
-	١٧	-	٨	-	٨	-	١٢	الأفراد في دول الخليج العربي
٥٠	-	٢٠	-	٣٠	-	٥٠	-	المؤسسات في الدول العربية الأخرى
٢٥	-	١٠	-	١٥	-	٢٥	-	الأفراد في الدول العربية الأخرى
١٠٠	-	٤٠	-	٥٠	-	١٠٠	-	المؤسسات خارج الوطن العربي
٥٠	-	٢٠	-	٢٥	-	٥٠	-	الأفراد خارج الوطن العربي

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك تجديد اشتراك

الاسم:	
العنوان:	
اسم المطبوعة:	مدة الاشتراك:
المبلغ المرسل:	نقدًا / شيك رقم:
التوقيع:	التاريخ: / / ٢٠٠٠م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت.
وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص.ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147
دولة الكويت

أسماء وكلاء التوزيع

الأردن:

وكالة التوزيع الأردنية
عمان ص.ب ٣٧٥ عمان - ١١١١٨
ت - ٥٣٥٨٨٥٥ فاكس (٩٦٢٦) ٥٣٣٧٣٣

البحرين:

مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف
ص.ب ٢٢٤ / المنامة - البحرين
ت ٢٩٤٠٠٠ فاكس (٩٧٣) ٢٩٠٥٨٠

عمان:

المتحدة لخدمة وسائل الإعلام
مسقط ص.ب ٣٣٠٥ - روي الرمز البريدي ١١٢
ت ٧٠٠٨٩٦ - ٧٨٨٣٤٤ فاكس ٧٠٦٥١٢

قطر:

دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع
الدوحة ص.ب ٣٤٨٨ - قطر
ت ٤٦٦١٦٩٥ فاكس (٩٧٤) ٤٦٦١٨٦٥

فلسطين:

وكالة الشرق الأوسط للتوزيع
القدس/ شارع صلاح الدين ١٩
ص.ب ١٩٠٩٨ ت ٢٣٤٣٩٥٤ فاكس ٢٣٤٣٩٥٥

السودان:

مركز الدراسات السودانية
الخرطوم ص.ب ١٤٤١ ت ٤٨٨٦٣١ (٢٤٩١١)
فاكس ٣٦٢١٥٩ (٢٤٩١٣)

نيويورك:

MEDIA MARKETING RESEARCHING
25 - 2551 SI AVENUE LONG ISLAND CITY
NY - 11101 TEL - 4725488
FAX 1718 - 4725493

لندن:

UNIVERSAL PRESS للـ MARKETING LIMITED
POWER ROAD. LONDON W 4SPY
TEL 020 8742 3344
FAX: 2081421280

الكويت:

شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع
شارع جابر المبارك - بناية التجارية العقارية
ص.ب ٢٩١٢٦ - الرمز البريدي ١٣١٥٠
ت ٢٤٠٥٣٢١ - ٢٤١٧٨١٠ / ٢٤١٧٨١٠ فاكس ٢٤١٧٨٠٩

الإمارات:

شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع
دبي، ت: ٢٦٦٦١٢٦ - ٩٧١٤٢٦٦٦١١٥ فاكس:
ص.ب ٦٠٤٩٩ دبي

السعودية:

الشركة السعودية للتوزيع
الإدارة العامة - شارع الملك فهد (الستين سابقا) - ص.ب ١٣١٩٥
جدة ٢١٤٩٣ ت ٦٥٣٠٩٠٩ - فاكس ٦٥٣٣١٩١

سورية:

المؤسسة العربية لتوزيع المطبوعات
سوريا - دمشق ص.ب (٩٦٣١) ١٢٠٣٥
ت - ٢١٢٧٧٩٧ فاكس ٢١٢٢٥٣٢

مصر:

دار الأخبار للتوزيع
شارع الجلاء رقم ٦ - القاهرة
ت - ٥٨٠٦٤٠٠ فاكس ٥٨٢٦٢٢

المغرب:

الشركة العربية الأفريقية للتوزيع والنشر والصحافة (سبريس)
زنقة سجلماسة الدار البيضاء ٧٠
ت ٢٢٢٤٩٢٠٠ فاكس (٢١٢) ٢٢٢٤٩٢١٤

تونس:

الشركة التونسية للصحافة
تونس - ص.ب ٤٤٢٢
ت - ٢٢٢٤٩٩٩ فاكس - ٢٢٢٠٠٤ (٢١٦٧١)

لبنان:

شركة الشرق الأوسط للتوزيع
ص.ب ١١/١١٠٠١ بيروت ٦٤٠٠/١١
ت - ٤٨٨٨٨٢ (٩٦١١) فاكس - ٤٨٧٩٩٩

اليمن:

القائد للتوزيع والنشر - ص.ب ٣٠٨٤
ت - ٣/٢/٢٢٠١٩٠١ فاكس ٣/٢/٢٢٠١٩٠٩

سلسلة إبداعات عالمية

«إبداعات عالمية» سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وكانت في السابق تصدر - شهريا - عن وزارة الإعلام تحت اسم سلسلة «من المسرح العالمي» حتى بعد انضمامها إلى المجلس الوطني عام ١٩٩٤، وكانت تعنى بنشر المسرحيات العالمية فقط. وقد صدر العدد الأول من سلسلة «من المسرح العالمي» في أكتوبر ١٩٦٩، تحت عنوان مسرحية «سمك عسير الهضم»، تأليف: مانويل جاليتش، وبعد تغيير مسمائها إلى سلسلة إبداعات عالمية عام ١٩٩٨، أصبحت تعنى بنشر الترجمات الإبداعية الراقية من لغات مختلفة، وتتعلق أهداف السلسلة (إبداعات عالمية) من فلسفتها في نشر الوعي الثقافي القائم على التراث الإنساني، من خلال نشر وتقديم ترجمات رصينة من الآداب العالمية، من روايات وقصص قصيرة ودواوين شعر ومسرحيات... وغيرها، من لغاتها الأصلية، بهدف تزويد المكتبة العربية بآثار هذه الثقافات المختلفة.

وترحب السلسلة باقتراحات النشر والترجمة المقدمة من المتخصصين، على أن تكون وفق الشروط التالية:

١- أن تكون المادة المقترحة ترجمتها مميزة في المستوى الفكري والأدبي الرفيع، ولم يسبق نشرها في أي مكان آخر.

٢- يجب ألا يزيد حجم المادة على ٣٥٠ صفحة من القطع المتوسط، وأن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب وموضوعاته وأهميته ومدى جدواه.

٣- يجب تقديم النص الأدبي المقترح نشره، أو ترجمته مع الكتاب في لغته الأصلية، ويرسل مطبوعاً على الآلة الكاتبة مع وضع نسخة من النص المترجم في ديسك أو CD، مع تدوين أرقام صفحات الكتاب الأصلي المقابلة للنص المترجم على جانب الصفحة المترجمة.

٤- السلسلة غير مسؤولة عن إعادة الكتب الأجنبية والنصوص الأصلية أو المترجمة التي لا يتم قبولها.

٥- المواد المقدمة للنشر أو الترجمة تخضع للتحكيم العلمي على نحو سري من قبل هيئة تحرير السلسلة، ويجري إرجاع النصوص إلى أصحابها لإجراء التعديلات أو الإضافات اللازمة عليها قبل نشرها، كما يجب ألا تحتوي النصوص على عبارات منافية للدين أو الأخلاق. وفي حال الموافقة والتعاقد على الموضوع المترجم للنشر تصرف مكافأة للمترجم بمعدل ٢٠ فلساً عن الكلمة الواحدة في النص الأجنبي.

وفي جميع الحالات ينبغي إرسال سيرة ذاتية وافية (C.V) للمترجم، تتضمن البيانات الرئيسية عن نشاطه الأدبي السابق، وعنوان المراسلة التقليدي والإلكتروني، واسمه الثلاثي باللغة الإنجليزية حسب جواز سفره، بالإضافة إلى كتابة اسم البنك الذي يتعامل معه ورقم حسابه الذي ستحول المكافأة عليه.

الفهرس

5	الاهداء
9	المقدمة
17	الفصل الأول
45	الفصل الثاني
77	الفصل الثالث
115	الفصل الرابع
151	الفصل الخامس
163	الفصل السادس
203	الفصل السابع
247	الفصل الثامن
279	الفصل التاسع
293	الفصل العاشر
329	الفصل الحادي عشر



المجلس
الوطني
للفنون
والآداب